مشاهير قادة العالم



# فون أريك لودندورف

١٨٦٥ - ١٩٣٧

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مشاهير قادة العالم

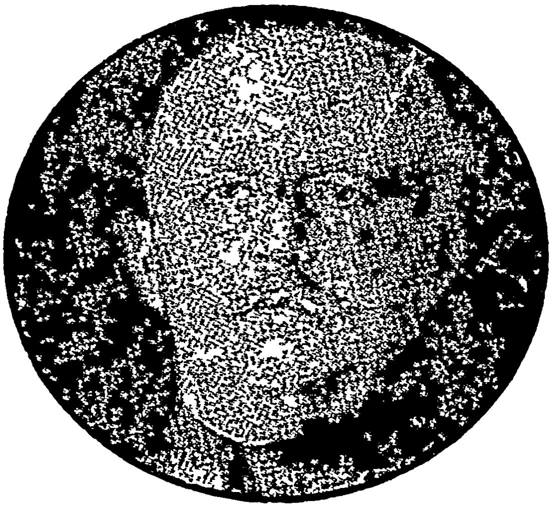
# فون أريك لودندورف

١٨٦٥ - ١٩٣٧

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



# فون أريك لودندورف

١٨٦٥ - ١٩٣٧

# GENERAL VON ERICH
# (LUDENDORFF)

تأليف
بسام العسلي

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً - موكيالي بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٣ م



فون أريك لودندورف

١٨٦٥ - ١٩٣٧



الفريق لودندورف وأحد أركانه

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

أبرزت الحرب العالمية الأولى ـ شأنها شأن كل حرب في التاريخ ـ أسماء مجموعة من مشاهير القادة الذين تفاوتت أقدارهم، وتباينت شهرتهم، وتباعدت فرص النجاح فيما بينهم، مما جعل الاختلاف كبيراً بشأن كفاءاتهم وقدراتهم. غير أن هناك ما يشبه الاجماع بين الكتّاب والمؤرخين على اعتبار (لودندورف) واحداً من كبار قادة الحرب المرموقين، وجندياً لا من أبرز جنود الحرب العالمية الأولى فحسب، بل إنه من الجنود الذين يحتلون مرتبتهم على المستوى العالمي.

ولد (لودندورف) في قرية (كريزونيا) من مقاطعة (بوزنانيا). وكان والده بائعاً بسيطاً، غير أن ذلك لم يشكل عائقاً أمام انتسابه إلى الكليّة العسكرية، التي كانت أمينة على رسالتها، فلم تكن تضم إليها إلا أبناء العائلات العريقة ـ الأصيلة ـ لتجعل منهم قادة المستقبل. ثم انتقل (لودندورف) بين المعاهد والكليات العسكرية المتتالية، وكان من المتفوقين. إلا أن هذا التفوق لم يكن ليكشف عن القدرة الكامنة لهذا الجندي الباسل.

كانت المدارس العسكرية الألمانية قد تجاوزت مرحلة طويلة من التطور، ووصلت إلى موقع متقدم على معظم المدارس العسكرية في العالم. وكان خريجو هذه المدارس يمتلكون من المعرفة (بفن الحرب) قدراً يؤهلهم للاضطلاع بواجباتهم في ميادين القتال. ولا ريب أن (لودندورف) قد أفاد كثيراً من الخبرات والمعارف التي اكتسبها عبر دراسته في (مدارس الحرب الألمانية). غير أن الفائدة الحقيقية قد جاءته عن طريق التعلم والعمل مع

اثنين من كبار القادة الألمان وهما (الكونت شليفن) و(الماريشال فون هندنبورغ).

كان (الكونت شليفن) رئيساً لهيئة الأركان الألمانية العليا. وقد عرف في (لودندورف) ضابطا يمتلك قدرة تنظيمية رائعة، فضمه إلى هيئة الأركان، وبرهن (لودندورف) على كفاءته العالية، فبات من ضباط هيئة الأركان البارزين، مما أدى إلى زيادة اعتماد (شليفن) عليه، والعناية به، والاهتمام بأموره، والثقة المطلقة به.

وكان (الماريشال فون هندنبورغ) قائداً شهيراً، تولى قيادة الجبهة الشرقية، عمل (لودندورف) معه طوال فترة الحرب (أو على وجه التحديد من يوم **٢٣** آب ـ أغسطس ـ **١٩١٤** وحتى يوم **٢٦** تشرين الأول ـ اكتوبر ـ **١٩١٨**). وقد اقترن اسم القائدين اقتراناً وثيقاً. وعرف (فون هندنبورغ) في رفيق سلاحه (لودندورف) الكفاءة والقدرة، فأولاه ثقته. وكان يدعمه باستمرار، ويوافق على مخططاته من غير تردد، أو حتى مناقشة. وكثيراً ما كان يصفه (**بالعملاق**) و(**الجبار**) و(**الرجل الحديدي**). وكان (لودندورف) جديراً بذلك كله، إذا طالما اعترف حتى اعداؤه بكفاءته وهم يقولون عنه: «**يفخر لودندورف علينا بما له من تفوق، في القدرة والذكاء وسعة العلم وفرط العبقرية الطاغية**». وفي الواقع فإن الاعجاب المتبادل بين (هندنبورغ) و(لودندورف) إنما يكمن بذلك التشابه بين الصفات العسكرية والحربية للرجلين القائدين. فكلاهما يتمتع بصفاء الفكر وسرعة الادراك والبديهة، والكفاءة العليا في ادارة الحرب، والقدرة على العمل المستمر.

كان (لودندورف) واثقاً من نفسه، معتداً بها إلى حد كبير. واشتهر بالنقد اللاذع في مواقفه تجاه كل من يغفل الواقع، أو يتنكر للمنطق. مظهراً بذلك صراحة متناهية وجرأة لا حدود لها في مجابهة أولئك المتحذلقين الذين يحاولون إدعاء المعرفة عن طريق توجيه النقد لمشاريعه ومخططاته التي طالما قضى الليالي ساهراً في معالجتها وإخراجها إلى عالم الوجود. وقد جاءت الأحداث لتؤكد ـ أكثر من مرة ـ صحة توجهات

(لودندورف) ودقة آرائه الصائبة، إذ أمكن له انقاذ الوطن من مآزق متتالية، فكان في ذلك برهاناً على حق (لودندورف) في مجابهة ادعياء العلم والمعرفة بالحزم، وحتى بالشراسة المتناهية.

كان (لودندورف) فخوراً بوطنه وأمته، وكان مزهواً بانتمائه لهذا الوطن الذي وهبه وجوده وعقله وإيمانه، فكانت نظرته إلى وطنه تتجاوز حدوده التي كانت عليه، لتصل إلى كافة المقاطعات والأراضي التي كانت مستقراً منذ القديم (للفرسان التيوتون).

وكانت تقديراته الخاصة عن حلفاء ألمانيا تفتقر إلى اللياقة والمجاملة، فكان ينظر إلى (النمسا) نظرته إلى جسد قد مات نصفه. وأن هذه الدولة قد باتت في حاجة ملحة إلى تطور حثيث يبعث فيها الحياة، وينهض بها من خمولها ورقادها. وكان يندد بضعف عاهلها، ووقوعه تحت تأثير الامبراطورة التي تقوده وفق عاطفتها التي وضعته تحت رحمة رجال الكنيسة - الاكليريكيين - أعداء ألمانيا. كما كان يندد برجاله العاجزين عن ادارة الامبراطورية وتسويتها وتسوية الأمور المتشابكة بحذاقة وسياسة بين شعوب الامبراطورية المتنافرة.

**وكان يرى أن تركيا باتت دولة متخلفة في ادارتها وسياستها تخلفاً فاضحاً، وأنها قصرت عن الجهد في اتباع سياسة رصينة عاقلة إزاء الشعوب العربية التي تؤلف أغلب امبراطوريتها، هذه الشعوب الممتازة التي تتمتع بميزات وصفات لا ترى في غيرها من الشعوب الأخرى، والتي تسيطر على أعظم أقاليم الدنيا ثروة ومكانة. والتي هي مفاتيح السوقيات العسكرية التي لا مثيل لها في العالم. ولطالما تحدث مع أنور باشا حول هذا الموضوع الخطير، وأقنعه بوجوب العمل من أجله بكل قوة وهمة وتحقيق نجاحه مهما كلفه الأمر. بيد أن (جمعية الاتحاد والترقي) التي كانت تتسلم مقادير تركيا الجديدة، وزمام الحكم فيها. كان جل أعضائها من اليهود الذين جلوا عن اسبانيا وبلاد البلقان، وتظاهروا بالاسلام والقومية التركية وهم منها براء. وما كان يروقهم أن يروا تآلف الشعبين التركي والعربي واتحادهما وتساويهما تحت راية الاسلام مما يعرقل تحقيق**

**هدفهم الذي كانوا قد أخذوا في العمل له. وهو اقامة الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين العربية. فراحوا ينشرون تعاليم الفرقة والتنافر والبغض والكراهية.**

لقد كتب (لودندورف) مجموعة من المؤلفات. فكان له (ذكريات الحرب) التي طبعت سنة ١٩١٩. و(هيئة أركان الحرب ومشكلاتها) التي طبعت سنة ١٩٢٠. و(الحرب والسياسة) التي طبعت سنة ١٩٢٢. غير أن أعماله الحقيقية، ومنجزاته، هي تلك التي كتبها على صفحة الأرض، في ميادين القتال، والتي ترك للمؤرخين والكتّاب فرصة معالجتها وتقويمها.

**بسام العسلي**

# الوجيز في حياة الجنرال لودندورف
# ١٨٦٥ - ١٩٣٧

١٨٦٥ ولد (لودندورف) في كريزونيا من اقليم (بوزتانيا) [أ]
١٩١٦ عين مساعداً للماريشال (هندنبرغ).
١٩١٧ـ ١٩١٨ تولى قيادة الجبهة، ونظم مجموعة الأعمال الهجومية ضد الحلفاء.
١٩٢٣ اشترك في ثورة (ميونخ) الفاشلة.
١٩٢٥ رشحه الحزب النازي لانتخابات الرئاسة، وفشل، فتولى قيادة (الحرب الصليبية) ضد (الكاثوليك واليهود والماسون) غير أن هتلر لم يدعمه. واستمر في عمله هذا حتى وفاته.[ب] .

---

(أ) كريزونيا (KRUSZEWNIE) في اقليم بوزنانيا (POSNANIE= POSNANIE) الذي هو اقليم من بولونيا انفصل عن بروسيا سنة ١٩١٩. كما الحق القسم الأصغر منه ببروسيا الغربيّة، ثم أعيد الحاقه ببولونيا سنة ١٩٤٥.

(ب). REF: ENCYCLOPAEDIA OF MODERN WAR (ROGERPARKINSON) PALADIN 1977 P.P. 197- 198.

«لقد وضع - لودندورف - مخططات لعملياته الهجومية، وعلى الأخص من ناحية التفاصيل التعبوية - التكتيكية - بمهارة تستحق الاعجاب. كان تخطيطه دقيقاً. وما من قائد يستطيع العمل بأفضل مما وفق إليه هو. .»

الماريشال فوش رواد الاستراتيجية الحديثة - ٢/٤٠١

# الفصل الأول

١ - فون شليفن ومدرسة الحرب البروسية.
٢ - فون مولتكه وخطط الحرب.
٣ - تطورات وسائط الحرب.
٤ - الطريق إلى الحرب - الاحلاف.
٥ - موازين القوى عشية الحرب.

## ١ ـ فون شليفن، ومدرسة الحرب البروسية.

خرجت بروسيا من الحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) وقد حققت أهدافها في توحيد الشعب الألماني، وانتقل مركز الثقل من (باريس) إلى (برلين) وفقدت فرنسا مكانتها القيادية التي احتفظت بها طوال قرون عديدة. وباتت ألمانيا هي قاعدة النشاط العسكري والاقتصادي والسياسي لأوروبا كلها، ولم تكن القضية بالنسبة لألمانيا هي قضية الوصول الى هذا المركز القيادي بقدر ما كانت قضية المحافظة عليه. فكانت الوحدة الألمانية هي وسيلة القوة لألمانيا وليست هدفاً في حد ذاتها، وانطلقت القيادة الألمانية لتطوير قدراتها وإمكاناتها استجابة منها للمتطلبات التي فرضها الواقع الجديد، وتحقيقاً لتطلعات الشعب الألماني وأهدافه. وأخذت الجهود المبذولة في إعطاء ثمارها اليانعة، إذ لم يمض أكثر من عقد من الزمن، حتى وصلت ألمانيا إلى مركز متقدم في مجال الصناعة والتجارة[1] واحتلت مركز المنافسة الخطيرة لبقية الأقطار الأوروبية ـ وخاصة انكلترا التي نجحت باستمرار، وبفضل سيطرتها على مفاتيح البحار في الاستئثار بمركز الصدارة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية. وبات من المتوقع أن تتحول المنافسة إلى عداء، والعداء الى

---

(١) جدير بالذكر أن مجموع عمليات التصدير والاستيراد الألمانية قد وصل في سنة ١٨٨٠م ـ أي بعد عقد من قيام الوحدة إلى (٢٩٠,٥٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني. ثم قفز هذا الرقم في سنة ١٨٩٠ إلى (٣٨٤,١٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني. وفي سنة ١٩٠٠ أصبح (٥٣٩,٨٠٠,٠٠٠) وفي سنة ١٩٠٧ (٨٠٤,٩٠٠,٠٠٠) وتجاوزت هذه الأرقام الميزان التجاري الفرنسي (٥٠٦,٢٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني. والولايات المتحدة (٦٨٣,٩٠٠,٠٠٠) وتقاربت من أرقام بريطانيا التي بلغت (١,١٦٣,٨٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني (ادارة الحرب ـ فوللر ـ ترجمة اكرم ديري ـ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩)

صدام، والصدام الى حرب[٢]، وكان لزاماً أن تدرك مدرسة الحرب البروسية (التي كانت أداة قيام الوحدة الألمانية) هذا الواقع فتعمل على تطوير مخططاتها واستعداداتها لمجابهة كافة الاحتمالات وإذا كان (فون مولتكه) قد نجح في تمثيل مدرسة الحرب البروسية أصدق تمثيل خلال مرحلة اقامة الوحدة وخلال الحروب التي رافقتها، فقد جاء (شليفن) و(لودندورف) لتمثيل هذه المدرسة في فترة ما بعد اقامة الوحدة الألمانية وحتى الحرب العالمية الأولى.

لقد وضعت بروسيا ـ المانيا ـ سياستها منذ البداية على أساس منع كل تعاون عسكري بين فرنسا وروسيا. وأمكن تحقيق هذا الهدف بنجاح حتى سنة ١٨٧٩، حيث ظهرت عندها إمكانات التعاون بين فرنسا وروسيا، وانعكس ذلك بداهة على صفحة تفكير هيئة الأركان الألمانية.

وضع (فون مولتكه الكبير)[٣] خطته لمجابهة هذا الموقف على أساس أن يقاتل عدواً واحداً بأقل ما يمكن من القوة حتى يستطيع الاحتفاظ بأكبر قوة تمكنه من تدمير العدو الآخر، وكانت نصيحته هي اتخاذ موقف الدفاع على جبهة الغرب، والقيام بالهجوم ضد روسيا بأكبر قدرة

---

(٢) أكد الرئيس الأمريكي ويلسون هذه الحقيقة بقوله: «أيها المواطنون، هل هناك بيننا هنا رجل أو امرأة، بل هل هناك طفل أيضاً، لا يعرف بأن سبب الحرب في عالمناالمعاصر هو التنافس الصناعي والتجاري؟ إن هذه الحرب ـ العالمية الأولى ـ لم تكن منذ بدايتها إلا حرباً تجارية وصناعية. إنها ليست حرباً سياسية» وكذلك ما قاله العقيد ويليام روبرتسون ـ الذي أصبح ماريشالاً فيما بعد ـ عندما كان رئيساً للقسم الأجنبي في مخابرات وزارة الدفاع البريطاني: «إن أقوى دافع هو التنافس بين المشروعات التجارية والاستعمارية» ـ المرجع السابق ـ

(٣) فون مولتكه الكبير: (MOLTKE, HELMUTH KARL BERNHARDT) فيلد مارشال بروسي، (١٨٨٠ ـ ١٨٩١) كان رئيساً لهيئة أركان حرب بروسيا في حرب سنة ١٨٦٦ وفي الحرب البروسية ـ الفرنسية ١٨٧١ وبقي في منصبه حتى وفاته ـ وقد أفرد له كتاب في هذه المجموعة من مشاهير قادة العالم. وأطلق عليه لقب (الكبير) تمييزاً له عن حفيده: فون مولتكه الصغير:.MOLTEKE) HELMUTH JOHANNES LUDWIG) الذى هو من مواليد غيرسدورف:GERSDORF (١٨٤٨ـ ١٩١٦) وتولى رئاسة هيئة الأركان البروسية سنة ١٩١٤، وهزمته قوات الحلفاء في معركة المارن.



فون هندنبورغ القائد العام

ممكنة. وكان امتلاك ألمانيا لاقليمي الالزاس واللورين (منذ حرب ١٨٧١) يساعدها على الدفاع عن حدودها الغربية بقوات قليلة نسبياً، وكان أملها ضعيفاً في تحقيق انتصارات حاسمة ضد التحصينات الفرنسية - في الغرب - بينما كان المجال مفتوحاً أمامها لتحقيق مثل هذه الانتصارات على جبهة روسيا في الشرق. غير أن الكونت (فون شليفن)[٤] جاء ليقلب هذا الوضع في سنة ١٨٩٤ م. حيث بدأت الخطط الألمانية للقتال في جبهتين تقوم على أساس الهجوم في الغرب.

تميزت حياة شليفن العسكرية منذ بدايتها بتأثرها بروح العصر. فقد كانت زيادة الاحتراف والتخصص هما طابع الحياة في أواخر القرن التاسع عشر، وكان لا بد لهذا الطابع من أن يفرض وجوده وواقعه على صفحة تفكير القادة الألمان، وهكذا فعندما بدأ شليفن دراسته العسكرية كان تأثير الاخصائيين والفنيين قد بدأ يطغى على المعتقدات التاريخية الفلسفية القديمة.

اتسع نطاق هيئة أركان الحرب الألمانية بعد سنة ١٨٩١، وزاد عدد أعضائها، إلا أن ذلك لم يغير من طبيعتها باعتبارها معهداً دراسياً، وبقيت واجباتها محددة بتعليم الحرب للحرب والأعداد للعمليات. وكان أهم ما أسهم به شليفن من الناحية الفنية هو ازدياد التطور والتحسين في النقل البري بالخطوط الحديدية، وتنظيم المدفعية الثقيلة - الخفيفة الحركة - برغم معارضة المحافظين المتزمتين من أفراد الجيش، ثم تنظيم بعض الفروع العسكرية الجديدة مثل: مهندسي الجيش والخطوط الحديدية والسلاح الجوي. وكان شليفن معنياً بكل المسائل الفنية الحديثة، إلا أنه لم ينجح

(٤) فون شليفن: SCHLIEFFEN, VON، جنرال الماني (١٨٣٣ - ١٩١٣) عمل رئيساً لهيئة الأركان الألمان خلفاً للماريشال فون مولتكه الكبير، وقد انحدر من عائلة من النبلاء قدمت عدداً من أعلام العسكريين والموظفين المدنيين لخدمة ملك بروسيا، دخل الكلية الحربية (١٨٥٨ - ١٨٦١) ثم عمل في هيئات أركان الوحدات حتى سنة ١٨٧٦ حيث تولى قيادة اللواء الأول من حرس - الاوهلن - في بوتسدام، وبقي في مركزه هذا حتى سنة ١٨٨٣ حيث نقل إلى رئاسة هيئة الأركان العامة. ثم تولى هذه الرئاسة سنة ١٨٩١ وبقي فيها حتى تقاعد سنة ١٩٠٦.

بدرجة كبيرة في جعل الضباط أنصاف الاقطاعيين يؤمنون بضرورة الانتفاع الكامل من المكتشفات الحديثة، فقد بقي الضباط يشكون من هذه المناحي الفنية الحديثة، عازفين عن أن يوكلوا الى الفنيين والمهندسين دوراً رئيسياً في المسائل العسكرية. لقد عُني شليفن عناية كبرى بالتطورات الفنية الحديثة، لا بسبب اعتقاده أن هذه التطورات الفنية ستنزل الاستراتيجية عن عرشها، بل لأنه رأى فيها تحدياً جديداً للقيادة العسكرية، وهو ما أشار إليه مرة بقوله: «**لو قدرنا فوائد التطورات الفنية الثمينة، بين كل الاتجاهات وبالتساوي ومن غير تحيز الى جانب يمنحه أكثر مما يمنح الجانب الآخر، لوجدنا أن هذه التطورات الفنية قد أوجدت أعظم الصعاب، كما سببت الكثير من العقبات في وجه القيادة العسكرية**». وفي الواقع، فان العصر الصناعي قد أظهر أهمية عاملين رئيسيين هما: (السرعة) و(الوفرة في الانتاج) غير أن العامل الثاني كان أبعد أثراً في صناعة الحرب، إذ أنه دعم من القدرة لحشد الجيوش الحديثة، وزاد من قدرة نيرانها زيادة كبيرة، الأمر الذي أسهم في تغيير صورة حرب الحركة بالمقارنة مع ما كانت عليه من قبل (في عهد نابليون بونابرت مثلاً وحتى في أيام فون مولتكه). وتصدى شليفن لمجابهة أولئك الذين تقبلوا في خضوع فقدان خفة الحركة وقوة المناورة، ولم يفكروا في حلول أخرى غير المواقع الدفاعية أو الهجمات الجبهية، وكتب شليفن: «**لقد برهنت الحرب الروسية ـ اليابانية ـ لسنة ١٩٠٥ ـ أنه ما زال بالامكان تحقيق النجاح عن طريق الهجمات الجبهية، برغم كل الصعاب، غير أن نجاحها يبقى محدوداً في أفضل الظروف، إذ بالمستطاع إرغام العدو على التقهقر للخلف، ولكنه بعد وقت قصير يعود ثانية للمقاومة التي يكون قد تنازل عنها مؤقتاً. وهكذا، تستمر الحرب، توقف موقوت عن المقاومة ثم عودة إليها من جديد، وقد يكون من المحال قبول مثل هذه الحروب عندما يكون بقاء الأمة قائماً على التقدم في مجالات التجارة والصناعة. إن استراتيجية الاستنزاف(*) لا تصلح إذا كانت مطالب ملايين الناس لا تتحقق إلا بفقد البلايين منهم. وإن استراتيجية**

(*) استراتيجية الاستنزاف STRATEGY OF ATTRITION.

**التدمير التام والإبادة هي وحدها التي يمكن أن تحفظ للنظام الاجتماعي استمراره وبقاءه»**. أكد الحلف الفرنسي ـ الروسي لسنة **١٨٩٣** أنه في حال قيام حرب أوروبية فان ألمانيا ستضطر لخوض الحرب على جبهتين، وظهر بوضوح أنه من العسير على ألمانيا منافسة كتلة القوات الفرنسية ـ الروسية من حيث عدد الجيوش وحجم القوى والوسائط، ولم يكن باستطاعة حلفاء ألمانيا ـ النمسا والمجر ـ تطوير التسلح لديهما بدرجة كبيرة، كما كان من الصعب اعتبار ايطاليا حليفة طبيعية لألمانيا. وعلاوة على ذلك كله، فقد أخذت بريطانيا ـ العظمى ـ تتحول لتكون خصماً عسكرياً. ولم يبق على ألمانيا إلا أن تعتمد على قدراتها الذاتية، وإلا أن تستثمر موقعها المتوسط في قلب أوروبا إذا ما خاطرت بتقسيم غير متساوٍ لقواتها بزج قوة ضاربة كبيرة جداً على أحد ميداني الحرب في المراحل الأولية لها. وكان من رأي شليفن أن هذه الأفضلية المؤقتة التي تتوافر لألمانيا يجب أن تستخدم لا من أجل كسب المعارك فحسب، بل من أجل الوصول أيضاً إلى نتائج سريعة وحاسمة في الحرب. عكف شليفن على دراسة وصية فون مولتكه الكبير، والقائلة: «بضرورة القيام بحرب دفاعية ضد فرنسا وشن حرب هجومية ضد الروسيا» وتبين لشليفن أن هذه الوصية لا تضمن النجاح المطلوب، حيث ستكون العمليات في الشرق مضيعة للوقت، ذلك لأن سهول الشرق الفسيحة تسمح للقوات الروسية باستخدام (أساليب التخلص التعبوية)(*) أو أساليب تجنب المعركة لاجهاد القوات المهاجمة واستنزاف قدراتها. ثم إن القتال غير الحاسم في الغرب، والحرب الطويلة الأمد في الشرق، ستدفع بريطانيا لتصبح هي المهيمنة على الموقف في أوروبا. **ولهذا قرر شليفن ـ سنة ١٨٩٤ ـ أن يبدأ الهجوم أولاً ضد فرنسا إذا ما اندلعت الحرب في المستقبل. وقد اتخذ شليفن قراره هذا على أساس أن فرنسا هي الخصم الأقوى، وأنها هي الخصم الذي يحشد قواته التي يمكن الاصطدام بها مع التأكد من الحصول على نتيجة حاسمة في وقت مبكر من الحرب. كما أن السيطرة على فرنسا ستحرم بريطانيا من التدخل، وستجعل هذا**

---

(*) أساليب التخلص التعبوي ـ التكتيكي ـ: EVASIVE TACTICS

**التدخل معدوم الأثر في حال حدوثه. ولكن الوصول إلى نتيجة حاسمة في الحرب ضد فرنسا يتطلب عدم التوقف عند حدود إرغام الجيش الفرنسي على التقهقر إلى داخل فرنسا، أو حتى الاكتفاء باحتلال العاصمة ـ باريس ـ. بل لا بد من القضاء تماماً على القوات المسلحة في الغرب وتحطيمها وسحقها.**

عندما وضع شليفن خطته الأولى سنة ١٨٩٤ للهجوم على فرنسا، كانت هذه الخطة تقوم على أساس هجوم جبهي كامل من اللورين. غير أن هذه الخطة لم تضع في حسابها احتمال قيام ـ أو حدوث ـ معارك أخرى كبيرة. كما لم تضع في حسابها ما قد تقوم به فرنسا من تطوير كبير لقدراتها القتالية ـ في مجال التسلح خاصة ـ وهذا ما حمل شليفن على إجراء تعديلات متتاليةعلى خطته طوال الفترة من سنة ١٨٩٤ وحتى سنة ١٩٠٥. وقد تركزت هذه التعديلات بصورة أساسية على إعطاء قوة دفع كبيرة للجناح الأيمن الألماني الذي يعمل على القيام بحركة استدارة واسعة عن طريق اللوكسمبرغ وبلجيكا وجنوب هولاندا.

أعطت مذكرة سنة ١٩٠٥، لهذه الآراء الاستراتيجية الخاصة بالقتال في الغرب صورتها التقليدية ـ الكلاسيكية ـ ولو أن شليفن قد بقي حتى وفاته يعيد دراستها واختبارها وبحث مشكلاتها. وقد وافقت هيئة أركان الحرب الألمانية، كما وافقت الحكومة الألمانية، على مبدأ الحرب في الجبهتين مع القيام بهجوم خاطف ضد فرنسا ـ برغم ما في ذلك من مخاطرة سياسية كبيرة بسبب انتهاك حياد بلجيكا وهولاندا ـ وكان التخطيط يتضمن أيضاً الدفاع عن الجبهة الشرقية بقوات صغيرة، على أن تستخدم ثمانية أتساع الجيش الألماني للقضاء على قوات فرنسا المسلحة. ومع هذا، فانه كان على الجيش الألماني في الشرق ـ تبعاً لآمال شليفن ـ ألا يرتد فوراً إلى وراء قلاع نهر الفستولا[٥] بل يجب عليه أن يحاول مهاجمة الجيوش

---

(٥) نهر الفستولا: VISTULE وباللغة الألمانية (ويسل: WEICHSEL) وباللغة البولونية (ويسلا: wisla) وهو نهر بولوني، يخترق كراكوفيا: CRACOVIE وفارصوفيا ويرفده نهر بيليكا PILICA ونهر ناروباغ NAREW- BUG ويشكل دلتا عندما يصب في دانزيغ: DANTZIG على بحر البلطيق. وطول النهر ١٠٧٠ كيلومتراً. وقد انتصر الروس على الألمان بالقرب منه سنة ١٩١٤.

الروسية التي ستضطرها طبيعة المنطقة الغنية بالبحيرات إلى تقسيم قواتها المتقدمة عبر بروسيا الشرقية - بدلاً من التقدم في كتلة واحدة قوية - . وقد تستطيع القوات الألمانية الأقل عدداً من الحصول على النصر إذا ما هي استخدمت بكفاءة الحركة على الخطوط الداخلة - أي نقل القوات بسرعة من جبهة إلى أخرى - مع اللجوء إلى عمليات التطويق الاستراتيجي. استخدمت مباريات الحرب لاختبار مخططات شليفن في مرات عديدة، ونظر بعض القادة إليها على أنها تطبيق لمخطط (هاني بعل - أو هانيبال)(*) في معركة كاني في حين نظر إليها آخرون على أنها تطوير لمعارك (فريدريك الكبير)(**) ففي معركة كاني ٢١٦ق.م. استطاع هاني بعل تدمير جيش روما تدميراً تاماً بحركة تطويق للجناحين. وقد رأى شليفن أن كل كبار القادة في التاريخ قد حاولوا القيام بتنفيذ العملية ذاتها. وإذا كان فريدريك الكبير لم ينجح في تطبيق مخطط معركة كاني فذلك لأنه لم يكن يمتلك القوات الكافية لتنفيذها، فجاءت انتصارات فريدريك - من وجهة نظر شليفن - مماثلة لمعركة كاني ولكن بصورة غير كاملة. وقد أبدى نابليون وهو في ذروة مجده صورة مشابهة لصورة هاني بعل في حملة سنة ١٨٠٥ التي انتهت بانتصاره الرائع في (أولم). ولم تكن هزيمة نابليون بدورها إلا نتيجة لتطبيق استراتيجية تماثل استراتيجية معركة كاني، لا سيما في معركتي ليبزيغ وواترلو. وكان هذا الحديث صحيحاً أيضاً بالنسبة لمعركة (سادوفا) وإن لم يصل التنفيذ فيها إلى تلك الدرجة الكبيرة من المهارة، غير أن معركة (سيدان) جاءت صورة كاملة وصحيحة عن (كاني). وهكذا، كان شليفن يميل إلى تبسيط التاريخ العسكري، وقد كون آراءه الاستراتيجية في دراسة الأساليب التعبوية - التكتيكية - الحديثة، ثم استطاع بسهولة كبيرة أن يتعمق بهذه الآراء الحديثة إلى الماضي التاريخي. ويمكن التساؤل بعد ذلك ما اذا كانت استراتيجية نابليون بالاختراق في الوسط، توضح أبسط الصور لعبقريته العسكرية؟...

---

(*) لمزيد من المعرفة عن هانيبال ومعاركه يمكن الرجوع للكتاب الثاني من هذه المجموعة.

(**) يمكن مطالعة معارك فريدريك الكبير- في الكتاب الخامس من هذه المجموعة.

لقد كان واضحاً أن الهجوم الجبهي بات أقل تأثيراً وأبهظ ثمناً مما كان عليه في الماضي بسبب قوة النيران الحديثة. الأمر الذي أكد بأن تقدم الفن العسكري خلال الخمسين سنة التي جاءت بعد سادوفا قد جعل الدفاع التعبوي ـ التكتيكي ـ أكبر قوة مما كان عليه من قبل. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فان الحاجة الكبرى للامداد بالذخائر التي تتطلبها الجيوش الحديثة، الكبيرة بعددها، قد جعل خطوط مواصلاتها أكثر تعرضاً، فبات الهدف الحقيقي للهجوم الجانبي هو توجيه الضربات إلى خطوط العدو الخلفية، ولم يعد يكفي طي جناحي العدو نحو قلب مواقعه ـ أو وسطها ـ إذ أن مثل هذا لن يؤدي إلا إلى نصر عادي. وصار لا بد من القيام باستدارة عميقة تصل إلى مؤخرة العدو ـ أو قواعده الخلفية ـ وتمكن من القضاء على قوات العدو وتدميرها تدميراً كاملاً.

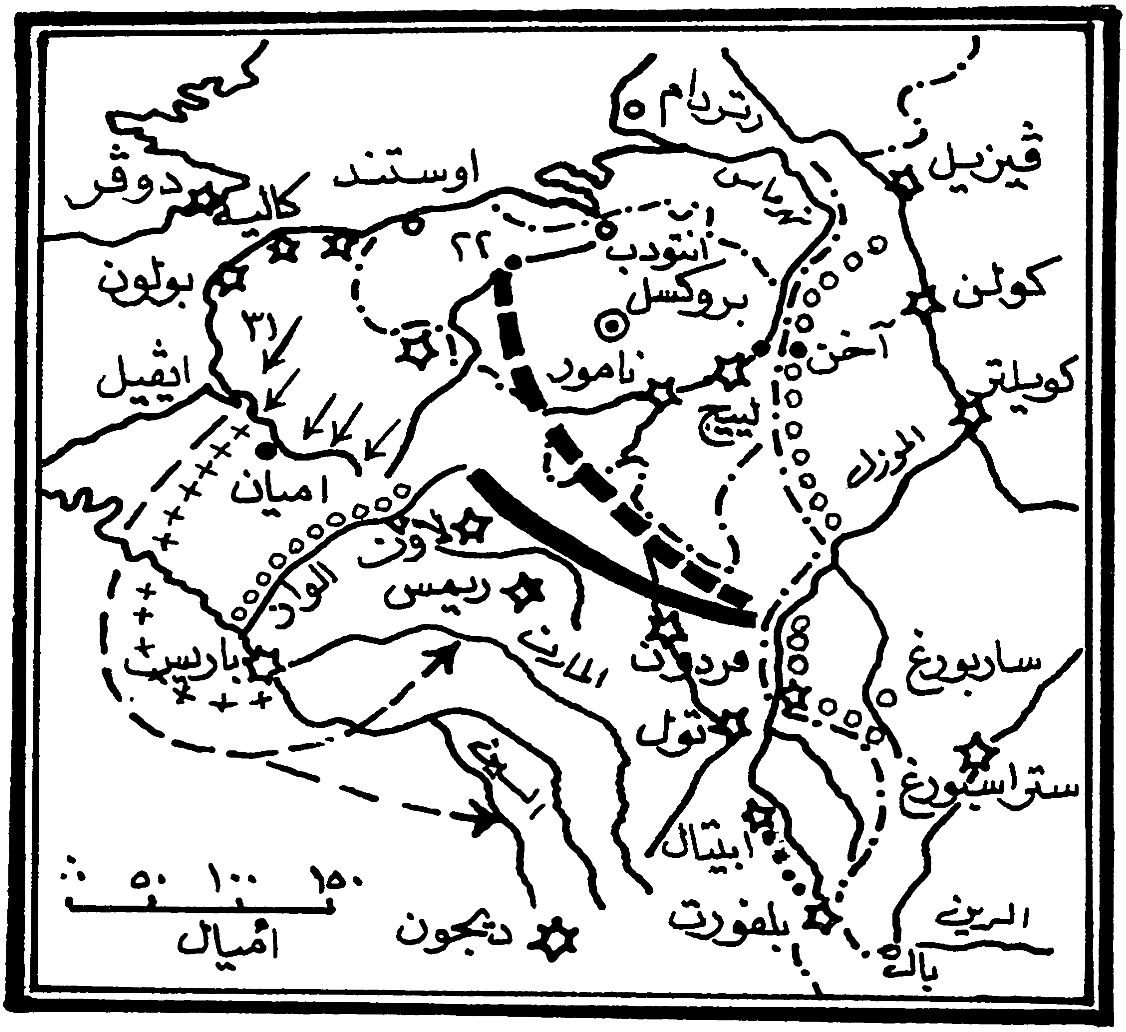
تكونت لدى شليفن قناعة تامة بأن الاستدارة العميقة لتطويق جانبي العدو هي أقوى ما يمكن للاستراتيجية تحقيقه. ذلك لأن هذه الاستراتيجية تتضمن الحل الوحيد لمسألة تغلب الجيوش الأضعف عدداً على الجيوش المتفوقة في موازين القوى، ولكن بشرط أن تتوافر للجيوش الأقل عدداً القدرة على حل مشكلات مثل هذه المعركة. وقد كانت كلمات (فريدريك الكبير): بأنه لا حاجة إلى اليأس عند مواجهة عدو أكبر عدداً ما دام باستطاعة القائد تنظيم أوضاعه للتغلب على هذا النقص العددي في قوته. كانت، هي القاعدة التي عمل على أساسها شليفن ليبث في جمهرة الضباط الألمان هذا الأمل الذي يملؤه بالثقة في امكان التغلب على النقص العددي الذي يقدره في قواته.

تضمنت خطة الحرب التي قدمها شليفن سنة ١٩٠٥، القيام بالهجوم ضد فرنسا بقوة ثمانية جيوش تتكون من ٧٢ فرقة من المشاة، و١١ فرقة من الفرسان، ثم ستة وعشرين لواء ونصف لواء من قوات الاحتياط الأول ـ لاندفير ـ وأضاف إلى هذا تصميمه على استخدام ثمانية فيالق من الاحتياط الثاني ـ الارساتز ـ وذلك بمجرد أن تتم تعبئتها. وأن يكون الحشد الأكبر لهذه الجيوش بين (متز) و(اكس لاشابل). وعلى أن

تكون القوة الأكبر مركزه على الجناح الأيمن الألماني. وأن يوضع جيش واحد من تسع فرق من المشاة وثلاث فرق من الفرسان ولواء واحد من الاحتياط الأول بين متز وستراسبورغ. وأن يترك اقليم الألزاس خالياً من القوات - باستثناء ٣ ألوية - ونصف اللواء - من الاحتياط الأول لتغطية الضفة اليمنى للراين. وأن تكون قوة الجناح الألماني الأيمن بالنسبة لقوة الجناح الأيسر كنسبة سبعة إلى واحد.

كان الهجوم الذي يصل في مرحلته الأولى إلى الخط من فردان إلى دنكرك يدور حول المحور في متز. وقدر شليفن بأن من الواجب الوصول إلى خط السوم في اليوم الحادي والثلاثين للتعبئة، وأن تكون القوات قد اجتازت أميان وآبفيل، وأن توجه المرحلة التالية والحاسمة بالعمليات ضد السين الأسفل والذي يؤدي عبوره إلى المرحلة النهائية للمعركة، وفي تلك اللحظة يدور الجناح الألماني الأيمن نحو الشرق ويعمل جنوب باريس ضد السين الأعلى. وبذلك يلقي بالجيوش الفرنسية ويدفعها نحو القلاع الفرنسية والحدود السويسرية (انظر المخطط المرفق لخطة شليفن للعمليات - ١٩٠٥).

**كانت جرأة خطة شليفن تكمن في المجازفة التي كان راغباً في القيام بها بجمع القوة الأكبر في الجناح الألماني الأيمن، إذ كان من الضروري أن يكون هذا الجناح قوياً، لا بالدرجة التي تكفي لتمزيق أية مقاومة أثناء اجتياح بلجيكا فحسب، بل وبالدرجة التي تساعده على قوة اندفاعه في التقدم طوال خمسة أو سبعة أسابيع، مع استاع حركة الدوران للشمال وللغرب، وكان من المتوقع أن يكون الجيشان الألماني والفرنسي متساويين في القوة من الناحية العامة.** ولهذا كان بالمستطاع جمع قوة كافية لتنفيذ هذا المشروع المليء بالأطماع بشيء واحد هو اهمال الألزاس، وحتى بالسماح للفرنسيين بفرصة عبور الرين الأعلى. وقد توقع شليفن بـألا يترك الفرنسيون في قلاعهم قوات كبيرة. وأن القوات الفرنسية التي ستقوم بغزو الألزاس أو جنوب ألمانيا ستضطر لفورها إلى الانسحاب بضغط تهديد الجناح الألماني الأيمن الذي يقوم بحركة الالتفاف، وحتى إذا ما فعل




خطة شليفن للعمليات / ١٩٠٥/

الفرنسيون هذا، فانهم سيفعلونه متأخرين إلى الحد الذي لا يجعله مؤثراً في نتيجة الحملة. وقد أشار شليفن في عرضه للمباريات الحربية لسنة ١٩٠١ إلى التعارض بين آرائه الاستراتيجية وآراء مولتكه بقوله:

«لقد كنا في سنة ١٨٧٠ قادرين على مهاجمة جبهة العدو، وقد مكنتنا الأفضلية العددية التي توافرت لنا يومذاك من الاشتباك بالعدو، والدوران حول جناحه الممتد، ثم ضرب جنبه. ولكننا لا نستطيع حالياً الاعتماد على الأفضلية العددية، حيث يمكن لنا أن نتعادل مع قوته العددية - في أفضل الظروف - بل إنه لأمر ضروري أن نقنع بأن نكون أقل عدداً منه، وبذلك تضطرنا الحاجة إلى التفكير في طريقة نستطيع بها قهر العدو بقوات أقل عدداً من قواته. وليس هناك عَلاج وحيد، أو مشروع واحد لحل مشكلة التفوق. ولكن هناك فكرة واحدة يمكن الأخذ بها واعتبارها صالحة، وهي: **عندما يكون الفرد أضعف من أن يهاجم الكل، وجب عليه أن يهاجم الجزء**. وهنا تبرز إلى الضوء عدة صور منها اعتبار مجنبة الجيش - جناحه - هي الجزء الذي يناسب المهاجم الأضعف في قوته العددية». وقد يكون الهجوم على الجنب صعباً عندما يستخدم العدو الوحدات الصغرى المنفصلة - فصيلة أو سرية أو كتيبة - غير أن هذا الهجوم يكون أكثر سهولة كلما زادت قوة العدو، وكلما امتدت خطوط مواصلاته - امداده - وكلما ازداد الوقت الذي يحتاجه لدعم مجنبته المعرضة للهجوم بقوات يسحبها من الجنب الآخر. ولكن كيف يهاجم جيش العدو؟! يجب أن يتم الهجوم لا بقوة فيلق أو فيلقين، بل بجيش أو بعدد من الجيوش، يتم توجيهها لا ضد جنب العدو لتطويقه، بل ضد خط تقهقره بحركة التفاف عميقة، الأمر الذي يماثل ما حدث في (اولم) وما حدث في حملة شتاء سنة ١٨٠٧، ثم ما حدث في سيدان. ونتيجة لهذا سيحدث الاضطراب في صفوف العدو، وتسنح الفرصة لمعركة جبهية ذات اتجاه معاكس - معركة افناء وإبادة، معركة تقع على مؤخرة العدو حيث تعمل الموانع والعوائق على تعطيل حركته».

تتضمن هذه الكلمات خلاصة فكرة - شليفن - الاستراتيجية

للتغلب على مشكلة: «**كيف يمكن القيام بحروب قصيرة حاسمة ضد عدو أكبر قوة؟**». وقد ألح ـ شليفن ـ لزيادة عدد أفراد الجيش الألماني، وجاءت هذه الزيادة على فترات بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٦. ومع هذا، فان المانيا لم تدرب حتى هذا التاريخ إلا ٥٤ بالمائة من شبابها، بينما كانت فرنسا قد دربت ٧٨ بالمائة من شبابها الصالحين للتجنيد. والواقع، ان شليفن لم ينصح قط بالتعبئة العامة لكل الرجال الألمان. بل كل ما أوصى به هو إعداد القوات الكافية للعمليات، فان الفكرة الاستراتيجية وكفاية الأفراد كانتا في تقديره أهم من الأفضلية في العدد ومن التكتل. وبهذه الروح حاول شليفن تدريب أعضاء هيئة أركان الحرب الألمانية، هادفاً إلى زيادة اعدادهم وإكمال كفاءتهم على مر السنين. وكانت أغلب آراء شليفن هي التكملة المنطقية للتقاليد المتوارثة من تجارب فريدريك الكبير ونابليون بونابرت ومولتكه، مع تطبيقها في ظروف الحرب الحديثة. **وقد بلغ شليفن ما لم يصل إليه أسلافه من القادة العظماء، بتخطيطه السابق لموعد التنفيذ: ليس فقط لعمليات التعبئة والنقل والحشد، ولا لتوجيه الهجوم وحسب، بل وللمعركة الحاسمة ذاتها. وبذلك أكسب ما قيل في الحديث عنها ـ خطة شليفن لسنة ١٩٠٥ ـ مكانها الصحيح في تاريخ الاستراتيجية**. وإن كان من الضروري ملاحظة بأنه ليس من الصحيح القول في الحديث ـ خطة شليفن لسنة ١٩٠٥ ـ إذ أن الوثيقة المشار إليها لم تكن أكثر من مخطط، أو مشروع لخطة تستند إلى قوة لم تكن إذ ذاك موجودة تحت تصرف القيادة الألمانية العليا. ولقد كان نابليون يفخر بأنه قد خطط من قبل مسير كل حملاته، ولكن ما حدث فعلاً يتعارض مع هذا، وفي الجملة، **فان نابليون كان ولا شك يتفق مع مولتكه في قوله: «بأن رغبة العدو تحول دون إمكان تخطيط سير الحرب قبل بدئها». ولكن شليفن كان يؤمن بامكان تعطيل رغبات العدو ونواياه وذلك بارغامه من البداية على الوقوف موقف الدفاع**. وكان هذا يتطلب الاسراع في العمليات، أي أن تتوافر للعمليات غاية ما يمكن تحقيقه من السرعة. ولم يكن هذا جديداً في تاريخ فن الحرب، إذ أن خفة الحركة الكبيرة كانت في كل العصور هي بالضرورة العامل الحاسم لتحقيق النصر العسكري. وكل ما فعله ـ شليفن

ـ هو أنه طبق المبادىء والقواعد القديمة، في بلاد تتوافر لها وسائط النقل والمواصلات الجيدة. ولقد أكد ـ شليفن ـ بالاضافة إلى هذا، أن نجاح مثل هذه العملية الاستراتيجية يتوقف على السيطرة الكاملة في كل منطقة الأرض، أو بمعنى أصح السيطرة على عامل المسافة، وذلك لمنع العدو من توجيه أية عمليات استراتيجية. وكانت خطة شليفن لغزو شمال فرنسا عن طريق بلجيكا وهولاندا تقوم إلى حد بعيد على أساس الرغبة بابقاء الجيش الفرنسي في النطاق الذي لا يستطيع التحرر منه ـ أي في المنطقة الممتدة بين القنال الانكليزي وبين جبال الألب السويسرية. وقد حذر المرة بعد المرة بأنه من الضروري أن يصل الجيش الألماني الأول إلى القنال وإلى (آبفيل). وإلا كان من الصعب تجنب عمليات تطويق الجنب التي قد يحاولها العدو. وسيجد الجيش الفرنسي ـ عندما يواجه بجيش ألماني يحمي الساحل الفرنسي جنبه الأيمن ـ بأنه من الصعب عليه أن يمد جناحه الأيسر في الوقت المناسب، وبالقوة الكافية لوقف الهجوم الألماني، بخاصة إذا ما شغل في الوقت ذاته قلب الجيش الفرنسي بالمعركة. ولم تترك خطة ـ شليفن ـ للجيش الفرنسي فرصة للاختيار الاستراتيجي، بل تركت له وسيلة واحدة للعمل هي: الهجوم في الألزاس واللورين. وكان هذا الهجوم سيزيد من متاعب الفرنسيين، فضلاً عن أنه لن يمكنهم من الحصول على نتائج حاسمة. ولم يعلق ـ شليفن ـ أهمية كبرى على أخطاء العدو، غير أنه لم يسقط من حسابه امكانات استثمار هذه الأخطاء لدعم النجاح في عملياته. وتوقع حدوث هذه الأخطاء من جانب الفرنسيين باعتبارها نتيجة طبيعية للتحركات المتسرعة والمتضادة في مجابهة توزيع القوات الألمانية ومواقفها غير المتوقعة. لقد كان شليفن جريئاً، مقداماً، وعلى استعداد كامل للمجازفة المحسوبة. غير أنه لم يكن مغامراً، ولهذا فقد رفض منذ البداية الاعتماد على خطة فرنسية خاطئة يجعل منها أساساً لوضع مشروعه الاستراتيجي.

وإذا كان ـ شليفن ـ قد أراد أن يحول الحرب كلها إلى معركة واحدة يضع تخطيطها قبل موعد تنفيذها. وأن يضع هذا التخطيط متمشياً مع خطط التعبئة والنقل، ومنسقاً مع الحشد الأولي للجيش، إذا كان قد أراد

هذا، فانه ولا شك قدر احتياجه إلى تنظيم كامل مدرب تماماً يتولىْ قيادة الجيش حتى يمكن تنفيذ هذا التخطيط، وهنا يتدخل ـ شليفن ـ ليصور في وقت مبكر ما يجب أن يكون عليه القائد العام للجيش في أول حرب عالمية ـ بقوله:

**«لا يمكن للقائد العام في العصر الحديث أن يقف مثل نابليون في ثيابه الزاهية فوق التل. ولن يمكنه أقوى منظار مكبر من رؤية الكثير من أرض المعركة. ثم أن جواده الأبيض سيكون هدفاً واضحاً لنيران عدد لا يحصى من بطاريات المدفعية. إن القائد العام في العصر الحديث سيكون مقيماً في منزل صغير يقع في المؤخرات، وبه عدة غرف تستخدم لأعمال المكاتب التي تتصل بأجهزة الهاتف واللاسلكي، على حين يقف رتل من الدراجات الآلية والسيارات في انتظار الأوامر للتحرك لمسافات بعيدة. وفي هذا المنزل، وفوق مقعد مريح وأمام خارطة كبيرة، سيجلس الاسكندر الحديث، مطلاً على أرض المعركة كما توضحها له الخارطة، وفي هذا المنزل، ينقل له الهاتف كل الأحاديث المشجعة، ويتلقى فيه تقارير قادة الفيالق والجيوش، وتقارير المناطيد التي تراقب تحركات العدو، وتكشف مواقع قواته».**

أوضح ـ شليفن ـ لضباطه: «أنه سيكون من المحال عليهم دائماً إصدار أوامر محددة للمعركة، وعلى أية حال، فان أوامر الهجوم قد استبدلت بأوامر السير ـ الحركة ـ وليس معنى هذا تلك الأوامر التي تقود مباشرة إلى أرض المعركة، وإنما الأوامر التي تبدأ بها تحركات الجيش بعد أن يتم احتشاده الأول والتي تقوده في النهاية فقط إلى الاصطدام بالعدو. وفي تقبلنا لتصوير عادي لسير الحوادث، فان الفيالق ستشكل خط المعركة في بساطة عندما تقابل العدو، وتقوم بالهجوم، وسيجيء من التوجيه الذي في أوامر السير التوجيه لعمليات التطويق والاختراق وغيرها. أو بمعنى آخر وبايجاز ـ ستجيء صورة المعركة كما خطط لها القائد العام. ولكن من العسير تقدير كل شيء حتى تسير الحوادث في هذا المسار الهين البسيط. فقد تحدث حوادث مختلفة تتطلب تحولاً عن الخطة الأصلية، هنا وهناك،

وفي هذه الحال لن يكون بالمستطاع الرجوع دائماً إلى القائد العام وطلب الأوامر منه، إذ قد يتعطل الهاتف، أو اللاسلكي، أو غيره من وسائط الاتصال. وبذلك سيواجه قائد الفرقة أو الفيلق بضرورة اتخاذ القرار المناسب ـ على أنه لكي يتمشى هذا القرار مع مخطط القائد العام وتفكيره، فانه لزاماً على القائد العام ابقاء مرؤوسيه على معرفة تامة بتطورات الموقف. وفي الوقت ذاته، فانه يجب على القادة المرؤوسين الالتزام بمخطط القائد العام للعمليات، وأن يعرفوا بعمق ما يراود القائد العام من تفكير وآراء».

كانت مخططات مولتكه الكبير للعمليات تفسح بسبب مرونتها مجالاً كبيراً للأخطاء عند تنفيذها. وجاءت مخططات شليفن مناقضة لذلك، إذ أن استراتيجيته تطلبت درجة كبيرة من الدقة في رسم تفاصيلها. والواقع أن مولتكه لم يكن أبداً في موقف يمكنه من فرض رغبته إلى ذات الدرجة التي توافرت للسعداء الذين خلفوه وجاءوا بعده. وعلى أية حال كان الجيوش الحديثة ـ تبعاً لاحتشادها وتكتلها ـ باتت تتطلب تنسيقاً أكثر دقة إذا ما بقيت تمارس عمليات خفيفة الحركة لا سيما عندما تستعيض بقوة المناورة عن النقص النسبي في القوى العددية. ولهذا فقد وجه شليفن عناية كبيرة إلى الاستراتيجية في تدريبه لأعضاء هيئة أركان الحرب. وقد دهش الكثيرون من الضباط لدى رؤيتهم لبعض صغار الضباط في هيئة أركان الحرب وقد سمح لهم بادارة المناورات لوحدات كبيرة من الجيش.

**لقد ترك شليفن أثراً عميقاً في هيئة أركان حرب الجيش الألماني، امتد إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية. وليس اقدام القيادة النازية على طبع مجلديه الأول والثاني في سنتي ١٩٣٧ و١٩٣٨ الا برهاناً على المكانة الرفيعة التي احتلتها أفكاره الاستراتيجية وتعاليمه لادارة الحرب. وفي الواقع، فان شليفن لم يتنبأ بالحرب الشاملة، ولو أنه خشي من أن تؤدي التغييرات الاجتماعية الأساسية إلى حرب طويلة الأمد. وقد أضاف ظلاً قاتماً إلى أفكاره وتعاليمه بنتيجة ما عبر عنه من قلق مصدره الخوف من فشل الاستراتيجيين المعاصرين في المحافظة على مكانتهم وقوة تفكيرهم.**

ولقد اكتسب شليفن مكانته في تاريخ فن الحرب باعتباره مفكراً عسكرياً ورائداً من رواد الاستراتيجية. ومن غير الممكن القول ما اذا كان باستطاعته فرض وجوده كقائد ميداني عظيم في الحرب لو أتيحت له فرصة ادارة الأعمال القتالية.

وعلى كل حال، فالأمر المؤكد هو أنه قد توافرت لفون شليفن الخواص التي بدا أنها تؤهله بذاته للقيادة في الحرب. ولم يرتبك تفكيره قط بالاعتبارات القليلة القيمة، ولم يكن ليضطرب بالأحداث، ثم انه بالرغم من هدوء طباعه، فان شخصيته المشعة كانت تبعث قوة تلهب كل أولئك الذين يحيطون به، وكان طلابه يؤمنون بأنه سيكون أستاذاً عارفاً بصناعته وسيداً عظيمًا في ميدان المعركة كما هي الحال وهو أمام ـ خارطة العمليات ـ في مكتبه. ولم يكن بين قادة الحرب العالمية الأولى من يمكن أن يقارن أو يوازن بعظمته هو، وكما حدث بالنسبة لشارنهورست مات شليفن في وقت كانت ألمانيا تعد فيه أمراً هاماً شغله حتى آخر لحظة من حياته في كانون الثاني ـ يناير ـ سنة ١٩١٣ في حل مشكلات ألمانيا العسكرية. ولقد بقي ظله واضحاً للنظارة يسيطر على كل التصرفات في الحرب العالمية الأولى، ثم في الحرب العالمية الثانية ـ ومن الصعب تقدير تأثيره ونفوذه على الفكر العسكري الألماني. وقد أطلق عليه ـ الجنرال بيك ـ رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية في الفترة التي أعادت فيها ألمانيا تسلحها من جديد سنة ١٩٣٨ ـ المقولة التالية: «كان شليفن هو الأول بين عمداء أساتذة الاستراتيجية». ولو أن الجنرال (جون ـ فرينتش)[٦] قد أضاف إلى رأيه الخاص تحذيراً جاء فيه: «إن التقدم الكبير والمتزايد في المسائل الفنية منذ وفاة شليفن قد أظهر بعض قواعده ومبادئه تظهر وكأنها لم تعد صالحة ولا مقبولة».

لقد أظهر شليفن اهتمامه بتدريب الفنيين والمهندسين، وعندما

---

(٦) جون فرينتش: (FRENCH- JOHN) فيلد ماريشال بريطاني (١٨٥٢ـ ١٩٢٥) تولى قيادة القوات البريطانية في أوروبا ـ على جبهة الايبر YPRES ـ في الفترة (١٩١٤ ـ ١٩١٥) وحقق نجاحاً حصل على أثره على لقب (كونت الايبر).

**جاءت الحرب العالمية الأولى، كان ضباط المدفعية الثقيلة والمهندسون العسكريون للخطوط الحديدية هم وحدهم الذين توافرت لهم الكفاءة حقاً للاضطلاع بواجباتهم، ولم يكن سلاح الجو الألماني ولا سلاح الاشارة كافياً او صالحاً للقيام بدوره على الوجه الأكمل. والأسوأ من هذا هو أن قيادة الجيش لم تكن متأهبة لاستخدام الامكانات الفنية الجديدة. ثم جاءت معارك الدبابات في سنة ١٩١٨ لتحدث تغييراً كبيراً ظهرت نتيجته في تنسيق الخدمات الفنية والعسكرية في جيش هتلر.**

**عاش شليفن حياته للحرب ومن أجل الحرب، ووقف وجوده على حل المشكلات العسكرية التي كانت تظهر في أيامه. وقد تركته وفاة زوجته الصغيرة - بعد حياة زوجية قصيرة - عازفاً عن كل شيء إلا واجباته - رئيساً لهيئة أركان الحرب - . وقد كان هذا الانصراف الكلي من جانب شليفن نحو واجباته العسكرية شيئاً اعتبره بعضهم أنه غير انساني، في حين كان يظهر لطلابه ومريديه أبداً على أنه مثالي في انسانيته. كما أوضح عقله وتفكيره لأولئك الذين يتوقون للتعمق في أسرار القيادة الحديثة ما توافر له من اجتذاب مسيطر أخاذ. ولقد كانت مخططاته للحرب هي أعظم آثاره على الاطلاق. ولكن ماذا كان نصيب تلك المخططات من النجاح عندما تولى قادته من بعده أمر تنفيذها.**

## ٢ - فون مولتكه، وخطط الحرب.

تولى (فون مولتكه - الصغير) رئاسة هيئة الأركان العامة الألمانية خلفاً للكونت شليفن، وأصبح لزاماً عليه متابعة الجهد الذي بذله استاذه شليفن في مجال الاعداد للحرب. وكان من نصيبه الاشراف على تنفيذ تلك المخططات، التي عمل على تعديلها، عندما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى.

كان أول تغيير ظهر في عهد فون مولكته الصغير هو ذلك الذي تعرّضت له هيئة القيادة العليا للجيش الألماني حتى بات من العسير إجراء مقارنة مباشرة بين تكوين هذه القيادة في عهد مولتكه وبين ما كانت عليه في

عهد شليفن. وجدير بالذكر أن شليفن كثيراً ما كان قد ردد في أحاديثه وجهة نظره في مستقبل القيادة الألمانية، حيث قال: «**بأنه سيكون للجيش قائد حقيقي يتولى السلطة كلها**». غير أن شليفن لم يكن يتوقع يقيناً أن يكون هذا القائد متردداً في آرائه الاستراتيجية، كما أنه لم يكن يتوقع بالتأكيد أن يترك في اللحظة الحرجة لضابط صغير اصدار قرار تاريخي حاسم نيابة عن القائد الأعلى وباسمه، وذلك على نحو ما فعله عقيد - اسمه هنتش - عندما أصدر باسم مولتكه الأوامر بتقهقر الجيوش الألمانية التي في أقصى الغرب - أثناء معركة المارن -. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فقد يكون من غير العدل، ومن غير المنطق، القول بأن الحملة الفرنسية في آب - أغسطس - سنة ١٩١٤ كانت اختباراً لخطة - شليفن - إذ أن الموقف في سنة ١٩١٤، كان مغايراً تماماً لما كان عليه، في سنة ١٩٠٥. فقد استطاعت روسيا بعد هذه السنة حشد قوات جديدة. وفي الوقت ذاته كانت فكرة الحرب الهجومية قد أوغلت عميقاً في أذهان أفراد هيئة أركان الحرب الفرنسية.

**لقد تبع فون مولتكه الصغير فكرة - شليفن - في القيام بدفاع ضعيف في الشرق، مع عمليات هجومية قوية في الغرب، ولكنه مع هذا عدل كثيراً من خطة شليفن للجناح الأيمن الذي يقوم بحركة الالتفاف الواسعة - الاستدارة - فبينا كانت النسبة بين الجناحين الأيمن والأيسر في تخطيط شليفن هي نسبة سبعة إلى واحد، فان مولتكه قد جعلها بنسبة ثلاثة إلى واحد.**

كان مولتكه الصغير - يرى - وهو على حق فيما يراه - بأن هناك خطراً من احتمال اندفاع القوات الفرنسية عبر الألزاس واللورين. غير أن ذلك لم يكن سبباً مقنعاً لما أقدم عليه مولتكه من دعم قوي للجناح الألماني الجنوبي على حساب الجناح الشمالي. لا سيما وأنه كان باستطاعة الجناح الأيمن الافادة من التحصينات الدفاعية القوية المتوافرة في تلك المنطقة. وكان باستطاعة مولتكه توزيع قواته توزيعاً آخر لو كانت لديه القناعة بأن الهجوم الفرنسي سيمكنه من الحصول على فرصة حاسمة في الالزاس

واللورين. إذ لو ترك الفرنسيون قلاعهم وأرسلوا نصف جيشهم إلى اللورين لأمكن دفع جناحهم الجنوبي نحو الفوج والرين، ولأمن تدميرهم، وبذلك يضيع كل أمل للفرنسيين في المقاومة. وفضلاً عن هذا فان معركة اللورين ستحدث قبل ثلاثة أو أربعة أسابيع من الموعد المحدد لحسم الصراع - وفقاً لما كان متوقعاً في خطة شليفن لسنة ١٩٠٥ -. وهكذا نظر مولتكه إلى الجناح الألماني الأيمن نظرة أخرى، كان واجبه الرئيسي إغراء الفرنسيين لتوجيه هجومهم إلى اللورين. وفي هذه الحال فان الجيوش الألمانية تسير في طريقها عبر بلجيكا. ولكن استمرار السير نحو باريس قد يكون أقل أهمية إذا استطاع الجناح الألماني الأيسر أن يقوم بضربة حاسمة، وقد اختار مولتكه الصغير - في تقليد غير كامل لعمه مولتكه الكبير - أسلوباً طليقاً من أساليب الاستراتيجية.

كان شليفن قد أراد منح الفرنسيين فرصة تثبيت سير الاستراتيجية الألمانية نتيجة لتصرفاتهم هم ذاتهم. في حين جعل مولتكه الصغير توجيه عملياته معتمداً - جزئياً - على رغبة العدو. وقد سبب هذا الاتجاه ظهور عناصر غير مؤكدة في الأهداف الاستراتيجية للقيادة الألمانية العليا، وكان من الضروري أن يبقى مولتكه على اتصال مباشر ودائم وأن ينظم عملياً تبعاً لتفكيره العسكري حتى يضمن تنسيق التعاون بين القوات، وحتى يضمن الوصول إلى الموقف النهائي والحاسم في مسيرة العمليات. وكان بالمستطاع أن يحقق مولتكه هدفه بالحصول على معركة حاسمة في اللورين لو أنه أصر على الجيشين السادس والسابع بالعمل تبعاً للخطة الأصلية - الأساسية - والتي كانا سيتقهقران بموجبها نحو الخلف ليسحبا الفرنسيين بعيداً عن قلاعهم، ولو أنه عمل في الوقت ذاته على اتخاذ الاجراءات الصحيحة لابطاء سرعة تقدم الجناح الألماني الأيمن، ولو أنه نقل ثقل القوات من اللورين - بحسب ما تضمنته الخطة الأصلية(*) غير أن مولتكه

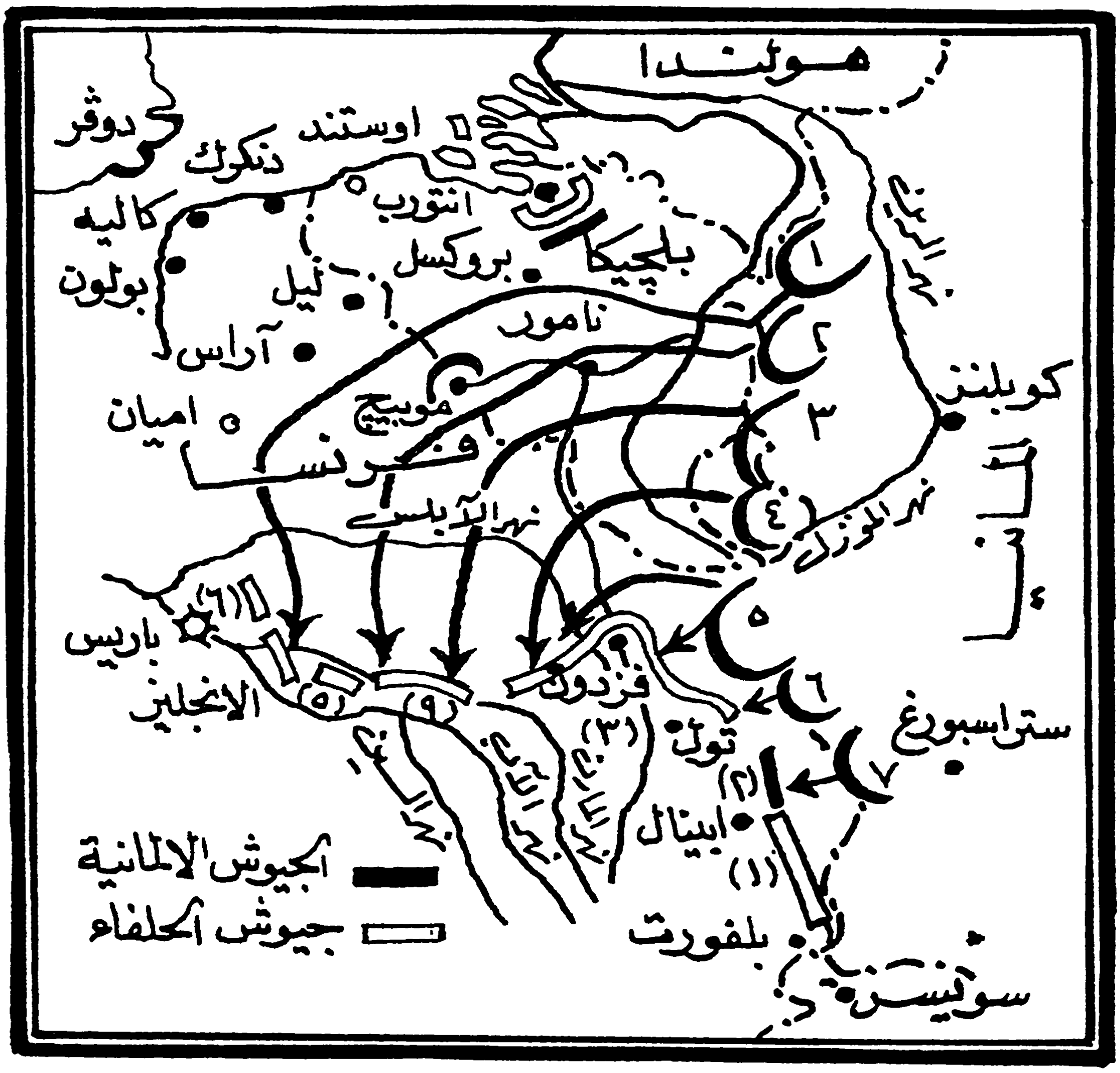
---

(*) تجدر الاشارة إلى أن الجنرال الألماني - فيتز - والذي عمل رئيساً لهيئة أركان حرب الماريشال لودندورف في سنتي ١٩١٧ - ١٩١٨، عمل على نشر دراسة دقيقة في سنة ١٩٣٩ دعمها بحجج قوية وبرهن فيها على أنه كان بالمستطاع تحقيق النجاح في هذا المشروع لو أنه نفذ بصورة صحيحة.

لم يفعل شيئاً من ذلك كله، وإنما عمل بدلاً عن ذلك بشن هجوم جبهي في وقت مسبق، فأرغم الفرنسيين على التراجع نحو منطقة أمنهم، في داخل حصونهم القوية. ثم دفع قواته لاقتحام الخطوط الفرنسية اقتحاماً مباشراً أوقع الجيش السادس في مأزق خطير، وحال دون سحب أي قوات من الجناح الأيسر الألماني لدعم الجناح الأيمن. ومن المحتمل أن يكون مولتكه الصغير قد وجد في مذكرات عمه ـ مولتكه الكبير ـ ما حمله على أن يكون أكثر مرونة وليونة في تعامله مع قادة جيوشه. فكانت بساطة شخصيته وافتقاره إلى الحزم والتصميم هما السبب الحقيقي لما حدث.

كان الجناح الألماني الأيمن في سنة ١٩١٤ ـ ومنذ البداية ـ أضعف من أن يحقق الأهداف التي حددها له شليفن. ولم يكن بالمستطاع أن تصل الجيوش الألمانية إلى القنال، ولا أن تعمل جنوب باريس وغربها. ثم عاد مولتكه وأضعف من الجناح الأيمن بنقل فيلقين من بلجيكا إلى بروسيا الشرقية في ٢٥ آب ـ أغسطس ـ. وافتقد الألمان هذين الفيلقين في معركة المارن. وفي ذلك التاريخ كان الفيلقان ما زالا في طريقهما إلى الشرق مع أن معركة (تاننبرغ) كانت قد انتهت. ومما لا شك فيه أن القوات التي احتاجها لتقوية الجيش الألماني الثامن في بروسيا الشرقية، كان من الضروري أن تسحب من الجناح الأيسر الألماني حيث كانت القوات الاحتياطية متوافرة هناك.

عمل مولتكه الصغير بتأثير معارك اللورين من ٢٠ إلى ٢٣ آب ـ أغسطس، والتي بدا أنها فتحت أمامه الطريق ليحصل على نتائج حاسمة. ومن جهة ثانية، فان تقدم الجيوش الألمانية عبر بلجيكا كان سريعاً ومستمراً. وكانت هذه الجيوش في ذلك الوقت قد اجتازت خط بروكسل ـ نامور والذي يلي لييج في الأهمية ـ باعتبار لييج هي عنق الزجاجة الخطر ـ. ومع هذا فان الواجب الحقيقي للجيوش الألمانية كان قد بدأ لتوه، نظراً لأن هذه الجيوش لم تكن قد نجحت بعد في تدمير القوى المعنوية لجيوش الحلفاء. ولم تكن قد استطاعت أيضاً تطويق أي وحدة للعدو تعمل منفصلة ـ كالحملة الانكليزية أو الجيش الخامس الفرنسي ـ ومما لا شك فيه




سير الألمان في الغرب حتى ٥ سبتمبر ١٩١٤

هو أن الحاجة إلى قوات جديدة كانت ستزداد في الأسابيع القادمة تبعاً للسير الارغامي الذي يقوم به الجنود. ومع هذا فان القيادة الألمانية كانت قادرة على دعم الجناح الأيمن بنقل الجنود من الجناح الأيسر، بواسطة الخطوط الحديدية، أو بتوجيه عمليات وسط الجبهة الألمانية إلى اليمين بدرجة أكبر، هذا على الرغم من نقل فيلقين ألمانيين إلى الشرق في ٢٥ آب ـ أغسطس ـ وعلى الرغم أيضاً من استخدام فيلق آخر ـ دون ما سبب واضح ـ لحصار موبيج بعد ذلك بقليل. وقد بقي مولتكه يعتقد بأن الجناح الأيسر، وإن كان غير قادر على تحقيق واجبه الاستراتيجي الأصلي، إلا أنه يثبت قوات فرنسية كبيرة في مكانها، ويحول دون نقلها إلى منطقة باريس. وبذلك فانه يمكن الجناح الألماني الأيمن من تحقيق ما هدفت إليه خطة شليفن (انظر خارطة سير الألمان في الغرب ـ المرفقة).

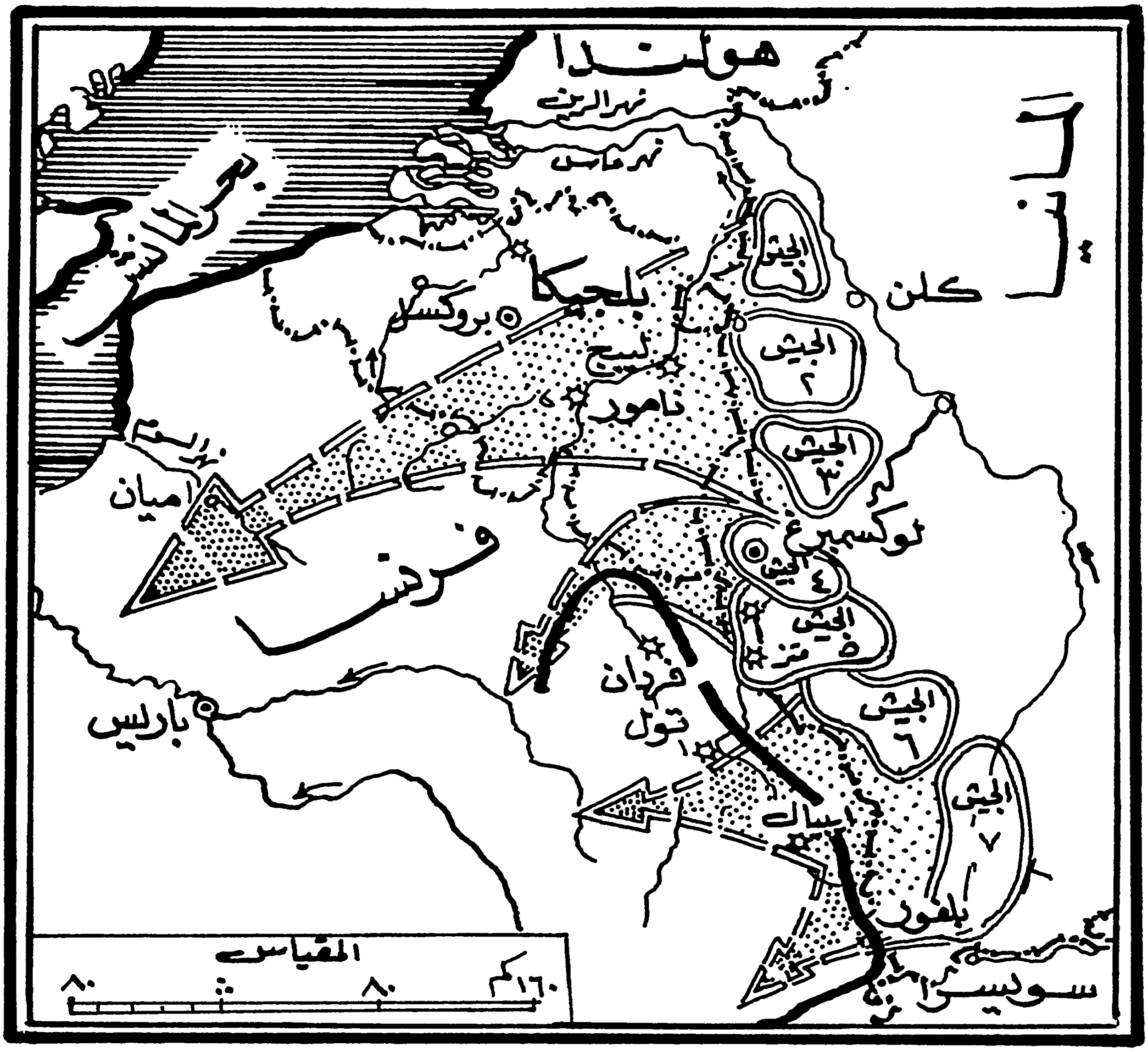
**كان الايمان بخطة شليفن، والذي عمل مولتكه ذاته على اضعافه، قد بات في ذلك الوقت مدعاة لليأس، إذ ظهر بوضوح أن الهجوم القوي ضد الجناح الغربي هو الفرصة الوحيدة الباقية في هذه المرحلة لتأكيد النجاح الألماني. وبالتبعية كان من الواجب القيام بكل ما يمكن لإعطاء الجيوش الألمانية ـ الأول والثاني والثالث ـ القوات الكثيرة التي تحتاجها لتوجيه الضربة الحاسمة للحلفاء، بل وحتى كان بالمستطاع أن يعطي مولتكه هذه الجيوش الثلاثة وقتاً قصيراً للراحة التي كان الجنود يحتاجونها حقاً. وكان من الممكن مع هذا القيام بكل التدابير التي تضمن حشد أكبر قوة للمعركة القادمة. ولكن شيئاً من هذا لم يفعله.**

عملت القيادة الفرنسية العليا بالمقابل على توجيه عمليات الجيوش الفرنسية كلها توجيهاً جيداً، حتى في مراحل التقهقر الطويل والمجهد الذي قامت به. واستخدمت شبكة الخطوط الحديدية في فرنسا على أكمل وجه، وإلى أكبر درجة يمكن الانتفاع بها لمواجهة الموقف، وللتأهب للعودة إلى الهجوم في الوقت المناسب. وفي هذا الوقت ذاته، كان مولتكه قد فقد الاتصال بحقيقة الموقف على امتداد الجبهة، فوسائل الاتصالات ضعيفة، والنقل بالخطوط الحديدية بات مهملاً. وزاد من تعقيد الموقف، وتعاظم

الصعوبات، جهل قادة الجيوش بالخطط الاستراتيجية لرئيس هيئة أركان الحرب الألمانية. فكان من المحال عليهم التجاوب معها. ووقع قادة الجيوش الألمانية في أخطاء كثيرة: بعضها بسبب ما أغفلوه من واجبات، وبعضها بسبب ما نفذوه من اهمال. وكان من غير الطبيعي توجيه اللوم إليهم، أو القاء المسؤولية على عاتقهم بعد أن تركهم رئيسهم يعيشون في الظلام ـ بعيداً عن الصورة الاجمالية لمسيرة العمليات القتالية.

استطاع الجيش الألماني الأول تحقيق النجاح اخيراً بفضل جرأة أفراده وشجاعتهم. وأمكن لهذا الجيش تحقيق ما ظهر أنه من المحال تحقيقه إذ تخلص من الخطر المدمر الذي كان يتعرض له. وظهر أنه على وشك قطف بعض ثمار الكسب المتوقع في ضوء خطة شليفن القديمة. ولكن حدث إذ ذاك أن أرسل مولتكه بالعقيد ـ هنتش ـ إلى الجناح الغربي لبحث الموقف. فما كان من هذا العقيد إلا أن أمر بالتقهقر. والغريب في الأمر أن مولتكه الذي حاول أن يتبع أسلوباً استراتيجياً حراً ـ طليقاً ـ وأن يتجنب التفكير الصلب المقدر من قبل، كما يتجنب أسلوب السيطرة التامة التي فرضتها خطة شليفن، بل وتقبل ما ينتج عن ابتكار قادة مختلف الجيوش، الغريب أن مولتكه الذي فعل هذا كله، جاء في أشد الساعات حرجاً وحاول استعادة التنسيق باعطاء سلطات كبيرة لقائد صغير السن والرتبة من هيئة أركان حربه. ولقد كان هذا القائد يتمتع في الحقيقة بكفاءة ممتازة أكدها عندما عمل رئيساً لهيئة أركان حرب الحملة الصربية سنة ١٩١٥. غير أن القرار الذي أصدره في الثامن من أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٤ كان قراراً مرتجلاً فرضته المباغتة، عندما وجد أن حقيقة الموقف على الجناح الألماني الأيمن هي أخطر بكثير مما قدرته القيادة الألمانية العليا التي كانت موجودة في اللوكسمبرغ!!...

**كانت خطة شليفن ـ في أضعف صورها ـ تعطي الهجوم الألماني لسنة ١٩١٤ قوة دافعة لها خطرها، وذلك على الرغم من التوجه المضطرب وغير الواضح والمتعدد المعاني للاستراتيجية الألمانية. وكان باستطاعة القيادة الألمانية العليا تجنب منزلقات الفشل لو أنها التزمت بها**




المخطط الألماني للهجوم نحو الغرب

**منذ البداية، وذلك بدلاً من التأرجح بين فكرة الحرب في (بروسيا الشرقية) وبين فكرة (حسم الصراع في اللورين).**

كان شليفن على صواب عندما توقع صعوبة الحصول على أكثر من نجاح عادي في اللورين، بسبب قدرة الفرنسيين على العودة إلى تحصيناتهم. وهو لم ينكر احتمال ظهور مواقف جديدة تحمل القائد العام على إجراء توزيعات جديدة لقواته. إلا أن جعل الحشد كله في الجناح الأيمن كان سيمكن من توحيد وتنسيق كل العمليات. وكان بالمستطاع لو تم هذا أن يقنع القائد العام بترك العمليات العادية لرؤساء أركان حرب الجيوش المختلفة، وحتى في حال اضطراب وسائل المواصلات كان بالمستطاع لقادة الجيوش أن يعملوا طبقاً للخطة العامة للعمليات. ولم تكن خطة شليفن لسنة ١٩٠٥ هي إجابة شليفن النهائية لحل مشكلات الحرب المقبلة. وكان شليفن ميالاً إلى الأخذ بفكرة أن الفرنسيين لن يتركوا تحصينات حدودهم ويتقدموا أمامها ـ على نحو ما سبق ذكره ـ وكان هذا بلا شك صحيحاً، إذ أن الخطة الفرنسية للتعبئة ـ الخطة رقم ١٥ ـ(*) قد وضعت على أساس دفاع استراتيجي. وقد لاحظ شليفن في سني تقاعده زيادة نفوذ المدرسة النابوليونية الحديثة في فرنسا، أي مدرسة ـ الحرب الهجومية ـ. وقد خشي أن تعمل هيئة أركان الحرب الفرنسية على مجابهة الهجوم الألماني بهجوم فرنسي في بلجيكا. والاقدام على احتلال خط (نامور ـ بروكسل ـ انتويرب). ولم يكن ـ شليفن محقاً في كل مخاوفه. ولكن من الصحيح أن الجنرال ميشيل ـ الرجل الذي ظن بأنه سيعين رئيساً لمجلس الحرب الأعلى الفرنسي ـ قدم في سنة ١٩١١ خطة تكاد تكون هي الخطة الألمانية لسنة ١٩١٤. وكانت خطة ميشيل هذه هي التي طبقها الحلفاء تقريباً في سنة ١٩٤٠، على أن الذي حدث في سنة ١٩١١ هو أن خطة ميشيل لم تقبل. وعين ـ جوفر ـ قائداً عاماً للجيوش الفرنسية. وتمت الموافقة على ـ الخطة ١٧ ـ التي بنيت على أساس أن الألمان سيغزون

---

(*) وضعت هذه الخطة سنة ١٩٠٣، ثم عدلت تعديلاً هيناً في سنتي ١٩٠٦ و١٩٠٧.

بلجيكا، ولكن لم تتوافر للفرنسيين أي قوات فيما وراء نهر (ميتز). ولم يستطع أي ضابط أو مؤرخ فرنسي أن يوضح سبب هذا التحرك الأعمى من جانب إدارة المخابرات العسكرية الفرنسية. لعل من غير المثير بعد ذلك معرفة ما كان يقوم به شليفن أثناء سني تقاعده، حيث عكف على دراسة العوامل التي قد يستثمرها العدو لمصلحته. وبقي سباقاً في اكتشاف التأثيرات التي تحدثها التطورات الحديثة في ميدان ـ التكتيك ـ وفي مجالات ـ البحوث الفنية ـ. ولما كانت مخاوفه مركزة على احتمال قيام الفرنسيين باحتلال خط (انتويرب ـ نامور) مع ما يتبع ذلك بالضرورة من قيامهم بالهجوم في اللورين، فقد ألح بضرورة اعداد احتياطي قوي وراء الجبهة الألمانية. وقد اقترح ـ كأفضل تدبير مضاد ـ استخدام هذا الاحتياطي منذ البداية لدعم قوات المعركة، كما أوصى بأن يحصل الألمان على قوة المبادأة من البداية على طول الجبهة من ـ بلفورت ـ وحتى ـ ليبج ـ. وبقي شليفن محتفظاً بايمانه: من أن نجاح الجناح الألماني الأيمن هو وحده الذي يمكن أن يحقق نتائج استراتيجية عظيمة. واعتقد بأن النقل بالخطوط الحديدية سيضمن تأمين فرص جديدة لدعم الاستراتيجية. وكانت الفكرة التي تحدث عنها (مولتكه الكبير) من أن أي خطأ يحدث في عملية الحشد الأساسية سيكون خطأ يلازم الحملة كلها. هذه الفكرة بدأت تفقد قوتها على ضوء التطورات التقنية التي هيمنت على غرب أوروبا ووسطها. ذلك أن كثافة الخطوط الحديدية كانت تساعد القائد على نقل مركز ثقل قواته من جبهة إلى جبهة ثانية. وقد جربت هذه العملية على نطاق واسع في المباريات الحربية والمناورات لهيئة أركان الحرب الألمانية التي تولى ادارتها شليفن. غير أن القيادة الألمانية العليا أظهرت في سنة ١٩١٤ أن كل هذه الآراء لم تترك أي أثر في عقلية (فون مولتكه الصغير) خليفة شليفن. وبرهن الفرنسيون أنهم أقدر على استخدام هذه الوسائط الجديدة لزيادة قدرتهم الحركية. وكانوا أيضاً أول من اكتشف امكان استخدام النقل الآلي ـ الميكانيكي ـ بالسيارات. عندما تم نقل القوات في سيارات التاكسي إلى الموقع على المارن. وعندما استخدم فوش السيارات لنقل ستين ألف جندي إلى الفلاندرز في أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٤.

لم تهدم معركة (المارن)[٧] مكانة شليفن بين الضباط الألمان، بل على النقيض من ذلك، إذ ظهر واضحاً أن (حرب المواقع) في الغرب، وهي الحرب الطويلة الأمد والمعدومة الأمل، مع ما رافقها من تأثير على النظامين الاقتصادي والاجتماعي لألمانيا، إنما كانت نتيجة لاغفال تعاليمه التي تدل على عبقريته العسكرية. وقد أدى اتباع هذه التعاليم في الميدان الشرقي إلى الكثير من الانتصارات المثيرة. مثل (تانبرغ)[٨] وحملة الشتاء لسنة ١٩١٤. وكذلك في (هيرمانستادت)[٩] في باكورة الحملة الرومانية لسنة ١٩١٦. وقد استطاع الجيش الألماني بمعاونة هذه الانتصارات من أن يقاتل اتحاداً دولياً على نطاق واسع لأربع سنوات. وأن يصل في هذا القتال إلى ما يقرب من النصر. ولم تضعف هزيمة ألمانيا في سنة ١٩١٨ من الاعتقاد بعبقرية شليفن وسيادته على الفن العسكري حتى في ضوء الحرب الحديثة التي كان طابعها يقوى ويشتد مع خطى المانيا الواسعة للعودة إلى التسلح. ولكن برغم أنه وجدت في الجيش الألماني خلال الفترة بين الحربين العالميتين - أي بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٩ - مدرسة تدين بعقيدة شليفن، إلا أن استراتيجيي الجيش الهتلري - النازي - لم يغفلوا نقد نظريات شليفن مع تطبيقهم لها. والواقع أنهم طبقوا نظريات شليفن بتعديل يتفق مع ما وجهوه إليها من نقد.

تميزت انطلاقة الجيش الألماني - النازي - بوفرة الاتجاهات

---

(٧) المارن: MARNE نهر فرنسي ينبع من لانجر LANGRES ويخترق شومونت وفيتري وشالون وايبيرني وشاتوتييري ومو MEAUX ويصب في نهر السين عند شارنتون، وطوله ٥٢٥كم وتتصل قناة المارن الموازية بنهر ديزي عند فيتري لوفرانسوا حيث يتصل امتداد قناة المارن بنهر الرين من جهة وبنهر السون SAÔNE من جهة ثانية. وقد انتصر الجيش الفرنسي بقيادة جوفر على الجيش الألماني الذي كان يقوده مولتكه الصغير قرب النهر في أيلول - سبتمبر - ١٩١٤. ثم انتصر الجيش الفرنسي بقيادة فوش مرة ثانية على الألمان سنة ١٩١٨.

(٨) تانبرغ: TANNENBERG بلدة قديمة في بروسيا الشرقية. انتصر فيها الألمان بقيادة لودندورف في سنة ١٩١٤ على الروس - وسيتم التعرض لهذه المعركة بالتفصيل -

(٩) هيرمانستادت: (HERMANNSTADT) مدينة اسمها بالرومانية سيبيو SIBIU وهي تقع في ترانسيلفانيا من رومانيا.

التجديدية والابداعية- لا سيما في افق الاستراتيجية - حيث أعطيت أهمية كبرى لتطوير القدرة الحركية، ومناورات الالتفاف العميق. وكانت هزيمة الألمان سنة ١٩١٨م قد أبرزت مجموعة من الدروس المستفادة والهامة.
والواقع، فانه بعد توقف الهجوم الألماني ضد فرنسا في أيلول - سبتمبر - سنة ١٩١٤، بدأت مشكلة الحرب الدفاعية تتخذ لها طابعاً مميزاً، إذ أن أغلب القتال الذي دار على الجبهة الشرقية كان في الحقيقة قتالاً دفاعياً.
وبينا كان الجيش الألماني بعد سنة ١٩٣٣ ما زال ضعيفاً، كانت مشكلات الدفاع تحتل المكان الأول في تفكير هيئة أركان الحرب الألمانية. ومما لا شك فيه أنه توافرت لأفراد هيئة أركان الحرب الألمانية آراء عن الدفاع، أكثر بكثير مما وضع موضع التجربة والتنفيذ في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية. وظهر بوضوح أثناء هذه الحرب ميل القادة الألمان للاعتماد على التحصينات بدرجة أكبر مما كان لهم من قبل. على أن الأهم من هذا هو (التجربة) .أو (الخبرة) التي أمكن الحصول عليها من استخدام الهجمات الجبهية. فقد أرغمت (حرب الخنادق) ١٩١٤ - ١٩١٨ - القيادة الألمانية العليا عن اقتراب استراتيجي جديد للحصول على المعركة الحاسمة. إذ أكد الاقتحام التعبوي - التكتيكي - بالمواجهة، ما سبق أن توقعه شليفن من أن هذا يمكن من إرغام العدو على التقهقر. ولكنه - رغم تقهقره - سيكون طليقاً يستطيع العودة للقتال في مواقع جديدة. واذن فمن الضروري للحصول على نتائج حاسمة اختراق خطوط العدو إلى المدى الذي يعرض مؤخراته وخطوط امداده للخطر، وأن يفقده حرية العمل.
وكان أول نموذج لاستراتيجية الاختراق الناجحة هو معركة - جورليستارنو - في أيار - مايو - ١٩١٥. إذ كانت النتائج كبيرة، وكان بالمستطاع أن تكون أعظم وأكبر لو تم الاعداد لتنفيذ العمليات اعداداً كاملاً. ثم مر اسبوع على معركة - جورليستارنو - عندما قام الحلفاء بهجومهم الاقتحامي في - آراس ولاباسيه - . وهكذا كان الجانبان المتصارعان، الألمان والحلفاء، يقومان بتجربة عمليات الاختراق على ضوء ما يمكن تحقيقه منها في مجال الاستثمار الاستراتيجي لنتائجها. وكانت أكبر محاولة من هذا النوع هي هجوم لودندورف في فرنسا في ربيع سنة ١٩١٨، وهو الهجوم الذي هدف

إلى حسم الصراع قبل أن تنضب موارد ألمانيا وقبل أن تتفتت قوتها. غير أن هذا الهجوم الطموح لم يحقق هدفه الاستراتيجي، فكان كل ما حدث هو تشكيل جيب عميق - نسبياً داخل جبهة الحلفاء، ولم يتمكن من إحداث أي تمزق خطير في هذه الجبهة. كان فشل هجوم ربيع سنة ١٩١٨، وانهيار خطة شليفن سنة ١٩١٤، هما الموضوعين الرئيسين في المناقشات العسكرية التي دارت في المانيا بعد سنة ١٩٢٠. وقد لخص قائد المدفعية في عهد لودندورف - واسمه كرافت فون ديلمنسجين - هذا النقاش قبيل الحرب العالمية الثانية بسنتين في كتابه - عملية الاختراق -. وهو الكتاب الذي نشر بين كتب التعليم للجيش النازي. وفي صورة ما، فان - ديلمنسجين - أبقى عقيدة شليفن القائلة: **«بأن عملية الاختراق هي دائماً أصعب الصور، أو الوسائل - لحسم الصراع»** أبقاها في نطاق محدود وهو: **«أنها حركة تمهيدية قد تلقي على العدو الجزاء الصارم... أما النصر النهائي فيمكن إدراكه بعمليات تطويق متتالية»**. ومع هذا، فقد أضاف المؤلف: «أنه لن يكون بالمستطاع في المستقبل تجنب محاولات الاختراق. وعلى هذا فانه لن يكون هناك جيش وحده هو الجانب الذي يستطيع استثمار نظريات الاختراق إلى غاية ما يمكن..». وكان الحل - كما في شبيه هذا من الدراسات الألمانية - هو استعادة **(عامل المباغتة)** و**(القدرة الحركية)** بوساطة القوات الآلية - الميكانيكية - والقوات المحمولة بالسيارات. وقد تعلم الجيش الألماني من خصومه في هذا الميدان أكثر مما تعلم منهم في أي ميدان آخر. **إذ لم ينس الألمان أبداً ذكريات اليومين الأسودين (١٨ تموز - يوليو) و(١٨ - آب - أغسطس - سنة ١٩١٨) عندما اندفعت دبابات الحلفاء للأمام عند (سواسون) و(أميان) وأكدت بهذا هزيمة ألمانيا**. لقد كان اقتحام الدبابات نصراً تعبوياً - تكتيكياً - عظيماً، بالرغم من أن مداه الاستراتيجي كان محدوداً. وقد عملت هيئة أركان الحرب الألمانية لسنة ١٩٣٠، على زيادة مثل هذه الامكانيات التعبوية - التكتيكية - باستخدام القوات الجوية مع القوات المدرعة، وكان الهدف الرئيسي هو تطوير الأساليب التعبوية - التكتيكية - حتى تتمكن من إحياء استراتيجية شليفن - للاختراق والافناء - والتي ظهر وكأنها قد أضاعت قدرتها في حرب المواقع

طوال الحرب العالمية الأولى. وفي هذه الصورة ذاتها، جاء الهجوم الألماني على فرنسا سنة ١٩٤٠، متبعاً آراء شليفن، ولو أن خطة شليفن ذاتها لم تعد إلى الحياة. فقد كانت خطة سنة ١٩٤٠ تهدف إلى اختراق وسط جبهة الحلفاء (الأمر الذي تحقق في سيدان يوم ١٤ ـ أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٤٠) على أن تتبع هذا معركتا تطويق، أولاهما في القتال ضد الجيوش الفرنسية والانكليزية المنتشرة في الشمال، بحيث تدفع هذه الجيوش إلى الساحل البلجيكي والقنال الانكليزي. وأن توجه المعركة الثانية من خط (سيدان ـ آبفيل) هادفة دفع الجيوش الفرنسية ضد تحصينات ماجينو والحدود السويسرية. وكان هتلر محقاً في أن يؤكد لمجلس (الرايخستاغ) الألماني وجود فوارق مميزة بين حملة سنة ١٩١٤ وحملة سنة ١٩٤٠. والواقع أن المرحلة الثانية من الحرب الفرنسية تقدم بعض الصور التي تماثل ـ خطة شليفن ـ على حين تماثل المرحلة الأولى (معركة بلجيكا) إلى حد ما ـ استراتيجية فون مولتكه الكبير ضد ماكماهون في سيدان سنة ١٨٧٠. ومع هذا فان الحرب بكاملها كانت تعتمد على الاختراق الذي حققته الأفضلية الكبيرة التي للهجوم على الدفاع في هذه الفترة من التاريخ.

يظهر مما سبق أن مسؤولية الفشل الذي لحق بمخططات شليفن إنما يقع بالدرجة الأولى على عاتق (فون مولتكه الصغير) الذي انتقاه امبراطور المانيا لاشغال منصب رئيس هيئة الأركان، لا لشيء، سوى أنه ابن أخ (مولكته الكبير). وكان عمره في عام ١٩١٤ في حدود من (٦٨) عاماً. وكان إلى ذلك رجلاً مريضاً، فكان قائداً عاماً بالاسم. وعندما انتشرت جيوشه، قام بدوره كشخص لا يزيد دوره عن دور الرجل الذي يعطي اشارة البدء بالسباق: فكل ما عمله هو انزال العلم، وترك ادارة العمليات لجنرالاته. فلم يكن يعلق أهمية كبيرة على التحقق من التفاصيل. وهناك ما كان أسوأ، وهو أنه كان يخشى من هذه القيادة، وكان يحس بنوع من الرضى عندما كان الامبراطور يعلن مراراً وتكراراً بأنه سيتسلم شخصياً زمام القيادة في الجبهة الغربية في حالة اندلاع الحرب. وعلى كل حال، فقد كان هناك خط مشترك على الأقل بين شليفن ومولتكه الصغير ـ ومدرسة الحرب البروسية بصورة عامة ـ وهذا الخط المشترك هو العزوف

عن السياسة. غير أن الفشل في الحرب دفع القادة العسكريين الألمان لمواجهة ضغط السياسة والأحوال الداخلية والخارجية. وقد ترك ذلك كله أثراً كبيراً في ادارة الحرب. إذ ظهر أنه لا بد من استحداث نظام جديد للتعبئة على أساس الحرب الشاملة، مع اعداد نظام جديد لاقتصاد الحرب. وكان مفهوم الحرب يستند الى استراتيجية برية، ولم يكن تلاميذ شليفن مدربين لتفهم حقيقة الحرب على المستوى العالمي. الحرب التي يجب أن تخاض غمارها بأسلحة سياسية واقتصادية ونفسية - سيكولوجية - أسوة بأسلحة المشاة والمدفعية. ولقد ظن لودندورف أنه يستطيع - بسهولة - توجيه هذه القوى الجديدة كما يستطيع توجيه الجيش. ولكنه باخضاعه الحكومة لأوامر القيادة العليا حول المانيا الى ديكتاتورية عسكرية. ومع هذا فشل الجيش في دعم الجبهة الداخلية وإبقائها متماسكة. لقد جعلت الثورة الألمانية لسنة ١٩١٨ ضباط الجيش الهدف المنطقي للحملات الشعبية، ومع أن الجيش لم ينس اطلاقاً الإذلال الذي لحق به، فقد بقي كقوة رجعية مضادة للأمد القصير الذي عاشته الجمهورية الألمانية. ولقد آمن أصحاب العقول المتفتحة في الجيش الألماني بأن خطأ لودندورف يجب ألاّ يتكرر ثانية. ولم يكن هذا في رأيهم يعني أن يتعاونوا مع أي حركة سياسية تمكنهم من أن يحشدوا كل جهودهم إلى الاستراتيجية كحرفة كما كانت الحال أيام شليفن. أي إلى (الواجب غير السياسي) كما أحبوا أن يقولوا عن - الاستراتيجية -. ولقد أدت هذه النظرية - حتى بأذكى أعضاء هيئة أركان الحرب الألمانية - إلى أن يفسحوا الطريق لوصول هتلر إلى القوة والسلطان في المانيا، والواقع: أن القادة الألمان حصلوا من هتلر على كل الوسائل لتجديد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ولكنهم لم يلبثوا أن تعلموا أن (الحرب عمل من أعمال السياسة) وفي هذه المرة قادتهم السياسة النازية إلى الهزيمة في حرب قد أعدوا لها العدة على أساس تخطيط ناجح لاستراتيجية - كاني - ذلك لأن شليفن وأتباعه وقد أغفلوا الحقيقة التاريخية: وهي أن قرطاجنة قد هزمت بالرغم من انتصارات (هاني بعل).

## ٣ ـ تطوّرات وسائط الحرب.

لقد كان (لودندورف) بطلاً من أبرز أبطال الحرب العالمية الأولى، وقائداً من أشهر قادتها، ومن هنا فقد يكون لزاماً إلقاء نظرة عجلى على ما سبق هذه الحرب، وما رافقها، من تطورات في مجال التسلح والوسائط القتالية حتى تكتمل صورة الموقف، وحتى يكون بالمستطاع إدراك كافة العوامل التي كان لها دورها الحاسم في مسيرة الأعمال القتالية.

ظهرت خلال مرحلة الثورة الصناعية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ثلاثة اختراعات هامة في مجال السلاح وهي: استخدام بندقية التكرار ذات العيار الصغير التي ترمي دون دخان، وتحسين الرشاش، واستخدام مدفعية الرمي السريع. ففي حوالي سنة ١٨٧١، حققت البندقية ذات الطلقة الواحدة، والتي تلقم من المغلاق، درجة كبيرة من الفاعلية، حتى كانت المرحلة التالية التي حولتها إلى بندقية تكرار ـ أو بندقية ذات مخزن للطلقات. وكانت الفكرة قديمة جداً، غير أنها لم تتحقق بكاملها إلا باستخدام الغلاف المعدني للطلقات، الذي أنقص إلى حد كبير من الاستعصاءات التي كانت تحدث في المغلاق. وكانت ألمانيا هي أول دولة أوروبية استعملت البندقية ذات الرمي التكراري، إذ زودت في سنة ١٨٨٤ بندقية (الموزر)(*) نموذج ١٨٧١ بمخزن للطلقات. وكان المخزن عبارة عن أنبوب أدخل في الحاضن تحت السبطانة، وكان يحتوي على ثماني طلقات. وفي سنة ١٨٨٥، وضعت فرنسا بندقية شبيهة بها، وهي بندقية (لوبيل)(**) التي تستخدم البارود دون دخان، وكان لذلك ميزة كبيرة. ثم استخدم النمساويون في سنة ١٨٨٦ بارودة (المانليشر)(***) وهي مزودة بعلبة ـ مخزن ـ أمام الجسير وتحت حجرة المغلاق. وقد تبنى الانكليز بعد عامين بارودة (لي ـ متفورد)(×) عيار ٧,٥مم. وهي بندقية ذات مخزن

---

(*) الموزر: MAUSER

(**) لوبيل : LEBEL.

(***) المانليشر: MANNLICHER

(×) لي متفورد: LEE- METFORD

تتسع لثماني طلقات ـ أصبحت عشرة فيما بعد. وفي حوالي سنة ١٩٠٠، كانت كل الجيوش تملك بنادق ذات مخازن، متقاربة الفاعلية، وتتراوح عياراتها بين ٦,٥مم و٧,٨مم. وكانت كلها مجهزة بالمغلاق المتحرك، وتستخدم البارود الذي لا يحدث دخاناً، ومزودة بموجه للمدى، من أجل الرمي حتى مسافة ألفي متر.

وتم تطوير الرشاش، وهو أيضاً محصلة فكرة قديمة، في ذات الوقت الذي حققت فيه بندقية التكرار تقدمها. وقد جربت نماذج متعددة، تم اعتماد بعضها مثل بندقية (كاتلنغ)(×) المحسنة وهي سلاح ممتاز استعمل للمرة الأولى في نهاية حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ ـ ١٧٤٨م) والنورد نفلدت (١٨٧٣) والهوتشكيس (١٨٧٥) والغاردنر (١٨٧٦) والبراوننغ (١٨٨٩) والكولت (١٨٩٥). وكانت السنة الحاسمة في تطور هذه الأسلحة هي سنة ١٨٨٤، إذ حصل (حيرام. س. ماكسيم) على إجازة لاختراع رشاش بسبطانة واحدة، تلقم وترمي بواسطة قوة الارتداد. وكان النموذج الأصلي يزن ١٨ كغ. وكان يبرد بواسطة الماء، ويغذي بشريط من الطلقات ويرمي ألفي طلقة في ثلاث دقائق. وقد تبناه الجيش البريطاني في سنة ١٨٨٩. وكان ذلك بمثابة ثورة في أساليب المشاة التعبوية ـ التكتيكية ـ.

تم تطوير مدفعية الرمي السريع بالاعتماد على المشروعات التي وضعت في ألمانيا سنة ١٨٩١ ـ على يد الجنرال (ويل)(*) وفي فرنسا على يد العقيد (لانغلوا)(**) وقد وجد الاثنان أنه من المحال عليهما الحصول على سرعة رمي كبيرة، إذا لم يتم امتصاص ارتداد السلاح بوسيلة من الوسائل، وأجريت تجارب كثيرة من أجل امتصاص الصدمة. وأخيراً، أمكن الوصول إلى استخدام حاضن عديم التراجع، كما أمكن أن يضاف إليه درع يقي من الرصاص بهدف حماية سدنة السلاح. وقد بقيت البندقية

---

(×) كاتلنغ: CATLING.

(*) ويل: WILLE.

(**) لانغلوا: LANGLOIS.

المزودة بمخزن ـ مشط ـ هي السلاح السائد حتى وصلت هذه الخطوة الفنية التحسينية إلى المدفعية. وعندئذ نافسها المدفع ذو الرمي السريع، الذي كان مداه أكبر، وكان في وسعه الرمي بالمعدل ذاته. وكان باستطاعته أيضاً العمل من وراء ساتر بفضل رماياته غير المباشرة.

أدى التزايد المذهل في حجم الجيوش، وعدد أفرادها، وتعاظم تسلحها، إلى بروز مشكلة امدادها وتموينها بشكل حاد. وتركزت جهود المحاولة الأولى لحلها على القطر الآلي ـ الميكانيكي ـ. وكانت القاطرات قد استخدمت في حرب القرم (١٨٥٤) في قطر مقطورات من العربات المحملة من مستودعات (بالاكلافا) إلى الجبهة، في سهول ممتنعة على العربات التي تجرها الدواب. وقد استخدمت هذه الوسيلة من جديد في الحروب الفرنسية الألمانية، والروسية ـ العثمانية. كما استخدمت أيضاً في سحب المدافع الثقيلة وجرها. ثم استمرت التجارب والمحاولات من سنة ١٨٧٢ وحتى نهاية القرن ـ في مجال تطوير القاطرات، سواء في انكلترا أو فرنسا أو المانيا أو روسيا أو ايطاليا أو سويسرا. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٩، أرسلت الحكومة البريطانية ٨٤ قاطرة للاشتراك في حرب البوير ـ جنوب أفريقيا ـ. كما أرسلت قاطرات أخرى، منها ستة قطارات مدرعة للطرق، مؤلفه من قاطرة وأربعة عربات مدرعة، وكان سمك تصفيحها يعادل ٦سم، وفي وسعه مقاومة الطلقات النارية التي تصيب الهدف مباشرة من مسافة عشرين متراً. وكانت حجرة السائق، وحجرات السيارات مزودة بفتحات للرمي بالبندقية. وقد فكروا في استخدام هذه القطارات المدرعة، كأبراج متحركة مستقلة تستطيع التنقل من موقع إلى آخر، عبر الحقول الجرداء. غير أنه ليس هناك من براهين أو أدلة ثابتة تؤكد أنها استعملت بهذا الشكل. ومع ذلك، فان هذه المشكلة لم يحلها البخار، وإنما حلها البترول الذي أدى انتاجه السريع في الولايات المتحدة ابتداء من عام ١٨٥٩ إلى استخدامه تجارياً وعلى نطاق متزايد، وقاد في عام ١٨٧٦ إلى المحرك الثابت الغازي(×) الذي اخترعه الدكتور (ن. أ. اوتو)

---

(×) كانت فكرة المحرك الثابت الغازي A GAZ فكرة قديمة، ويبدو أن (كريستيان هيغنز) هو أول من بنى ـ أو بالأحرى صنع ـ المحرك في سنة ١٦٨٣. وكان يعمل بواسطة الهواء وبارود المدفع.

ثم تخيل (غوتليب ديملر) محرك احتراق دَاخلي مستخدماً روح البترول ـ البنزين ـ الذي أحكمه على دراجة عادية(×) وكانت تلك هي المرحلة الأولى على طريق صناعة السيارة الحديثة التي تسير بالبترول. وبعد سنتين تمكن (بانهارد) و(لوفيسور) من الحصول على براءات اختراع (ديملر) الفرنسية لاندفاع الآليات. ومنذ ذلك الوقت وحتى سنة ١٨٩٤، لم يوجهوا إليها إلا اهتماماً ضئيلاً، ولكن في هذا العام، أعطت صحيفة (لوبوتيت جورنال)(*) دفعاً لصناعة السيارات الفرنسية عندما نظمت سباقاً تجريبياً للسيارات المدفوعة بمحركات، من باريس إلى روان. وقد اهتم الناس بهذا السباق حتى أنهم في العام التالي نظموا سباقاً من باريس إلى بوردو ذهاباً وإياباً ـ ولمسافة ٧٤٤ ميلاً ـ تمكن الفائز في هذا السباق من قطع المسافة بمعدل وسطي يعادل ٢٤كم في الساعة. وفي العام التالي ـ أي في سنة ١٨٩٦ ساهمت السيارات المزودة بمحركات ـ للمرة الأولى ـ في مناورات الجيش الفرنسي. وبعد ثلاث سنوات، عرضت في انكلترا السيارة التعبوية الأولى المزودة بمحرك، وهي عبارة عن آلية ذات أربع عجلات، مزودة برشاش ماكسيم، وتستطيع الرمي من وراء درع الآلية أثناء المسير. وهكذا ما إن أشرف القرن التاسع عشر على نهايته حتى كان الاندفاع بواسطة محرك الاحتراق الداخلي قد حقق تقدماً كبيراً، الأمر الذي حمل السيد (آرثر بالفور)(١٠) على التصريح أمام مجلس العموم البريطاني يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٠٠ بما يلي: **«سيعرف المستقبل طرقاً كبرى تنشأ لسير الآليات السريعة، وتخصص لسير السيارات، بالاضافة إلى الخطوط الحديدية وخطوط الحافلات الكهربائية ـ الترامواي»**. غير أن

---

(×) سير (بتلر) أيضاً سيارة تسير على ثلاث عجلات بواسطة محرك احتراق داخلي يستخدم البخار المعدني في سنة ١٨٨٥م.

(*) لوبوتيتي جورنال؛ أو الصحيفة الصغيرة: LE PETIT JOURNAL

(١٠) آرثر بالفور (COMTE DE BALFOUR, ARTHUR JAMES) رجل دولة انكليزي ـ من مواليد ويتينغهام (WHITTINGEHAME) في ايقوسيا (١٨٤٨ ـ ١٩٣٠) أول رئيس مجلس وزراء محافظ في بريطانيا (١٩٠٠ ـ ١٩٠٥) ووزير للخارجية البريطانية (١٩١٦ ـ ١٩١٩) وهو صاحب الوعد المشؤوم بمساعدة اليهود للهجرة إلى فلسطين.

أكبر انتصار حققه المحرك الجديد كان قد تحقق في هذا الوقت. ففي ١٧ كانون الأول ـ ديمسبر ـ سنة **١٩٠٣**. وعلى تل (كيل دوفيل) في (كيتي هوك) بكارولينا الشمالية، طار (اورفيل رايت) مدة اثنتي عشرة ثانية في طائرة يدفعها محرك وهكذا، ومن جراء هذا الحدث، أضاف إلى الحرب بعداً ثالثاً (هو بعد الفضاء بالاضافة إلى بعدي البر والبحر). وقد أحدث محرك الاحتراق الداخلي أكبر ثورة حدثت في الحياة المدنية وفي الحرب، منذ أن أخضع الانسان البدائي الحصان لأول مرة. وكان أثره على الحضارة عميقاً جداً، حتى أنه **لو كان بالمستطاع اليوم الغاء كل السيارات المزودة بمحركات بضربة من عصا سحرية، لتوقفت الحياة تماماً، ولغرقت في خضم من الفوضى المطلقة**. فقد أصبح البترول ينبوعاً للقوة المحركة، ومورداً ضرورياً جداً لا بديل له ولا غنى عنه، حتى باتت مشكلة الحصول عليه وتأمينه من مشكلات العالم المعاصر. وقد بدل البترول أساليب الامداد الاداري ـ اللوجيستي ـ كما كان له دوره في تنظيم الجيوش، وحتى في طرائق عملها التعبوية ـ التكتيكية ـ. إذ أدى إلى الغاء دور وسائل النقل الطبيعية ـ الحيوانات ـ وأحل محلها آليات القتال المدرعة، وفتح في الفضاء طريقاً عالمياً للتموين، وللجيوش المنقولة جواً، ولنقل النيران. وإذا ما تمت مقارنة أثره على السلم والحرب، فسيظهر أنه ما من اكتشاف آخر في هذه المرحلة يوازيه في الأهمية سوى: **البرق اللاسلكي**. فقد أعطى (رودولف هيرتز) شكلاً نظرياً للبرق اللاسلكي لأول مرة في سنة **١٨٨٧** مبرهناً على أن الشرارة الكهربائية، في بعض الشروط، تخلق أثراً ينتشر في الجو بشكل موجة كهرطيسية. درس علماء آخرون هذه المشكلة، حتى جاء (جوجليا موماركوني) فوجه كل اهتمامه بين سنة **١٨٩٤** وسنة **١٨٩٦** من أجل تحسين الأجهزة التي تسمح بكشف الموجات الكهرطيسية. وقد نجح في ذلك، حتى أنه في عام **١٨٩٩** نقل برقية لاسلكية بين طرادين بحريين، أثناء المناورات البحرية البريطانية. وفي **١٢** كانون الأول ـ ديسمبر ـ **١٩٠١**، أرسل اشارات بواسطة موجات كهرطيسية (عبر الأطلسي، من كورنواي إلى أمريكا ـ الأرض الجديدة) على مدى ٤٨٠٠ كم. **وكان أثر البرق اللاسلكي على الحياة المدنية، وعلى الاستراتيجية البحرية هائلاً**

جداً، لا يقل عن أثره على الحرب فوق الأرض وفي الأجواء. وقد ساهم البرق اللاسلكي في إعطاء أثر عالمي للدعاية على الأقل، وفي إزعاج ومضايقة أمم بكاملها، بتحويل الأقوال والكتابات إلى سلاح حربي مزود بسرعة الضوء، وبمدى عمل عالمي. هذا إذا لم نقل إنه ساهم في تطوير الحرب النفسية ـ البسيكولوجية ـ وقد سبب بالاضافة إلى كل هذا بتطور العلم الالكتروني. وفي سنة ١٩٠٣، كان أثر هذه المستحدثات المذهلة يرقد خلف ستار المستقبل الحديدي. لكن هذا الستار لم يكن غير قابل للنفوذ بصورة مطلقة. ومع ذلك، لم يتشبع فكر رجال الدولة والعسكريين به إلى حد كاف، حتى أن إدارة حرب المستقبل عادت إلى لعبة من لعب الصدف، وإلى لعبة يلعبها لاعبون من العميان، كانوا يحركون أحجارهم في الظلام، فوق رقعة جديدة تمام الجدة.

لم تبق هذه التطورات العلمية والتقنية بعيدة عن مجال التجربة العلمية في ميادين القتال فقد عرفت حرب البوير في جنوب أفريقيا (١٨٩٩ ـ ١٩٠١) والحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) التطبيقات الأولى للوسائط القتالية الجديدة. ولم تكن هذه التطبيقات يقيناً محرومة من الفائدة.

لقد وصف التاريخ الألماني تجربة حرب البوير بأنها كانت: «اختباراً بين الجندي المدرب على المناورة كآلة من الآلات، والرجل المسلح ببندقية ويعمل من تلقاء بديهته... فقد أعلنت الحرب تبعاً لصيغ جامدة، واحساس سليم متين خال من الاكراه، لا اختباراً بين الرصاصة والحربة فقط». وفي الحرب الروسية ـ اليابانية، قدم المدافعون عن (بورت آرثر) من الروس، كثيراً من الأشياء الجديدة، إذ غطوا كافة الممرات المؤدية إلى المدينة بتحصينات دفاعية مختلفة، وقسمت المدينة إلى مناطق وقطاعات دفاعية. وقد تمت تغطية بعض الاتجاهات الهامة بشبكة من الأسلاك الشائكة المحملة بطاقة كهربائية ذات جهد مرتفع. واستخدمت مدافع الهاون لأول مرة من قبل القوات المدافعة عن بورت آرثر، كما استخدمت الأنوار الكشافة عند صد الهجمات الليلية المعادية. وقد تكبدت القوات

اليابانية المقتحمة خسائر فادحة من نيران الرشاشات والبنادق والمدفعية الروسية. وأكدت الحرب أنه عند استخدام الجيوش الكثيفة المجهزة بكميات كبيرة من المدفعية والرشاشات والبنادق، وبوسائط إشارة ذات مدى بعيد (هاتف، راديو، تلغراف) فان الأعمال القتالية تنتشر على مساحات واسعة، وتبتعد تماماً عن مفهوم الموقعة واطارها. كما أكدت بشكل موضوعي تكون الكثير من عناصر عملية الجيش وعملية الجبهة. وقد حاول الطرفان المتصارعان استخدام أسلوب الالتفاف على أجناب الطرف الآخر للوصول إلى مؤخرته، الأمر الذي دفع الطرف المدافع إلى تشكيل قوات احتياطية على مستوى العمليات. وإلى تحضير مواضع دفاعية في المؤخرة لتلافي مناورة العدو الجانبية. وبهذا الشكل، امتلك الدفاع العمق الضروري للعمليات.

انتشرت المواضع الدفاعية للقوات الروسية في هذه الحرب، على امتداد عشرات الكيلومترات. وكانت تتألف من حفر متقطعة، ومن ملاجىء، ومن أسلاك شائكة وغيرها من الحواجز المختلفة. كما تم تنظيم جهاز النار الذي استطاع صد الهجمات الكثيفة لقوات مشاة العدو. وأثر الاستخدام الواسع للمدفعية السريعة وللرشاشات وللبنادق المجهزة بالمخازن تأثيراً عميقاً على الأساليب التعبوية ـ التكتيكية ـ إذ تعاظم دور النار في المعركة تعاظماً كبيراً. ولم تعد ضربات الحراب تتصف بالأهمية الأولى كما كان ذلك في السابق. كما لم يعد بامكان وحدات المشاة الهجوم بالصفوف المتراصة، وحسم نتيجة المعركة بضربات الحراب وحدها. **بل أصبح النجاح ممكناً في المعركة نتيجة للربط الماهر بين النار والمناورة والصدمة.** وكانت فرقة المشاة عند دخولها في منطقة تأثير المدفعية تجبر على التجزئة، وعلى متابعة التقدم بأرتال صغيرة، وعند دخولها في منطقة عمل الرشاشات. كانت الكتائب والسرايا مجبرة على الانتشار في سلاسل المشاة، ومتابعة التقدم بالقفز والزحف. وبعد وصولها إلى خط الهجوم كانت المشاة تنقض على العدو بترتيب السلسلة المتراصة محاولة اقتلاعه من المناطق المحتلة وتدميره. وهكذا فقد انقسمت المعركة الهجومية إلى ثلاثة مراحل: **التقرب والهجوم والانقضاض.** وتسبب تزايد فعالية نيران المدفعية

والرشاشات في الاقلال من كثافة المشاة في الهجوم وفي الدفاع أيضاً. فاذا كانت الفرقة المشاة هاجمت في مطلع الحرب على جبهة ٢كم، فانها هاجمت في نهايتها على جبهة ٣ ـ ٣,٥كم. وكذلك فان جبهة دفاع الفرقة اتسعت من ٢ إلى ٥ كم. كما أن التراتيب القتالية زادت من انتشارها بالجبهة وبالعمق للاقلال ما أمكن من الخسائر الناجمة عن نيران مختلف أنواع الأسلحة. ولقد كانت المدفعية والمنشآت الميدانية هما العاملين المسيطرين في هذه الحرب. وعندما كانت المدفعية اليابانية ذات الرمي السريع بقيادة جيدة، كان النصر مضموناً بصورة عامة. فقد كان المدفع يضطر الخصم إلى التخندق، وكانت المنشأة المتخندقة تضطر المدفع إلى الالتجاء خلف خط الأفق والقيام بالرمي غير المباشر. وكان الرمي المستور يتطلب اتصالات هاتفية، كما كانت الخنادق بحاجة ماسة للاسلاك الشائكة. وتبدت قيمة الرشاش متزايدة نحو المزيد لرميهم رمياً ضاماً، على حين اختفت الخيالة من المسرح. وقد ذكر تقرير قائد بريطاني من الذين انتدبوا لمرافقة الجيش الياباني. ما يلي: «انني لا أرى من سبب يمنع بأن تكون المدفعية في غالب الأحيان العامل الحاسم في المعركة، وذلك على ضوء تجربتي الخاصة» وجاء في تقرير آخر ما يلي: «لقد ترك كل ما رأيته الانطباع العميق بأن المدفعية أصبحت بعد الآن هي السلاح الحاسم، وإن الأسلحة الأخرى هي أسلحة معاونة لها. ولن يكون في وسع المرء أن يلح كثيراً على أهمية المدفعية، لأنه إذا تساوت كل الأمور الأخرى، فان المعسكر الذي يملك أفضل مدفعية سيربح دوماً... واني مقتنع تمام الاقتناع بالأهمية الهائلة للمدفعية. وأتساءل ما اذا كان قد أصبح من المناسب دراسة زيادة عدد هذا السلاح، حتى ولو تم ذلك على حساب الأسلحة الأخرى. ومع التطور الغريب للمدفعية، يبدو من الطبيعي أنه لا يمكن استخدام نيران المشاة بشكل مجد لمسافات تتجاوز ٦٠٠م. وانه يترتب على المدافع المعادية أن تكون قادرة على منع مشاة العدو من استخدام بنادقها فيما يزيد عن هذه المسافات».

## ٤ ـ الطريق إلى الحرب ـ الاحلاف.

كانت سياسة بسمارك منذ نهاية الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) وحتى استقالته في سنة ١٨٩٠ هي سياسة المحافظة على السلم الذي ربحته المانيا. ولقد حاول بسمارك تأمين هذا السلم للحصول على صداقة روسيا، كما عقد معاهدة دفاعية مع النمسا في سنة ١٨٧٩ بهدف عزل فرنسا، وهي المعاهدة التي عرفت (بالتحالف المزدوج). وانضمت ايطاليا إلى هذه المعاهدة بعد عامين بسبب ضيقها من احتلال فرنسا لتونس، وأصبح التحالف المزدوج يعرف باسم (التحالف الثلاثي). وفي عام ١٨٨٨ جلس (غليوم الثاني)[١١] على عرش المانيا، وأقال بسمارك بعد سنتين، ثم دخلت فرنسا في محادثات مع روسيا، بسبب سياسة غليوم العدوانية تجاهها، واستمرت هذه المحادثات سنتي ١٨٩٣ـ ١٨٩٥ حيث تم الوصول إلى ما عرف باسم (التفاهم المزدوج أو الاتفاق المزدوج)[*] وهكذا نشأ حلفان متعارضان. غير أن السلم استمر في القارة الأوروبية، لأن بريطانيا العظمى لم تنضم إلى أي حلف منهما. غير أن هذا الوضع الهادىء لم يستمر بسبب تطور التجارة الألمانية بسرعة فيما وراء البحار، وبسبب نمو بحريتها التجارية التي أخذت في منافسة التجارة الانكليزية بدرجة كبيرة. وبالاضافة إلى هذا، فقد أقدم الامبراطور الألماني على زيادة قوة البحرية الألمانية، ثم عزز قوتها من جديد في سنة ١٩٠٠ لحماية التجارة الألمانية فيما وراء البحار. ولينتزع من فرنسا تفوقها البحري. وقد تم ذلك عندما كانت انكلترا غارقة في حرب جنوب أفريقيا (حرب البوير). وقد أثارت هذه التدابير ضجة كبيرة في الصحافة البريطانية. فكانت تلك المنافسة أحد الأسباب الأولى للحرب، وكانت الثورة الصناعية هي العامل المحرض للمنافسة، إذ أن هذه الثورة قد زادت إلى

---

(١١) غليوم الثاني: (GUILLAUME II) ملك بروسيا وامبراطور المانيا وابن غليوم الأول. ولد في برلين (١٨٥١ ـ ١٩٤١) تنازل عن الملك بعد الحرب العالمية الأولى، والتجأ إلى البلاد المنخفضة (هولاندا).

(*) الاتفاق المزدوج: DOUBLE ENTENTE.

حد كبير من عدد سكان البلدين المتنافسين إلى درجة أصبح فيها البلدان مهددين من يوم إلى آخر بالبطالة والمجاعة لو أنهما حرما من التجارة الخارجية. وفي تعليق عن أسباب الحرب جاء ما يلي: «**لم يكن بالمستطاع تجنب سياسة القوة. وما من شيء جديد جداً يمكن تعلمه من هذه الحرب، أو من هدفها، فقد دمرت انكلترا منافساً تجارياً، كما فعلت في القرون السابقة**».

عمل ملك انكلترا (ادوارد السابع)(١٢) طوق العزلة الذي طوق بريطانيا أثناء حرب البوير وبعدها. فقام في ربيع سنة ١٩٠٣ بزيارة رسمية لباريس، واستطاع كسب الباريسيين إلى جانبه. وتلت زيارته مفاوضات أدت إلى عقد اتفاق فرنسي - انكليزي في سنة ١٩٠٤. وإلى إبرام معاهدة صداقة تحولت إلى حلف عسكري سري. وذكر السير (ويليام روبرتسون)(١٣) بأنه قد نوقشت خطط التعاون مع فرنسا بين مدير العمليات العسكرية والملحق العسكري الفرنسي في لندن سنة ١٩٠٥، ومما قاله: «أصبحت المباحثات بداية من سنة١٩٠٦، وثيقة جداً ومستمرة، وتقوم بها هيئات الأركان العامة للجيشين بصورة مباشرة، حتى أن أعضاء الحكومة لم يكونوا وحدهم هم الذين يجهلون موضوعات هذه المحادثات فحسب، بل إن وزارة الخارجية ذاتها لم تكن تعلم شيئاً عن نتائجها أيضاً مع أنها هي التي أمرت بذلك» وهذا ما أكده وزير الخارجية البريطاني عندما كتب إلى رئيس الوزراء في سنة ١٩١١ ما يلي: «إنني لا أعرف أبداً ماقرروه، فالموقف الذي تبنيناه هو الحرية المطلقة للحكومة. ولكن العسكريين يعرفون ما ينبغي عليهم عمله إذا أعطي لهم الاذن بذلك»...

---

(١٢) ادوارد السابع: (EDOUARD VII) من مواليد لندن (١٨٤١ - ١٩١٠) أصبح ملكاً لبريطانيا سنة ١٩٠١، وهو ابن الملكة فيكتوريا. في عهده انتهت حرب الترنسفال - البوير- وكان المحرض للتفاهم مع فرنسا.

(١٣) ويليام روبرتسون: (ROBERTSON. WILLIAM - ROBERT). قائد بريطاني (مشير- فيلد مارشال) من مواليد ويلبورن WELBOURN (١٨٦٠ - ١٩٣٣) تولى قيادة الجيوش البريطانية من سنة ١٩١٦ حتى بداية سنة ١٩١٨.

لقد عملت الحكومتان البريطانية والفرنسية، بموجب أحكام هذا الاتفاق، على تسوية خلافاتها الاستعمارية. فقد تلقت بريطانيا العظمى حرية كاملة للعمل في مصر. وتلقت فرنسا حرية كاملة للعمل في المغرب العربي الاسلامي، على أن تحترم سلامة (مراكش ـ المغرب). ومع ذلك، وقعت في تشرين الأول ـ اكتوبر ـ سنة ١٩٠٤ اتفاقية كان الغرض منها تقسيم المغرب بين فرنسا واسبانيا، وأرسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية البريطانية، وقد تبدّى هذا الاتفاق المشبوه فيما بعد بأنه مصدر حقيقي لكل الشرور والمتاعب. ذلك أنه لم تمض فترة طويلة حتى أخذت الصعوبات في الظهور تباعاً. ففي آذار ـ مارس ـ ١٩٠٥، اشتبه الامبراطور الألماني بأن تتحول المغرب إلى تونس جديدة، فضلاً عن أنه كان يجهل أمر المعاهدات والاتفاقات السرية، فسافر في زيارة رسمية لطنجة. وقد أثارت هذه الزيارة حملة صحفية عنيفة جداً، لدرجة اضطرت الرئيس الأمريكي إلى دخول الساحة الدولية، واقتراح عقد مؤتمر لحل المشاكل، وذلك في محاولة لمنع تدهور الموقف، ومنع قيام حرب بين الأطراف المتصارعة. وانعقد هذا المؤتمر فوق أرض (الجزيرة ـ في اسبانيا) في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٠٦. وتم فيه تأكيد تعهدات الدول بالمحافظة على استقلال المغرب.

تمكنت الحكومة البريطانية بعد ذلك بقليل من عقد اتفاق مع روسيا حرر هذه الأخيرة من التهديد الذي كانت تجابهه في الشرق الأقصى، وسمح لها بتوجيه كل جهدها نحو أوروبا. وهكذا تشكل تحالف ثلاثي في مواجهة الحلف الثلاثي، الأمر الذي يعني أن المانيا ستواجه الحرب على جبهتين في حال اندلاع هذه الحرب. وأثناء ذلك، أثيرت في بريطانيا ضجة اعلامية أرهبت الحكومة والمعارضة والشعب في موضوع القدرة البحرية البريطانية، الأمر الذي دفع الأميرال السير (جون فيشر)(١٤) إلى تحرير رسالة طويلة إلى الملك جاءفيها: «هناك واقع مؤكد وهو أن المانيا لم تضع

---

(١٤) جون فيشر: (FISHER, LORD JOHN, ARBUTHNOT) بارون كيلفرستون، اميرال انكليزي (١٨٤١ ـ ١٩٢٠) تولى قيادة الأسطول البريطاني في بداية الحرب العالمية الأولى.

أية بارجة ثقيلة في الترسانة حتى هذا الشهر - مارس - آذار - ١٩٠٧. كما أنها لم تبدأ منذ ثمانية عشر شهراً ببناء أية سفينة قتال أو طراد كبير. . . وان نصف كل الأسطول الحربي الألماني لا يكاد يعادل الطرادات المدرعة البريطانية» ثم كتب (جون فيشر) رسالة أخرى في ٢١ - آذار - مارس - ١٩٠٩ - جاء فيها ما يلي: «لقد تحقق الآن الهدف الذي عملنا له بحزم طوال السنوات الأربعة الماضية. وبات لدينا في مياهنا الاقليمية أسطولان كاملان. ويستطيع كل أسطول منهما التفوق بصورة مؤكدة على الأسطول الألماني الذي سيزج في الحرب، ولن يتغير هذا الوضع خلال سنوات. وأرجو أن تنام قرير العين في سريرك».

اطلع رئيس المعارضة - المستر آرثر بالفور - على هذا الموضوع، ومع ذلك فانه قام بهجوم عنيف ضد المانيا بهدف تحريض الشعب أثناء الانتخابات العامة التي جرت في كانون الثاني - يناير - سنة ١٩١٠، حتى يعطي الشعب أصواته للحزب المحافظ. وقد وجه إليه (ونستون تشرشل) حملة مضادة: - لأنه خلق التوتر بين دولتين كبيرتين دونما سبب. وعلى كل حال، فقد مات الملك (ادوارد السابع) يوم ٦ أيار - مايو - ١٩١٠، وخلفه ابنه (جورج الخامس)[١٥] غير أن الموقف عاد فتفجر في المغرب قبل أن يتم تتويجه، وذلك لأن فرنسا احتلت (فاس) مظهرة بذلك تصميمها على ضم المغرب لحكمها. فما كان من امبراطور المانيا - الذي لا زال يجهل المعاهدات والاتفاقات السرية - إلا أن أعلن بأن هذا العمل هو خرق فاضح (لمعاهدة الجزيرة)[١٦] وقد كان كذلك فعلاً. وعندما أرسل في اليوم الأول من تموز - يوليو - زورقاً مسلحاً هو (البانتر)[*] إلى أغادير لحماية المصالح التجارية والرعايا الألمان في المغرب، اندفع لويد جورج في هجوم

---

(١٥) جورج الخامس (GEORGES V) من مواليد لندن (١٨٦٥- ١٩٣٦) وهو ابن ادوارد السابع، تم تتويجه على ملك بريطانيا في يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩١٠.

(١٦) الجزيرة (ALGESIRAS) هي المنطقة التي نزلت بها قوات المسلمين جنوب الاندلس وأعطوها هذا الاسم. وبها مدينة قادس، ولها خليج يطل على مضيق جبل طارق. وعقد بها مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ لمعالجة قضية المغرب.

(*) البانتر: (PANTHERS).

عنيف ضد المانيا، وتسارعت الأحداث، وظهر احتمال نشوب حرب عامة، غير أنه أمكن الوصول إلى اتفاق في تشرين الثاني - نوفمبر - حصلت فيه فرنسا على حرية العمل في المغرب. وحصلت ألمانيا على جزء من الكونغو الفرنسي. وخرجت ايطاليا غاضبة، فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية واجتاحت ليبيا، واحتلت رودس وبعض جزر الدوديكانيز، حتى لا تقوم فرنسا باحتلال ليبيا بحجة حماية تجارتها ورعاياها - هذا الاحتلال الذي كان يتم باستمرار تحت هذه الذريعة على حساب أقطار العالم العربي - الاسلامي في معظم الأحيان؟! . . . وبما أن روسيا هي عضو في التحالف الثلاثي الآن، فان أطماعها التوسعية على حساب الدولة العثمانية - الاسلامية، باتت تجد ظروفاً أكثر ملاءمة مما كانت عليه في سنة ١٨٧٧م. وكانت أطماعها موجهة لتحقيق ثلاثة أهداف: القضاء على وجود المسلمين في اوروبا. والاستيلاء على القسطنطينية، واضعاف النمسا معنوياً بتخريب رصيدها في البلقان، الأمر الذي يضعف المانيا في الوقت ذاته. وكانت الوسيلة التي تنوي استخدامها هي الدول البلقانية (وبخاصة صربيا وبلغاريا) وكانت الأولى قد حصلت على استقلالها عن الدولة العثمانية سنة ١٨٧٨، أما الثانية فقد بقيت في إطار دول الخلافة العثمانية. غير أن استمرار التحريض الأوروبي - الروسي دفع أمير بلغاريا - فرديناند - إلى اعلان استقلال بلاده، في ٥ تشرين الأول - اكتوبر - ١٩٠٨، كما أعلن نفسه ملكاً. وقامت النمسا - هنغاريا بضم (البوسنة والهرتسك) إليها. واقتنصت روسيا الفرصة المتاحة لها، فأخذت في العمل لتوحيد الدول البلقانية تحت زعامتها، ونشرت بين صفوفهم المخاوف من امتصاص النمسا تدريجياً لهم إلا إذا تخلوا عن صراعاتهم المتبادلة، واتحدت قواتهم للدفاع المشترك. وحققت روسيا هدفها بتشكيل (عصبة البلقان). وبما أن تركيا وايطاليا كانتا في حالة حرب في هذه الفترة، فقد أعلنت (مونتينيغرو)[١٧] الحرب

(١٧) مونتينيغرو: اقليم قديم في البلقان حصل على استقلاله بموجب معاهدة برلين لسنة ١٨٧٨ (MONTÉNÉGRO) ثم أصبح مملكة سنة ١٩١٠، وانضم الى يوغوسلافيا منذ سنة ١٩١٩. وأصبح اليوم إحدى الجمهوريات الاتحادية اليوغوسلافية وعاصمته تيتوغراد، ومساحته ١٤ ألف كيلومتر مربع.

على العثمانيين، وانضمت إليها بلغاريا وصربيا واليونان، واستطاعت قوات هؤلاء الانتصار على العثمانيين، وعقدت هدنة في ٣ أيلول - سبتمبر -. ثم وقعت معاهدة للسلم في لندن يوم ٣٠ أيار - مايو - ١٩١٣. وما أن تم ذلك حتى تخاصم المنتصرون على اقتسام اسلاب المهزوم. فانقض البلغاريون على الصربيين واليونانيين، ودخل الرومانيون في هذا الصراع. واستعاد العثمانيون (اندرينوبل)(١٨) وهزمت بلغاريا. وعندما انتهت حرب البلقان الثانية بمعاهدة (بخارست) في ١٠ آب - أغسطس - كان ظل العثمانيين قد انحسر عن أوروبا بحيث لم يبق لهم فيها سوى اندرينوبل والقسطنطينية وضاحيتها وشبه جزيرة غاليبولي..

استمر التوتر في تصاعد مستمر، حتى أن (العقيد هاوس) السفير المتجول للرئيس الأمريكي (ويلسون) نقل إلى رئيسه أثناء اقامته في برلين - في ربيع سنة ١٩١٤ - ما يلي: «إن المانيا بكاملها محملة بالكهرباء، وأعصاب الناس كلهم متوترة، وستنقض فرنسا وروسيا على المانيا والنمسا بمجرد موافقة انكلترا على ذلك». وكانت روسيا تخشى أن تسحب انكلترا موافقتها، فكتب سفير روسيا في لندن - بنكندروف - إلى وزير خارجيته - سازانوف - ما يلي: «قد يكون من المحال بقاء التفاهم الانكليزي - الروسي إذا ما عادت انكلترا وتفاهمت مع المانيا». وقد استشهد في الوقت ذاته بالمحاولات الألمانية لخرق التفاهم الروسي - الانكليزي. وكان الشيء الوحيد الذي تخشى منه روسيا هو التأجيل بعد أن وصل التوتر ذروته.

كان امبراطور النمسا (فرنسوا جوزيف)(١٩) قد بلغ الرابعة

---

(١٨) اندرينوبل: (ANDRINOPLE) وفي اللغة التريكة ادرنه (ÉDRINÉ) وهي مدينة تقع في تراقيا الأوروبية. وقد بقيت في حوزة الأتراك المسلمين منذ سنة ١٣٦٠ واستولى عليها الروس في سنة ١٨٢٩. وارغم قيصر روسيا العثمانيين فيها على التوقيع على معاهدة تعترف باستقلال اليونان.

(١٩) فرانسوا جوزيف: (FRANCOIS-JOSEPH) امبراطور النمسا وملك هنغاريا. ولد في فيينا (١٨٣٠ - ١٩١٦) تولى الحكم في بلاده سنة ١٨٤٨. وقد ثارت ضده ايطاليا وهنغاريا (سنة ١٨٤٩) ثم وقعت الحرب الايطالية (١٨٥٩) واستقلت ايطاليا، ثم الحرب البروسية - النمساوية ١٨٦٦م ثم شكل الحلف الثلاثي ١٨٧٨ حتى جاءت الحرب العالمية الأولى.

والثمانين من عمره. وكان ولي عهده (الارشيدوق فرانسوا فرديناند)(٢٠) يعارض بشدة قيام صربيا الكبيرة، في حين كانت روسيا مصممة مهما بلغ الثمن أن تجذب الصربيين إلى (سانت بيترسبورغ) وأن تبعدهم عن فيينا. وكان هذا هو الموقف عندما اغتيل الأرشيدوق فرانسوا وزوجته في يوم ٢٨ حزيران - يونيو - ١٩١٤ - من قبل فدائيين صربيين في (سيراجيفو)(٢١). وكانت صربيا قد تلقت تأكيداً من روسيا بأنها في هذه المرة لن تتخلى عنها - طبقاً لما ذكره (بوغيتغيتش) القائم بأعمال صربيا في المانيا. والذي كتب بالاضافة إلى ذلك: «**وان ما هو أكثر أهمية من كل هذا، هو أن صربيا كانت قد تلقت تأكيداً بأن الحرب ضد المانيا والنمسا قد تقررت، وأن اغتيال ولي عهد عرش النمسا يتيح حجة ملائمة للحرب لأن انكلترا وفرنسا كانتا قد قبلتا أن تقودهما روسيا في النزاع فقط، وهو بذاته ومن ذاته لم يكن إلا نزاعاً محلياً بين النسما وصربيا**».

كان باستطاعة بريطانيا وحدها ايقاف الموقف المتدهور، ومنع وقوع الحرب، لو أن وزير خارجيتها حذر روسيا وفرنسا من أن بريطانيا لا تهتم بالنزاع، وأنها تحتفظ بحرية عملها في كل ميدان من ميادين الصراع، غير أن ذلك كان يتطلب من بريطانيا ألا تكون متورطة بالتزامات تجعل من المحال عليها التراجع والانسحاب. ولكنها في الواقع كانت متورطة بتحالفها لسنة ١٩٠٤ وهو التحالف الذي أحيط بالسرية حتى أن البرلمان البريطاني لم يكن يعرف عنه شيئاً. وعلى كل حال، فقد وقع انذار نمساوي مدته ٤٨ ساعة في بلغراد وذلك في يوم ٢٣ تموز - يوليو - ١٩١٤. وأعلن وزير خارجية روسيا: «بأن هذا الانذار هو عمل عدواني لا سابقة له، وأن

---

(٢٠) فرانسوا فرديناند (FRANÇOIS - FERDINAND) الارشيدوق وريث عرش النمسا (١٨٦٣ - ١٩١٤). اغتيل وزوجته في سيراجيفو. فكان اغتياله السبب المباشر لاندلاع الحرب العالمية الأولى.

(٢١) سيراجيفو: (SARAÏEVO = où = SARAJEVO) مدينة يوغوسلافية، عاصمة البوسنة والهرسك (BOUSNIE- HERZÉGOVINE) على نهر بوسنا - وفيها اغتيل ولي عهد لنمسا- الارشيدوق فرانسوا فرديناند يوم ٢٨ حزيران - يونيو - ١٩١٤. فأدى ذلك إلى انفجار برميل البارود الذي احرق أوروبا بالدرجة الأولى.

الوسيلة الوحيدة لمنع وقوع الحرب مع ألمانيا هو افهامها بانها ستواجه القوى المتحدة للتحالف» واستنفرت روسيا قواتها جزئياً. وألحت ألمانيا على تسوية هذه المشكلة بين النمسا وصربيا فقط. وفي ٢٥ تموز ـ يوليو ـ ردت صربيا على انذار النمسا. وبما أن الرد لم يكن كاملاً، فقد أصدرت النمسا مرسوماً بالنفير العام. وفي اليوم التالي، استدعى سفير بريطانيا في برلين لمقابلة مستشار المانيا؛ حيث تم ابلاغه: «بأن المانيا ستحترم سلامة فرنسا، لو انتصرت في الحرب، اذا ما وقفت بريطانيا على الحياد» غير أن الحكومة البريطانية رفضت هذا الاقتراح. وكلفت المانيا سفيرها في (بيترسبورغ) في يوم ٣١ تموز ـ يوليو ـ بتوجيه انذار الى الحكومة الروسية للمطالبة بوقف النفير خلال ثمانية عشرة ساعة، وإلا فان المانيا ستستنفر كل قواتها. غير أن روسيا لم ترد على الانذار. ودخلت المانيا وروسيا الحرب في الأول من آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤. وأصدرت فرنسا مرسوم النفير العام. وفي ٢ آب ـ أغسطس أعلنت ايطاليا حيادها واعادت بهذا الحلف الثلاثي إلى شكله البدائي ـ الأولي ـ. واخترقت دورية من الخيالة الألمانية حدود اللوكسمبرغ. وقدم وزير المانيا في بروكسل إلى الحكومة البلجيكية مذكرة طلب فيها السماح للقوات الألمانية بالمرور من بلجيكا. ورفضت بلجيكا هذا الطلب. وفي صبيحة اليوم التالي، وجه ملك بلجيكا نداءً شخصياً إلى ملك انكلترا لحماية بلاده. وفي الساعة ١٨٤٥، أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا، وبعد ساعات أعلنت الحرب على بلجيكا. فما كان من بريطانيا إلا أن أعلنت الحرب على المانيا في منتصف ليل ٤ ـ آب ـ أغسطس ـ. وأعلنت النمسا الحرب على روسيا يوم ٦ آب ـ أغسطس ـ. وانضمت اليابان إلى دول الاتفاق في ١٥ ـ آب ـ أغسطس ـ. ثم انضمت الدولة العثمانية إلى جانب الدول المركزية في ٩ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩١٤ ـ وبدأ العالم يحترق بلهيب الحرب العالمية.

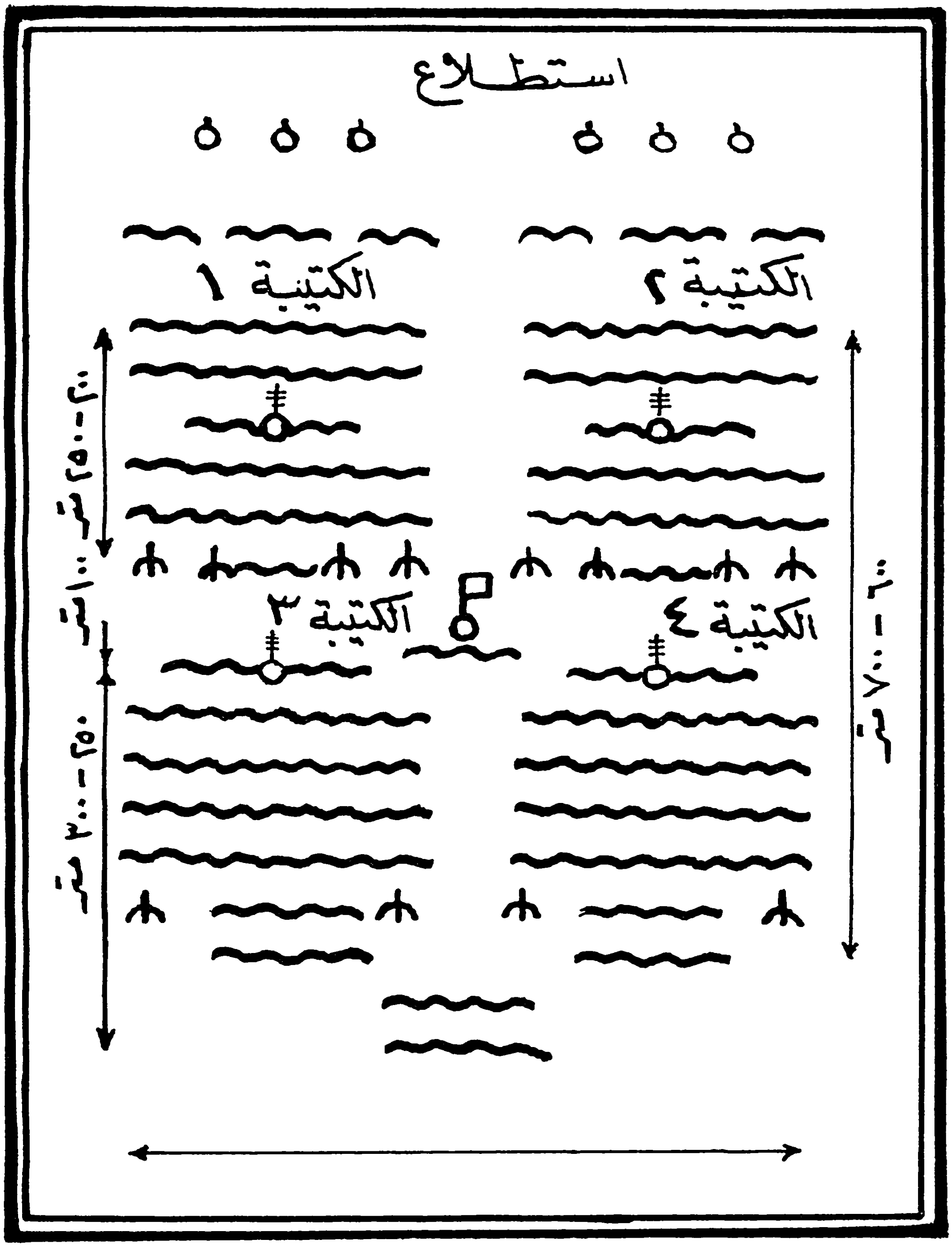
## ٥ ـ موازين القوى عشية الحرب.

شملت الحرب العالمية الأولى (٣٣) دولة تضم معظم سكان العالم. وكانت هذه الدول قد أعدت قواتها للحرب، ونظمتها، وفقاً للمبادىء

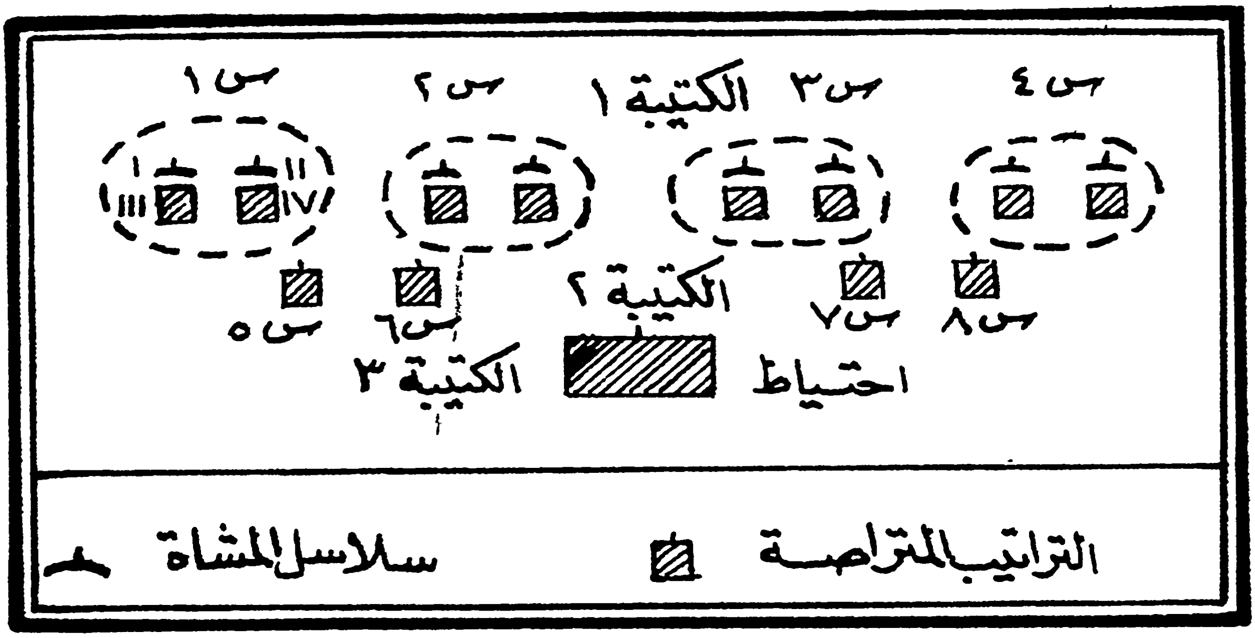
والنظريات التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر. وكانت تعبئة القوات بالرجال تتم على أساس الخدمة الالزامية العامة التي كانت تتراوح مدتها ما بين السنتين والأربع سنوات، حسب أوضاع الدول، وما يتوافر لها من قدرات بشرية. وبعد انتهاء الخدمة الالزامية للمكلفين، كان يجري تسجيلهم في صفوف الاحتياطيين. وقد سمح أسلوب التعبئة هذا بالاحتفاظ بجيوش غير كبيرة نسبياً في أيام السلم، وبتكديس احتياطات كبيرة ومدربة لاستخدامها في حالة الحرب. وكانت بريطانيا تعبىء جيشها في أيام السلم عن طريق التطويع. وتألفت القوات المسلحة في معظم البلدان من قوات برية، ومن أسطول حربي. وكانت نسبة كل صنف داخل القوات البرية كما يلي: المشاة من ٧٠ إلى ٧٥ بالمائة، والخيالة من ٥ إلى ٨ بالمائة والمدفعية من ١٥ إلى ١٧ بالمائة. والهندسة والقوات المساعدة من ٢ إلى ٧ بالمائة. ومن هنا يظهر أن كافة الجيوش كانت تعتمد على المشاة بالدرجة الأولى لتنفيذ كافة الواجبات والأعمال القتالية. ولقد توافر لدى الدول الكبرى عشية الحرب العالمية الأولى القوات المسلحة التالية:

| اسم الدولة | تعداد الجيش في السلم | الاحتياطات المدربة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| انكلترا | ١٧٢,٠٠٠ رجل | ١,٠٢٣,٠٠٠رجل | (*) ـ جدير بالذكر أن امبراطور النمسا ـ فرانسوا جوزيف قد عمل في سنة ١٨٦٧ على تقسيم السلطة بين النمسا ـ وهنغاريا وأوجد النظام الثنائي تحت التاج الامبراطوري<br>(**)ـ المرجع: تاريخ فن الحرب ـ استروكوف ـ ٣٢٣/١. |
| فرنسا | ٨١١,٠٠٠ رجل | ٥,٠٦٧,٠٠٠ رجل | |
| روسيا | ١,٣٦٠,٠٠٠ رجل | ٥,٦٥٠,٠٠٠ رجل | |
| النمسا ـ هنغاريا | ٤١٠,٠٠٠ رجل | ٣,٠٠٠,٠٠٠ رجل | |
| المانيا | ٧٨٨,٠٠٠ رجل | ٤,٩٠٠,٠٠٠ رجل | |

أعارت الدول الكبرى أهمية كبرى لتطوير القوات البحرية، واعتبرت أن القدرة القتالية للأسطول تتعلق قبل كل شيء بعدد البوارج الثقيلة




الترتيب القتالي لموجات سلاسل المشاة




الترتيب القتالي للفوج حسب نظام قتال عام ١٩٠٠

وبالغواصات علاوة عن بوارج السطح المختلفة. وكان الأسطول البريطاني من أقوى الاساطيل قبل الحرب. وكانت الأساطيل التي تخص دول حلف التفاهم (انكلترا وفرنسا وروسيا) أقوى بكثير من دول الحلف الثلاثي. الأمر الذي سمح لدول الحلف الأول بالحصول على السيطرة البحرية. ولم تعرف حتى ذاك الزمن أنواع أخرى من القوات المسلحة غير القوات البرية والقوات البحرية. فالطيران كان حديث العهد، جديد الولادة، ولهذا فانه لم يعتبر حتى من صنوف القوات، بل اعتبر كواسطة فنية للاستطلاع والارتباط. وكانت البنية التنظيمية لمعظم الجيوش الأوروبية تقوم على التنظيم الثنائي: فاللواء كان يتألف من فوجين، والفرقة من لواءين، والفيلق من فرقتين. وكانت فرقة المشاة مكونة في الدول المختلفة كما يلي:

| الفرقة | التعداد | الكتائب | الرشاشات | المدافع الطويلة | المدافع القصيرة (القذاف) |
|---|---|---|---|---|---|
| الروسية | ٢١,٠٠٠ | ١٦ | ٣٢ | ٤٨ (٧٦مم) | - |
| الفرنسية | ١٦,٠٠٠ | ١٢ | ٢٤ | ٣٦ (٧٥مم) | - |
| الألمانية | ١٦,٦٠٠ | ١٢ | ٢٤ | ٥٤ (٧٧مم) | ١٨ (١٠٥مم) |

وقد وجد في فيلق المشاة بالاضافة إلى فرقتي المشاة: فوج خيالة، وفوج مدفعية، ومفرزة طائرات مؤلفة من ست طائرات أو أكثر، ووحدات إشارة وهندسة وشؤون إدارية. وكان فوج المدفعية العائد للفيلق مسلحاً بمدافع قذافة (هاوتزر) من عيار ١٢٢مم في الفيلق الروسي، و١٥٠مم في الفيلق الألماني، وأما في الفيلق الفرنسي فكان يتألف من ٤٨ مدفعاً عيار ٧٥مم. أما أفواج المشاة فلم تكن تملك مدفعيتها الخاصة. وكانت كل وحدات المشاة في جميع الدول مسلحة بالبنادق المجهزة بالمخازن وذات العيار ٧,٦٢ وحتى ٨مم. والتي يصل مداها الأقصى حتى ٤ أو ٥كم، وبعدد قليل من الرشاشات الثقيلة. وقد تدرب الجنود المشاة على خوض الأعمال الهجومية في تراتيب قتال متراصة ودون مطابقة بين هذه التراتيب والأرض. أما عند الهجوم على دفاع محضر، فكان المشاة يزيدون من عمق الترتيب القتالي. فالفرقة المشاة كانت تضع فوجين في الخط الأول وفوجاً أو فوجين (إذا كان تشكيلها رباعياً) في الخط الثاني. وتكون الترتيب القتالي لأفواج الخط الأول من عدد من سلاسل المشاة المتراصة والتي كانت تتحرك خلف بعضها على مسافة ٥٠ متراً تقريباً. وقد شكلت الاحتياطات لاستعواض الخسائر، وللاحتفاظ بالقوة الضاربة للسلاسل المهاجمة (انظر المخطط المرفق) وقد دعي هذا الترتيب القتالي باسم (موجات سلاسل المشاة).

«ظهر لودندورف للمرة الأولى أمام الجماهير، يوم ١ أيلول - سبتمبر - ١٩٢٣، بمناسبة ذكرى معركة سيدان. وقد اختار هتلر شخصية لودندورف ضماناً يحتمي به. فقد كان لودندورف يحلم بألمانيا قوية وموحدة ولا تقبل الانقسام»

بينوا - ميشان

# الفصل الثاني
# معارك لودندورف

١ - موقعة تاننبرغ ٢٩- ٣٠، آب، أغسطس - ١٩١٤.
٢ - موقعة اينستربورغ ٨ - ١٥ أيلول، سبتمبر - ١٩١٤.
٣ - موقعة لودز (بولونيا) ١١ - ٢٠ تشرين الأول - اكتوبر - ١٩١٤.
٤ - موقعة بيالستوك (أوغستوفو) ٧ - ٢١ شباط - فبراير - ١٩١٥.
٥ - تطويق القوات الروسية في بولونيا ١٥ - تموز - يوليو - ١٩١٥.
٦ - موقعة فيلنا ٩ - ٢٧ أيلول - سبتمبر - ١٩١٥.
٧ - لودندورف على جبهة الغرب ١٩١٧ - ١٩١٨.
٨ - من لودندورف إلى هتلر.

## ١ ـ موقعة تاننبرغ

كان القائد الألماني (لودندورف) يمضي في طريقه من نامور إلى فافر يوم ٢٢ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤ ـ في الساعة التاسعة صباحاً، لاستلام رئاسة عمله في مقر القيادة العامة للجيش الألماني الثامن، عندما تلقى رسالة سرية خاصة من القائد العام فون مولكته، يبلغه فيها خبر تعيينه رئيساً لأركان هذا الجيش في بروسيا الشرقية. وجاء في رسالة (مولتكه) ما يلي: «إنها لمهمة جديدة عسيرة الوضع في حالتها الراهنة، ألقي بها على عاتقك. إنها في الواقع مهمة أصعب من المهمة التي كانت أوكلت إليك فيما سبق، أي مهمة الاستيلاء على موقع لييج المحصن، وانني لا أستطيع حقاً أن أعهد بها إلى شخص آخر غيرك فأوليه مثل هذه الثقة المطلقة التي أوليتك إياها في ظروف أحسبها جد خطيرة. ويقيني إنه لربما بما عهدته فيك من الصفات أو الميزات تستطيع انقاذ الموقف الراهن والدقيق، على جبهة الشرق. ومعذرة إن أنا استدعيتك من مهمة يبدو فيها تنفيذ القرار أكيداً ـ بمعونة القدر ـ لأكلفك بهذه المهمة الخطرة. بيد أن واجبك الوطني والعسكري يفرضان عليك الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبرى، وأن تتحمل أعباء مثل هذه التضحية الجديدة بعزم واقدام من أجل عظمة الوطن الألماني الكبير»..

وصل لودندورف في الساعة الثامنة عشرة إلى مقر القيادة العليا في كوبلنز، حيث اجتمع بالقيصر ـ الامبراطور غليوم الثاني ـ والقائد فون

مولكته. وعرف أن الفيلد ماريشال (هندنبورغ)[٢٢] قد استدعي إلى الخدمة من جديد، ليتولى قيادة الجيش الثامن. وشاهد لأول مرة في محطة هانوفر يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ الساعة الثالثة صباحاً فون هندنبورغ يصعد إلى عربة القطار التي كان يستقلها هو بالذات. ووصل القائدان إلى (مارنبورغ) في الساعة الرابعة عشرة حيث تسلما قيادة الجيش الثامن الذي كان قدمني بهزيمة أولى في معارك (كومبيين) على أيدي القوات الروسية[٢٣] وتراجع إلى الانسحاب لما وراء نهر (فيستول).

لقد كانت خطورة الموقف الذي جابهه لودندورف في بروسيا الشرقية، ناجمة عن التباين الكبير في موازين القوى، فبينما كان عدد أفراد الجيش الألماني الثامن لا يـزيد على (١٦٠) ألف جندي. كانت روسيا قد نجحت في زج جيشين عبرا حدود بروسيا في ١٥ آب ـ أغسطس ـ الجيش الأول بقيادة (سامنزانوف) وقوته (٢٥٠) ألف مقاتل، وصل في تقدمه حتى

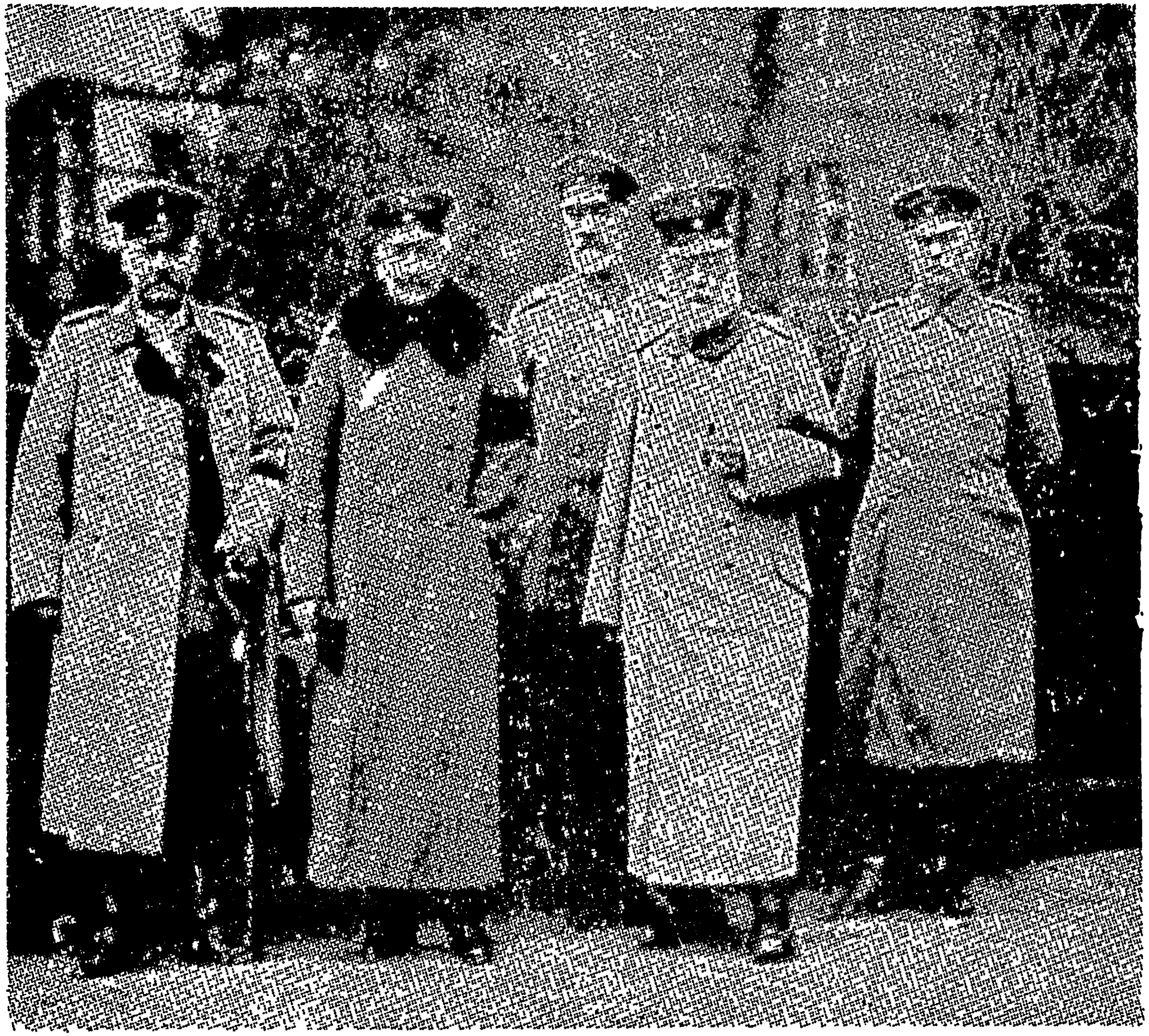
---

(٢٢) هندنبورغ فون بول لودفيج (HINDENBURG, PAUL LUDWIG, VON BENECKEN DORFF) ماريشال الماني، من مواليد بوزن (١٨٤٧ ـ ١٩٣٤). خاض الحرب البروسية ـ النمساوية (١٨٦٦) والحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠) وتقاعد سنة ١٩١١، واستدعي للخدمة سنة ١٩١٤ حيث اسندت إليه قيادة القوات في جبهة شرق بروسيا ومعه (لودندورف) رئيساً لهيئة أركان حربه. ثم عين قائداً أعلى للجبهة الشرقية في الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وكان يطالب باتباع سياسة دفاعية في الغرب وهجومية في الشرق. واسندت إليه بعد ذلك قيادة جبهة الغرب محل فالكنهاين: (FALKENHAYN) في ٢٩ آب ـ أغسطس ١٩١٦ ومعه (لودندورف) رئيساً لهيئة أركان حربه. وتقاعد هندنبورغ سنة ١٩١٩، وأصبح رئيساً لألمانيا (١٩٢٥ ـ ١٩٣٤) وهو الذي عين هتلر مستشاراً لألمانيا في ٣٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٣٣، وأصبح هتلر زعيماً لألمانيا بعد وفاة هندنبورغ في ٢ آب ١٩٣٤.

(٢٣) كومبيين COMPIÈGNE. مقاطعة في الواز وتقع على نهر الواز (OISE) اشتهرت بغابتها الجميلة، وبها قصر جميل شيد في معظمه أيام الملك لويس الخامس عشر وأكمل في أيام نابليون بونابرت. ويذكر أن جان دارك قد أسرت وسجنت في غابة كومبيين ـ من قبل (البورغونيوت) سنة ١٤٣٠. كما تزوج نابليون بونابرت في غابة كومبيين بزوجته ماري لويز. ووقعت فيها المعاهدة الفرنسية ـ الهولاندية من أجل غزو بلجيكا (سنة ١٦٣٥) كما وقعت بها معاهدة بيع جزيرة كورسيكا لفرنسا ـ من قبل ايطاليا سنة ١٧٦٨م. وأقام فيها الألمان معسكر اعتقال أيام الحرب العالمية الثانية لاحتجاز المعتلقين السياسيين.



القائد الكونت فون شليفن
رئيس اركان الحرب الألمانية العليا



من اليمين إلى اليسار فون هندنبورغ ـ القيصر غليوم الثاني ـ وزير الحربية بيتمان ـ الأمير ليوبولد البفاري ـ لودندورف

جنوب حدود البحيرات أما الجيش الثاني بقيادة (رينكاوف) وقوته (٣٠٠) ألف مقاتل. وصل في تقدمه حتى الاطراف الشمالية للبحيرات (بحيرات مازوري)[٢٤] ولقد زاد من خطورة الموقف العوامل التالية:

١" - ضعف القوات النمساوية - الهنغارية؛ والناجم عن سوء تقدير موقف القوات الروسية، وفي الواقع، فعندما أعلنت الحرب في مطلع شهر آب - أغسطس -. كان رئيس أركان الجيش النمساوي - الهنغاري واثقاً كل الثقة من قدرة قواته وكفاءتها. ولذا بادر فوراً إلى اطلاق هجومه باتجاه مدينة لوبلن. غير أن عمليات حشد القوات الروسية جاءت أسرع مما كان متوقعاً لها، ونجح القائد العام للقوات الروسية (الفراندوق نيقولاي) بزج جيشين كبيريـن في وجه القوات النمساوية - الهنغارية . ودفعها باتجاه لمبرغ، ثم تابع التقدم - بناء على طلب فرنسا - لمجابهة القوات الألمانية.

٢" - سرعة تحرك القوات الروسية: إذ أن روسيا استثمرت بصورة جيدة كل القروض الفرنسية لتنظيم شبكة حديثة من الخطوط الحديدية من أجل تأمين سرعة حشد القوات ضد المانيا.

٣" - ضعف الستارة الدفاعية في بروسيا الشرقية: ويذكر أن فون مولتكه الصغير كان قد اقترح زج أربعة فيالق مشاة وفرقة فرسان وثلاث فرق احتياطية، علاوة على قوات بروسيا الاقليمية، غير أن الحكومة رفضت طلبه واكتفت بتخصيص مبلغ (٣٠٠) مليون مارك - في موازنة سنة ١٩١٣ - ثم توظيفه لدعم المواقع المحصنة الكبرى ومنها: تورن وغراودنز مع إنشاء خط دفاعي في منطقة البحيرات - شمال موقع لوتزن الصغير وجنوبه.

**ولقد ظهرت خطورة هذا الموقف بكل ابعاده عندما برز احتمال**

---

(٢٤) مازوري: (MAZURIE = MASURIE) اقليم بولوني وكان فيما مضى من أقاليم بروسيا الشرقية. ويشكل مع وارمي WARMIE ما يعرف باسم اقليم بوميرانيا - المازوية: -POMÊRANIE) (MAZOVIENNE.



بحر البلطيق
تيلسيت
نهر النيمين
نحو كوفنو
كونيلسبرغ
نهر البريغل
اينستربورغ
فيلكوفيسكي
فيربالن
دانزيغ
غراودنز
سولداو
البه
انغربورغ
زيبورغ
لوتزن
البينغ
غرودنو
مارنبورغ
اورتلسبورغ
بونتهايم
نهر البوبر
هوهشاين
دويتش ايلو
غراودنز
اوسوفيز
بيالستوك
تانبرغ
سولداو
نهر النارو
تورن
فلوسلافيك
نوفوجورجفيسك
نهر البوغ
اوستروليكا
٣٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠
المقياس
فارصوفيا

**تقدم الجـيش الروسي الجنوبي نحو (دويتش آيلو) ليقطع حتماً خطوط امداد ومواصلات القوات الألمانية. مع احتمال تقدم قوات روسية أخرى أيضاً من فارصوفيا باتجاه سيليزيا. مهددة بذلك هذه المنطقة الصناعية ومواردها الغنية، ومنشآت الأسلحة والذخائر فيها.**

وكان الموقف يوم وصل لودندورف إلى مقر قيادته (في ٢٤ ـ آب ـ أغسطس) في (دويتش آيلو) على النحو التالي: الجيش الألماني الثامن المكون من ـ احتياط كونسبرغ العام ـ والفيلق الأول والفيلق السابع عشر والفيلق الاحتياط الأول وفرقة الاحتياط الثالثة وفرقة الفرسان وقد تراجعت كلها أمام جيش (ريننكامف). أما الفيلق العشرون المعزول، فقد تراجع بدوره أيضاً من أمام جيش (سامزانوف) واتجه نحو (غلغنبورغ). غير أن الفيلق الأول كان قد تقدم لدعمه بعد وقت قصير، بعد نقله بالقطار، وتوقف إلى جانب الفيلق العشرين.

وجدير بالذكر أن هذا الاجراء قد تم بناء على أمر اصدره لودندورف عن طريق القيادة الألمانية العليا لدى مروره في (كوبلنز) وذلك بعد أن درس الموقف على الجبهة الشرقية دراسة دقيقة. عندما وصل هندنبورغ ولودندورف إلى مقر قيادة الجيش الثامن، اطلعا على خطة العمليات الروسية، والتي تم الحصول عليها من أحد الضباط الأسرى الروس. وكانت هذه الخطة تتضمن ما يلي: «**يجب على جيش ـ ريننكامف ـ الالتفاف من حول بحيرات مازوري من الشمال. ثم السير باتجاه اينستربورغ ـ انغربورغ لمهاجمة القوات الألمانية فيما وراء نهر الانغراب. بينما يجتاز جيش النارو خط اورتلسبورغ ـ لوتزن لضرب القوات الألمانية من الجانب**» وظهر واضحاً أن الروس يعتمدون على القيام بحركة تطويق للجيش الألماني. ودرس القائدان (هندنبورغ ولودندورف) موقف القوات الروسية فتبين لهما ما يلي: «**كان هذا الجيش تعباً للغاية من جراء قيامه بمسيرات شاقة وطويلة عبر بولونيا. وكانت معداته وسدنة أسلحته تتقدم بصعوبة كبيرة عبر الطرق الرملية والدروب الضيقة والصعبة. وكان يتعذر عليه تأمين مواده التموينية بصورة منتظمة. وكان من الصعب الحصول على تموينه من**

**البلاد التي يمر بها. وقد نفد لديه الخبز وحتى علف الرواحل»** كانت فكرة ـ لودندورف ـ ترمي إلى الاستفادة من انفصال الجيشين الروسيين الموقت لدحرهما افرادياً وعلى التتابع. وكتب لودندورف: «**لقد تبدت فطرياً لكل ضابط من ضباط هيئة الأركان الألمانية فكرة استغلال واقع الانفصال الطارىء بين الجيشين الروسيين، وامكان الافادة من هذا الوضع الجديد**». ولما كان جيش (سامزانوف) أكثر تهديداً وأشد خطراً على سلامة الجيش الألماني من الجيش الروسي الآخر، لأن تقدمه كان من شأنه عزل الجيش الثامن عن خطوط امداده ومواصلاته. فقد كان لزاماً مبادرة العمل أولاً ضد هذا الجيش، وذلك بحشد أقصى ما يمكن حشده من القوات الضاربة. ولهذا قرر لودندورف ألا يترك أمام جيش رينكامف سوى ستارة وقائية، وعمد بالتالي إلى حشد كافة قوى الجيش الثامن ضد جيش سافزانوف الذي تعاظمت خطورته. وما عتم أن أوعز إلى جهاز هيئة أركانه باعتماد هذه الخطة والاعداد لها.

وكتب لودندورف: «**لم تكن فكرة الموقعة مهيئة أو جاهزة بصورة مسبقة، ولكنها تدرجت في وضعها ونظامها وترتيبها وتفصيلها رويداً رويداً حتى اكتملت تفاصيلها أثناء المدة الواقعة بين ٢٤ و٢٦ آب ـ أغسطس ـ. والمعروف والمألوف أن الاحاطة بالموقف واتخاذ الاجراءات لا تتوافر للقائد في الحرب إلا تباعاً بحسب الظروف والأحوال المتدرجة، وتراه يقرر شعورياً موجات العمل الصاعدة حيث تتبدى المهنة العسكرية، وكأنها فن متكامل الحدود والابعاد.** وكانت المسألة كلها تدور حول الامكانية الحقيقية التي يمكن بموجبها سحب الفيلق الأول الاحتياط والفيلق السابع عشر من وجه جيش ـ رينكامف ـ لجمعها إلى الجيش الثامن، ثم المبادرة إلى اطلاق ضربة عنيفة تسدد إلى جيش النارو ـ وبالتالي معرفة إذا كان في نية رينكامف أو في مقدوره استغلال النجاح الذي حصل عليه في كومبيين، أو أنه سيتقدم سراعاً إذا عول مصمماً على استئناف الانطلاق قدماً».

وكتب فون هندنبورغ في وصفه للموقف ما يلي: «إذا أخذنا بعين

الاعتبار تقدير قوات الخصمين المتحاربين، مع اعتبار اضافة لوائي - اللاندوير - اللذين كانا مكلفين بحراسة سواحل شيلزويغ وهولشتاين، واللذين مازالا يتحركان للوصول قبل الوقت للاشتراك في الموقعة، ولنقيم موازنة بين قواتنا وقوات العدو، يتضح لنا بصورة لا تقبل الشك أن ميزان التفوق ليس في جانبنا أصلاً، حتى ولو اعتبرنا أن جيش - رينكامف - توقف عن الحركة. مع العلم بأن قواتنا تضم وحدات من اللاندشتورم المدربة جيداً. والواقع أنه بالرغم من تدني قواتنا العددي، فان هذا التدني لم يكن ليشغل تفكيرنا أبداً. فالقائد الذي لا يأخذ اعتباراً وافياً في حساباته للقيم المرئية، يقع حتماً في خطأ لا يمكن له تجنبه، ذلك أن قيمة الجندي المعنوية لها تأثير كبير في تحديد عوامل النجاح وتحقيق النصر. وبالفعل، فقد استطعت أن أركز ثقتي الوطيدة على هذه القيم العتيدة التي أبعدت عني أخطاء الحساب والتقدير. . إني أعرف معرفة ثابتة، بأن الضابط الروسي والجندي الروسي، لم يبرهن أيهما حتى الآن عن ميزات عسكرية، أفضل من تلك التي أظهرها على الجبهة الآسيوية(*) ولذا كنت على ثقة تامة بأن ميزان القوى القائم بين الطرفين المتصارعين سيكون لمصلحتنا. وما كان اعتباري هذا واقع افلاس بحكم ضعف قواتنا العددي، ولكن اعتماداً على ثقتنا بقيمنا المعنوية الثابتة».

انطلق لودندورف من هذا الواقع، فأصدر أوامره، بايقاف كتلة الجيش الثامن في مواقعها التي وصلتها، ووضع الفيلق الأول في جنوب الفيلق العشرين - في منطقة دوتيش آيلو -. وفرض بالتالي نقل العناصر الشاغرة من مواقع تورن وكولمن وغراودنز وماريبنورغ - هذه العناصر التي لم تكن سوى قوات إقليمية - نحو ستراسبورغ ولاوتنبرغ. وكانت هناك في جنوب - غرب بروسيا الشرقية مجموعة قوية يمكن بمعاونتها اطلاق الهجوم المتوقع، بينما تتراجع مجموعة الشمال باتجاه الجنوب - الغربي. . . وفي النهاية، اقتصرت قوات خط القتال المقابلة لجيش - رينكامف - على فرقة الفرسان الأولى - في جوار شينابل، وتلقى اللواء الأول أيضاً بتاريخ ٢٦

(*) يقصد بذلك الحرب الروسية - اليابانية، (١٩٠٠) والتي مني بها الروس بهزائم منكرة.

آب ـ أغسطس ـ أمراً بالتحرك عبر روسيل ـ إلى سينسبورغ. ولم يبق بعدئذ بتاريخ السابع والعشرين من آب ـ أغسطس ـ إلا لـواءان من الفرسان كانا ينتشران بين بحيرة مازور ونهر البريغل، وفي مواجهتهما ٢٤ فرقة مشاة روسية، بالاضافة إلى عدد من فرق الفرسان. وكتب لودندورف عن معالجته لهذا الموقف ما يلي: «بدأ الفيلق الأول الاحتياط، والفيلق السابع عشر حركتهما على مؤخرة جيش النارو الذي كان يتقدم باتجاه ـ النشتاين ـ وكانا في تحركهما يديران ظهرهما لجيش ـ ريننكامف ـ من غير أية تغطية تذكر. وكانا على بعد مسيرة يومين أو ثلاثة أيام فقط عندما بدأت أحداث الموقعة تتسارع بأقصى حدتها، وما كانت لتنتهي في يوم واحد، بل استمرت حتى يوم ثـلاثين آب ـ أغسـطس ـ. ولقد ظهـر جيش ـ ريننكامف ـ في الشمال وهو أشبه ما يكون بزوبعة مستديرة أحاطت بها غيوم سوداء قاتمة. وكان يكفي هذا الجيش أن يندفع بانطلاقته ليسحق الجيش الألماني بصورة مؤكدة. وكنت أشعر بالقلق، وأعيش في محيط وساوسه المتلاطمة أثناء هذه الأيام الطويلة. وما انفك نظري عن مراقبة جيش النييمن يوجه بالفعل تهديداً خطيراً لو أنه تحرك بصورة أكثر اندفاعاً وقوة».

كانت القيادة الألمانية قد التقطت برقية في يوم ٢٤ آب ـ أغسطس ـ صادرة عن القيادة الروسية، وتشير إلى أن نظام مسير جيش ـ سامزانوف ـ سيبدأ يوم ٢٦ آب ـ أغسطس ـ على النحـو التالي: «يتقـدم جيش سامزانوف على جبهة عرضها مائة كيلومتر مـا بين (سـولداو ـ و ـ بيشوفسبورغ) وان الفيلق الأول المتحرك في سيره من مالافا باتجاه سولداو ـ كجناح نحو الغرب ـ هو على بعد يتراوح ما بين ٢٥ و٣٠ كيلومتراً من الفيلق الثالث المجاور على نهر النيمين». وكتب لودندورف: «كان الجيش الروسي يتقدم بالأرتال، وميمنته متجهة قدماً إلى الأمام، وهي مؤلفة من الفيلق السادس عبر ـ اورتلسبورغ ـ على بيشوفسبورغ، والذي كان يمكن الوصول إليه في السادس والعشرين. وكان الفيلق الثالث عشر والفيلق الثالث والعشرون أبعـد إلى الجنوب في جـوار فالمتز ـ في السادس

والعشرين ـ وكان الفيلق الأول أبعد إلى الوراء نحو اليسار ومتجهاً نحو الغرب. وكان يسير باتجاه ملافا وسولداو، تغطيه عدة فرق من الفرسان باتجاه لدتنبرغ وستراسبورغ. وكان يجب مباغتة هذه الحركة من الغرب بقسم من قوات الجنوب التابعة للجيش الثامن. وكان من شأن هذه المحاولة إحاطة مدينة سولداومن الجنوب، وأن تعمل في نفس الوقت على تطويق الفيلق الأول الروسي. وكان من المحتمل أن يتحول اندحار الجيش الروسي إلى هزيمة كاملة. ولكن الجيش الألماني لم يكن يمتلك ما يكفيه من القوة لتحقيق مثل هذه الغاية الكبرى».

لقد أوجز لودندورف خطته للمعركة بما يلي: «لم نوجه في بداية الأمر ضد كتلة جيش سامزانوف الكثيفة سوى مركز ضعيف تألف من الفيلق العشرين فقط. وكان بوسع هذا المركز الرقيق الالتواء أمام ضغط كتل العدو، شريطة عدم وقوع التصدع والانهيار. وبينما يستمر هذا المركز في قتاله، تتجمع مجموعتان قويتان على جناحيه للقيام بالهجوم الحاسم. ويقوم على الميمنة الفيلق الأول تدعمه قوات الدفاع الاقليمي. وعلى الميسرة يهبط من الشمال والشمال الشرقي الفيلق السابع عشر والفيلق الأول الاحتياط أيضاً مع لواء من الدفاع الاقليمي. وبجانب قوات القائد فون موهيلمان على أقصى اليمين عناصر مؤلفة من حاميات المواقع ومعاقل نهر الفيستول تحت أمرة الفيلق الأول لمهاجمة خيالة العدو» وقال لودندورف في مذكراته: «لقد اقترحت على الفيلد ماريشال فون هندنبورغ مهاجمة الفيلق الروسي الأول بواسطة الفيلق الأول عبر آيلو ـ مونتوفو، وبمعونة الفيلق العشرين الأيمن، تعززه فرقة الاحتياط الثالثة عبر ـ غليغونبورغ ـ على اسدوا باتجاه سولداو. ثم يندفع الفيلق الأول باتجاه نايدنبورغ لاحاطة كتلة جيش النارو ـ على الأقل بالارتباط مع الفيلق السابع عشر والفيلق الأول الاحتياط». وبقي هدف لودندورف الوحيد هو اغتنام فرصة التباعد بين القوات الروسية ـ وخاصة الفيلق الأول ـ لتدميره، ثم القضاء على كتلة الجيش الروسي الكبيرة.

مسيرة الأعمال القتالية ـ الموقعة ـ:

آ ـ سحق الفيلق الروسي الأول:

كان لودندورف قد حشد منذ يوم ٢٦ آب ـ أغسطس ـ في مواجهة الجيش الروسي الأول، قوات الفيلق الأول الألماني ـ بقيادة القائد فرانسوا ـ الذي كان عليه ملاقاته من الجنوب، في حين تقوم نصف قوة الفيلق العشرين ومعها الفرقة الاحتياطية الثالثة بمواجهته وملاقاته من الشمال. بينما تتحرك في الوقت ذاته بقية قوة الفيلق العشرين ومعها فرقة الدفاع الاقليمي المنتشرة على ميسرة الفيلق الروسي الأول ومؤخرته ـ بقيادة فون درغولتز ـ بايقاف كتلة جيش سامزانوف وتثبيتها نهائياً. وقد سقطت أوسداو صبيحة النهار في قبضة الفيلق الألماني الأول الذي دحر الفيلق الروسي ورده باتجاه سولداو.

ب ـ الالتفاف على كتلة جيش سامزانوف:

كان الفراندوق نيقولاي قد أصدر أوامره في يوم ٢٦ ـ آب ـ أغسطس ـ إلى (سامزانوف) بالانطلاق في هجومه ـ بفيالقه الخمسة ـ في ملافا وسولداو ـ بهدف ارغام الألمان على زج قوات جديدة على هذا الاتجاه. لأن نجاح القوات الروسية في هجومها باتجاه مدينة النشتاين من شأنه أن يحقق غايتين أساسيتين: ١ ـ فتح طريق دانزيغ. ٢ ـ قطع طريق تراجع الجيش الألماني الذي سبقت هزيمته في جوار كومبيين (غومبيين). وقد أصدر الفراندوق نيقولاي أمره بناء على الحاح فرنسا لتخفيف الضغط عن جبهتها ـ الجبهة الغربية، وذلك على الرغم من معارضة القيادة الروسية التي رأت في هذه العملية تشتيتاً للقوات الروسية في مناطق يصعب فيها تأمين النقل والمواصلات وتكثر فيها الأنهار والبحيرات ـ بحيرات مازوري ـ وتكتنفها الغابات الكثيفة.

مقابل ذلك، كان فيلق الاحتياط الأول ـ بقيادة فون بولو ـ قد انضم يوم ٢٦ آب ـ أغسطس ـ إلى كتلة الجيش الثامن ـ بعد أن تقدم من الشمال إلى منطقة ريبورغ. كما كان الفيلق السابع عشر ـ بقيادة فون

ماكنزن ـ قد أنهى مهمته الأولى بالهجوم على الفيلق الروسي السادس ودفعه باتجاه بيتشهوفسبورغ. كما كان لواء الدفاع الاقليمي السادس قد اقترب بتاريخ ٢٤ ـ ٢٥ ـ آب ـ أغسطس ـ من مشارف بيتشهوفسبورغ الشمالية ـ الشرقية، واشترك في معركة دحر الفيلق الروسي السادس. ووصل الفيلق الاحتياطي الأول إلى فارتنبورغ في مساء يوم ٢٧. وكان الفيلق الروسي السادس الذي أصبح يشكل ميمنة جيش سامزانوف، يتابع تراجعه بأقصى سرعته في اتجاه اورتلسبورغ. وفي أعقابه الفيلق الألماني السابع والعشرين الذي خيم في المساء إلى جوار مينيسغبورغ. وكان الموقف مساء يوم ٢٧ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤، كما يلي:

تراجع الفيلق الروسي السادس منهزماً أمام هجمات الفيلق الأول الاحتياط والفيلق السابع عشر واستولى الفيلق الأول على المواقع الروسية في اسداو. وكانت الفيالق الروسية في الوسط ـ المركز ـ وهي: الفيلق ٢٣ و١٥ و١٣ ما تزال تتقدم بين النشتاين وغليغنبورغ. وكانت تتوغل في نطاق الشبكة التي أعدها لها لودندورف للاطباق عليها بكاملها، إذا لم تحاول اختراقها والافلات من الحلقة المفرغة حولها. ولقد أدرك لودندورف النتيجة المتوقعة للمعركة، من قبل أن تقع، فكتب ما يلي:

**«لم يعد باستطاعة العدو أبداً أن يحقق النصر الذي كان يريده، ولم يعد أمامه إلا الخسارة المتوقعة وبات الموقف الراهن واضحاً، جلياً. وأعطينا أوامرنا بهدف الاحاطة بكتلة العدو الرئيسية وتطويقها»وتضمنت** أوامر لودندورف:

- ـ الاستيلاء على مدينة نايدنبورغ بقوات الفيلق الأول ـ بقيادة فون فرنسوا ـ الضارب على الجناح الأيمن.
- ـ يتوقف الفيلقان الأول الاحتياط، والسابع عشر ـ بقيادة فون بولو وفون ماكنزن ـ عن مطاردة فلول الفيلق الروسي السادس، وينحدران نحو الجنوب الغربي باتجاه مدينة النشتاين التي يحتلها الفيلق الروسي الثالث عشر، وباتجاه مدينة باسنهام، مع تأمين التغطية اللازمة باتجاه اوتاسبورغ. ويندفع الفيلق العشرون ـ من وسط

التشكيل ـ ويتقدم إلى الأمام وحده بقوة. بينما يقوم فون درغولتز بالهجوم على مدينة هوهنشتاين.

- ـ بينما يستوعب الفيلق العشرون وفرقة فون درغولتز كتلة القوات الروسية المكونة من فيالق الوسط: ٢٣ و١٥ و١٣، يعمل الجناحان الألمانيان على تأمين التلاقي عند فيلنبرغ ويقفلان عليها حلقة الالتفاف والتطويق نهائياً.

وكان الموقف العام للجيش الثامن في صباح يوم ٢٨ آب ـ أغسطس ـ ما يزال مضطرباً على الرغم مما حققه من انتصارات متتالية. فقد نجح الفيلق الأول الذي يشكل الجناح الأيمن للقوات الألمانية باحتلال مدينة نادينبورغ. ولكن الكتلة الرئيسية في الوسط لم تتقدم. في حين مضى الجناحان الألمانيان في تقدمهما بثبات، وظهر لفترة أن المركز ـ الوسط ـ بات مهدداً بخطر الاختراق. وكتب لودندورف مستعرضاً هذا الموقف بقوله:

**«كان الموقف في هذا المكان يظهر بصورة شديدة الخطورة، لو قام العدو بهجمات مركزة ومتلاقية. وكانت الموقعة تتدرج قدماً بتصاعد مستمر. وكان باستطاعة ريننكامف التوغل بعيداً لو أراد تنفيذ ذلك بعزم وتصميم، بيد أنه ظل ساكناً، معدوم النشاط، في مواجهة الفرقة الواحدة والأربعين. ولم يحاول جيش الفيمين متابعة تقدمه. وأخذ الموقف في التحول إلى جانبنا عند الظهيرة؛** .إذ تمكنت فرقة الاحتياط الثالثة تنفيذ واجبها، ·واكتسبت كذلك الفرقة السابعة والثلاثون أرضاً جديدة. ونجحت فرقة الدفاع الاقليمي ـ فون درغولتز ـ في احتلال هوهنشتاين. ومن ثم فقد أخذت جبهة العدو بالتمزق والانهيار. وعندما حل المساء، لم نكن نعرف بدقة الموقف الخاص لكل فيلق من الفيالق، غير أننا كنا على ثقة تامة بأننا ربحنا الموقعة نهائياً. ولم يكن باستطاعتنا القول حتى الآن أننا نجحنا في تنفيذ معركتنا على صورة مماثلة لمعركة كاني(٢٥) لقد تلقى الفيلق

---

(٢٥) كاني: CANNES مدينة قديمة من مدن آبولي APULIE قريبة من اوفيدوس AUFIDUS اقليم اوفانتو OFANTO. وفي كاني انتصر هانيبال انتصاراً حاسماً على الرومانيين سنة ٢١٦ق.م. على الرغم من تفوق الرومانيين في ميزان القوى.

الأول أمراً بزج قواته من جهة فيلينبرغ حيث كان الفيلق السابع عشر، بهدف قطع خط التراجع عن الجيوش الروسية. هذا وقد علمنا أثناء الليل أن الفيلق الروسي الثالث عشر، تقدم من النشتاين باتجاه هوهنشتاين، حيث مارس ضغطاً شديداً على فرقة الدفاع الاقليمي ـ فون درغولتز ـ. وما لبث أن وصل فيلق الاحتياط الأول ـ فون بولو ـ إلى المشارف الواقعة جنوب غرب النشتاين، وتقدم لاغلاق الحلقة المتلاقية على الفيلق الثالث عشر من جهة الشمال، بينما كان الفيلق الأول ـ فون فرنسوا ـ يحكم طوق الحلقة في الجنوب، وبينما كان الفيلق السابع عشر ـ بقيادة فون ماكنزن ـ يعمل في الشمال أيضاً يقطع على الجيش الروسي طريق تراجعه نحو الشرق».

علم لودندورف في صباح يوم ٢٩ آب ـ أغسطس ـ أن فيلقاً روسياً قادماً من الجنوب يقترب من نايدنبورغ ـ مهدداً بتقدمه هذا مؤخرة الفيلق الأول الذي كان يندفع باتجاه فيلينبرغ لاحكام حلقة الحصار حول الجيوش الروسية. فوجه لودندورف على الفور كافة القوى الاحتياطية باتجاه نايدنبورغ لمجابهة الخطر المحتمل. غير أن قائد الفيلق الأول ـ فون فرنسوا ـ تمكن بوسائله الخاصة من القضاء على هذا التهديد الخطر، وانهاء الأزمة الطارئة. وبذل لودندورف بعد ذلك جهده لسحب الفيلق الاحتياطي الأول والفيلق العشرين من ميدان القتال، والاحتفاظ بهما ـ في الاحتياط ـ لمجابهة أي احتمال جديد. وكان الموقف يوم ٣٠ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤ كما يلي: «حاول العدو ـ الروس ـ تحطيم دائرة الحصار بمهاجمتها من الخارج بقوات جديدة، فوجه من ميسزنيك قوات جديدة قدمت من استرلنكا إلى نايدنبورغ واورتسلبورغ، فجابهها القائدان فرانسوا وماكنزن بقوات احتياطية، وما لبثت هذه القوات الروسية أن اختفت، ولم تفلح في فك الحصار المضروب» ورفع لودندورف تقريره عن الموقف، إلى القيادة العامة، يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ وتضمن ما يلي: «**تم البارحة احكام حلقة التطويق على القسم الأكبر من قوات الجيش الروسي، ودمرت الفيالق ١٣ و١٥ و٢٣ تدميراً تاماً. ووقع في ايدينا حتى الآن أكثر من (٦٠) ألف أسير بينهم قائد الفيلق ١٣ وقائد الفيلق ١٥،**

**وما تزال المدافع الكثيرة متروكة في الغابات تنتظر جمعها. وليس بالامكان الآن إعطاء بيان تفصيلي كامل عن مقادير الغنائم الحربية التي وقعت في أيدينا، ولو أنها تبدو غنائم ضخمة. أما الفيلق الأول والفيلق السادس، وهما الفيلقان اللذان استطاعا الافلات من تطويقنا، وحصارنا، فقد أصيبا بخسائر فادحة جداً، وهما ينسحبان الآن عبر ملافا ومسنيك».**

لقد انتحر القائد الروسي سامزانوف، ودفن قريباً من ـ فيلمبرغ ـ دون أن تعرف هويته. وأضاف لودندورف إلى تقريره السابق: «تجاوز عدد الأسرى ٩٠ ألف أسير. ووصلت خسائر الروس في القتلى والجرحى، درجة كبيرة جداً. وبات لزاماً إعطاء اسم مجيد لهذه الموقعة الكبرى الظافرة. واقترح اعطاءها اسم ـ موقعة تاننبرغ ـ تخليداً لذكرى الموقعة التاريخية التي خاضها فرسان التيتون ضد جحافل البولونيين والليتوانيين ـ وما كانت هذه الموقعة مختلفة عن سابقاتها من المعارك التاريخية. ولكنها اليوم معركة حاسمة أخرى تدور بين أحفاد التيوتون القدماء وبين جحافل السلافيين الزاحفة. . .»

لقد دحض لودندورف مرة أخرى مقولة نابليون «بأن إله الحرَب مع الأفواج الكبرى». وبرهن أنه باستطاعة ١٦٠ ألف مقاتل الماني تدمير ٥٥٠ ألف مقاتل روسي، أي الانتصار رغم التفوق بنسبة أربعة إلى واحد تقريباً.

## ٢ ـ موقعة اينستربورغ:

موقعة اينستربورغ ـ وتعرف أيضاً باسم موقعة بحيرات مازوري التي جرت في الفترة من ٦ ـ ١٥ أيلول سبتمبر ـ ١٩١٤ ويشير هذا التاريخ في الواقع إلى ذلك الارتباط الوثيق بين هذه الموقعة والموقعة السابقة لها (تاننبرغ) سواء في الموعد الزمني أو في مسرح الأعمال القتالية، بحيث يمكن اعتبار موقعة اينستربورغ تطويراً للمعركة السابقة لها، واستثماراً لما تحقق فيها من نصر، ولم يكن الجهد المبذول في معركة تاننبرغ عائقاً أمام هذا التطوير في الأعمال القتالية، إذ أن الرصيد المعنوي المكتسب من

النصر، قد عزز القدرة لبذل المزيد من الجهد، وهو ما أكده لودندورف بقوله: «**كانت موقعة تانبرغ من أروع المواقع التي عرفها التاريخ العسكري. وهي تؤلف في وقائعها، وأحداثها، أثراً عسكرياً خالداً مدى الدهر. وستظل رمزاً لأمجاد القيادة الألمانية العارفة والمدركة، كما أنها ستظل أيضاً فخراً مشرفاً للجيوش والقوات الألمانية التي خاضت غمارها بشجاعة فائقة وتدبير محكم، وساهمت في كسبها مساهمة كبيرة... لقد كان الفخر يملؤنا بهذه الموقعة الرائعة الظافرة. وكانت عملية الالتفاف، كما كانت عمليات الاختراق، حصيلة ارادة مقدامة جريئة حققت النصر، هذا مع اعتدال حذر ضمن لنا الفوز وسلمنا زمام الغلبة. ولقد استطعنا على الرغم من تفوق العدو وضعف قوتنا، أن نجابه العدو في مختلف المعارك التي خاضتها قواتنا ضد عدو متفوق. ولا يسعني إلا أن أرفع أسمى مشاعر الشكر والعرفان بالجميل لذكرى أستاذي العبقري الفذ، ومعلمي الماهر الكونت فون شليفن**».

وعلى كل حال، فان اندفاع لودندورف وحماسته للقتال لم تكن نتيجة لما هو معروف عن القادة من (البحث عن النصر) لحمل أكاليل الغار، ولتسجيل سطر اضافي على صفحات سجل التاريخ، وانما كانت مدفوعة بمسيرة الأحداث ذاتها. ففي يوم ٣٠ آب - أغسطس - ١٩١٤، ولما يكد غبار المعركة ينجلي عن انتصار (تاننبرغ) طلب رئيس أركان حرب الجيش النمساوي - الهنغاري - كونراد - إلى القائد لودندورف اطلاق هجوم باتجاه فارصوفيا بهدف تخفيف الضغط الروسي عن القوات النمساوية - الهنغارية. ولكن كان لا بد من العمل قبل كل شيء لتصفية جيش ريننكامف، ووضعه خارج ميزان القوى في دائرة الصراع. إذ أن بقاء وجوده يتضمن احتمالاً بأن ينطلق القائد الروسي عبر النشتاين ليهدد مؤخرة الجيش الثامن الألماني. وأثناء ذلك تلقى لودندورف برقية من القيادة الألمانية العليا تعلمه فيها أنها أرسلت إليه قوات دعم تتكون من الفيلق الحادي عشر وفيلق الحرس الاحتياطي وفرقة الفرسان الثالثة للعمل في بروسيا الشرقية بهدف الاشتراك في عمليات طرد جيش ريننكامف من هذه المقاطعة، وبالتالي استئناف الهجوم باتجاه فارصوفيا. **وكان ريننكامف**

**يرغب على ما يظهر البقاء مرابطاً بين بريغل ـ وبحيرة مازور. وبالمقابل، فقد كان على الجيش الثامن حشد كل قواته لزجها في الموقعة الجديدة. وعلى هذا فقد حشدت قوات الدعم القادمة من الغرب في المنطقة المجاورة إلى النشتاين ـ البينغ. كما حشدت قوات الجيش الثامن ـ الأساسية ـ للتقدم على خط فيلينبرغ ـ النشتاين. ولم يبق في مواجهة جيش سامزانوف الممزق ـ في سولداو ـ سوى بعض عناصر تغطية الحدود.**

كلف لودندورف أحد الفيالق بالتوجه نحو ليك لتغطية الجيش الثامن ـ على اتجاه أوغستوفو واوسوفيتز. حيث كان من المتوقع أن تزج القيادة الروسية قواتها في هذه المناطق. وقال لودندورف وهو يعالج الموقف ويصف العملية القتالية: «لقد كان خوض العملية يتطلب جرأة كبيرة، لأن جيش النيمين كان يضم (١٤) فرقة فكان متفوقاً على (١٦) فرقة كان يضمها الجيش الألماني الثامن، ذلك أن الفرقة الروسية كانت مشكلة من (١٦) فوجاً بينما كانت الفرقة الألمانية مشكلة من (١٢) فوجاً. وكان من المتوقع أن تنضم إلى الفرق الروسية الآنفة الذكر أربع أو خمس فرق جديدة بدأ حشدها على اتجاه سوفيتز وأوغستوفو، كما كان باستطاعة الروس حشد قواتهم في أي وقت وفي أي مكان لتوجيه ضربة مدمرة ضد القوات الألمانية. وكان الجناح الألماني المرابط شرقي البحيرات معرضاً بصورة مكشوفة لتهديدات العدو، فكان من السهل دحره وتدميره، **ولو أن جيوشنا كانت أكثر تدريباً وأوفر خبرة، لا سيما بعد أن دعمت موقعة تاننبرغ الظافرة من عزائمها، ورفعت من معنوياتها إلى حد كبير. أجل! لقد كنا من هذه الناحية مستحوذين على التفوق التام...** وأضاف لودندورف قائلاً: لقد كنا في الواقع نجهل ما كان يخفيه العدو من قواته في منطقة جنوب بحيرات مازوري، وكانريننكامف يتلقى بصورة مؤكدة نجدات جديدة. وكانت الفرق الروسية الاحتياطية في الداخل جاهزة تنتظر الحشد لزجها في القتال. فهل كانت هذه القوات مجهزة بالفعل لدعم جيش ريننكامف؟ أم كانت محتشدة للعمل في مكان آخر من أجل مهاجمتنا بغتة في اتجاه غير متوقع؟ لقد قدرنا امكاناتنا بدقة، وكنا نعتقد أن قوات ريننكامف تزيد على عشرين فرقة. **فلماذا يظل هذا الجيش ساكناً ومن غير**

**القيام بأي نشاط؟ ولماذا لا يحاول استثمار الموقف الملائم لمباغتتنا مع التأكيد أننا كنا أضعف قوة وأقل عدداً، علاوة على أن جيوشنا كانت تعبة مستنزفة القوى، وما زالت متجمعة بكثافة عالية في ميدان موقعة تاننبرغ؟»**

لقد ظهر أن رينكامف كان شديد التأثر بهزيمة سامزانوف وانتحاره، ولهذا فقد أعرض عن ممارسة أي عمل هجومي، واتخذ له مواقع دفاعية بين كوريتشيف ومنطقة البحيرات ليقطع على الجيش الثامن طريق امداده وتحركه. وبذلك فقد انتشرت قواته على امتداد جبهة طولها ثمانون كيلومتراً. تمتد من رافد نهر دمير (أو الدايم) على نهر البريغل ونهر اللي، ومن بريغل إلى اينبورغ. وتسد المسافة الفاصلة بين اينبورغ وانغربورغ، قاطعة عمودياً الطريق الحديدية (تون - اينشربورغ) وكان الروس يشغلون أيضاً خط البحيرات في أقصى الجنوب.

كان لودندورف مصمماً على الهجوم بفرقه، الست عشرة ضد جيش رينكامف الذي بات يضم أربعاً وعشرين فرقة، ولكن هذا الجيش بات منتشراً على جبهة متطاولة تعتمد على تحصينات قوية - في منطقة البحيرات - الأمر الذي كان يمنع لودندورف من اعادة تطبيق خطة كاني (حركة تطويق مزدوجة من الطرفين) لا سيما وأن القوات التي كانت متوافرة له، لم تكن لتتناسب مع هذه الخطة. وأمام هذا الموقف، بدأ لودندورف بالتفكير في تثبيت قوات العدو على امتداد الجبهة، مع اطلاق هجوم يقوم بحركة دورانية - التفاف - عبر لوتزن ( منطقة البحيرات) ليصل إلى مؤخرة الجناح الأيسر للقوات الروسية باتجاه الطريق العام الرئيسي، والخط الحديدي (اينتسربورغ - فيربالن) وهما الطريقان المعتمدان للامداد والتموين وخط التراجع لجيش رينكامف.

**كان هدف لودندورف من حركة الالتفاف هو ارغام القائد الروسي رينكامف على قبول أحد أمرين: فأما أن يعمل على اخلاء مواقعه الدفاعية التي يتمركز فيها، وينسحب بعيداً عنها، وإما أن يسحب قوات كافية من جناحه الأيسر لمجابهة القوات الألمانية وصدها، الأمر الذي من**



موقعة بحيرات مازوري تاريخ ٦/ ١٥/ أيلول عام - ١٩١٤

**شأنه أن يحدث نقطة ضعف على الجناح الأيسر، وهذا مما يساعد على القيام بعملية اختراق لنقطة الضعف، ومن أجل ذلك أعد لودندورف كتلة اختراق قوية تشكل قوة الهجوم الرئيسي.**

كتب لودندورف يوم ٥ـ ايلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٤ ما يلي:

«تقرر القيام بالهجوم ضد جيش النيمن على النحو التالي:

- ـ تتقدم الفيالق الأربعة: الفيلق العشرون والفيلق الحادي عشر العاملان. وفيلق الحرس الاحتياط واحتياط عام كونيسبرغ نحو خط انغربورغ ـ دمير ـ باتجاه جبهة العدو.
- ـ يكلف الفيلق الأول والفيلق السابع عشر بالانطلاق عبر ممرات البحيرات، بينما تمر الفرقة الاحتياط لتشكل رتل جناح الالتفاف السابع عشر بالانطلاق عبر ممرات البحيرات، بينما تمر الفرقة الاحتياط لتشكل رتل جناح الالتفاف في جنوب بحيرات ما زوري. وتتحرك الفرقة الأولى وفرقة الفرسان الثانية وراء فيلقي الميمنة، وتستعد للانطلاق حالما تنكشف ممرات البحيرات. وهذه هي القوات المعدة للعمل ضد جناح رييننكامف الأيسر.

**إن ترتيباتنا المعتمدة هذه تختلف عن الترتيبات التي اتخذناها سابقاً في موقعة تاننبرغ التي أدت إلى النصر الحاسم. وقد فرضت علينا الضرورة اعتماد هذه الخطة للاحتفاظ بقوات كافية من أجل العمل ضد قوات رييننكامف الاحتياطية الكبيرة، ومن أجل مجابهة المباغتات المتوقعة»** لقد اعتمد لودندورف على فرقة احتياط من الفيلق العشرين للقيام بعملية الاختراق، غير أن قائد الفيلق المذكور ما عتم أن طلب إعادة الفرقة إليه بحجة مجابهة مأزق طارىء. وعلى كل حال لقد شرح لودندورف الأسباب التي دفعته لاتخاذ هذا التشكيل القتالي بقوله:

«كان من الأفضل تنظيم الجناح الأيمن ليكون أكثر قوة ومتانة. وبالفعل فقد وضعنا تحت تصرفنا فرقة واحدة من الفيلق العشرين في غرب البحيرات، ولكن الضرورة تطلبت اعادتها إلى فيلقها من جديد. وكانت

الفرق الأربعة المهاجمة تغطي جبهة طولها خمسين كيلومتراً، وهي سعة كبيرة بالنسبة لعدد الفرق العاملة في مواجهتها. وبالاضافة إلى ما تقدم، فقد خشي فيلق الحرس الاحتياط وقوع هجوم روسي، فاضطر إلى تضييق جبهته أكثر من اللازم. وكان مفروضاً على الجناح الشمالي الصمود بثبات على نهر البريغل، وإلا فان الجيش بكامله يتعرض لخطر مدمر من هذه الناحية. وما كان جناح الالتفاف ليستطيع أن يكون أقوى مما كان عليه. وكان يجب عليه انتظار نجاح ما يمكن أن يحققه هجومنا. إن هذا النجاح المتوقع متوقف على عمل المقاتلين وجهدهم فقط. وكان لزاماً علينا أن نبذل كل جهد مستطاع. وأن نلجأ إلى كل إجراء فعال من أجل تحقيق النصر».

ويظهر من ذلك أن لودندورف كان ينوي دعم كتلة الالتفاف، ومضاعفة قوتها، بواسطة القوات الاحتياطية التي تم سحبها من قوات الجبهة، وذلك حالما تبتدىء مقاومة الجبهة الروسية بالتداعي والانهيار. وبكلمة أخرى: الاحتفاظ بالقوة الكافية لدعم كل نجاح يتحقق في أي قطاع من القطاعات.

**مسيرة الأعمال القتالية:**

آ ـ **الموقعة:** انتشر الجيش الألماني الثامن بتاريخ ٦ ـ٧ أيلول ـ سبتمبر في مواجهة القوات الروسية، التي لم تحاول القيام بأي نشاط فعال لمجابهة القوات الألمانية المتقدمة للهجوم. وكانت كتلة الالتفاف هي البادئة بالهجوم بعد أن مرت عبر قلعة لوتزن وسدود خط البحيرات. كما انطلقت الفرقة الثالثة الاحتياط لخوض معركة رائعة قرب مدينة بيالا حيث أمكن لها دحر نصف الفيلق الروسي الثاني والعشرين. وكتب فون هندنبورغ يوم ٨ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ما يلي: «لقد وقفنا أمام مأزق العمليات الحرج، وسنرى في الأيام القليلة القادمة ما اذا كان ريننكامف سيقوم بهجوم مضاد من أجل ايقاف هجومنا الجبهي ومنعه من الاندفاع. هذا وقد استمر جناحنا الأيمن في تقدمه بصورة أجدى وأفضل. ونجح فيلقنا في هذه المنطقة في التغلب على سدود منطقة البحيرات، وظل سائراً باتجاه الشمال

والشمال الشرقي. وظهر هدفنا واضحاً منذ الآن وهو قطع مواصلات العدو. وكانت كتل الفرسان في هذه المنطقة تمارس نشاطها بصورة جيدة».

استمرت الموقعة الدائرة على أشدها وبكل قسوتها على امتداد الجبهة ما بين فهلاو ـ وانغربورغ، ولكن الصراع لم يصل إلى مرحلة الحسم، بينما تابعت كتلة الالتفاف تقدمها شرق البحيرات ولم تتمكن فرقتا الفرسان من الاندفاع بكل سرعتهما نتيجة المقاومة التي اصطدمت بها. وتمكنت فرقة الاحتياط الثالثة التي كانت تشكل كتلة الالتفاف من دحر قوات متفوقة أضعافاً، إلى جوار مدينة ليك، فأنقذت لودندورف موقتاً من الاهتمام بالجانب الجنوبي من الجبهة. وانتظر هندنبورغ ولودندورف يوم ١٠ ـ ايلول ـ سبتمبر ـ بفارغ الصبر لمعرفة ما يرغبان معرفته. إذ تبين لهما في هذا اليوم ما يعتزم رييننكامف القيام به من اجراءات، حيث شرع في ليل اليوم التاسع من أيلول ـ سبتمبر ـ باخلاء مدينة جير دوان نهائياً ـ وفقاً لما أكدته دوريات الاستطلاع الألمانية. وكتب لودندورف عن هذا الموقف ما يلي: «كان من الصعب تصديق هذه المعلومات غير أننا اضطررنا إلى تصديق المعلومات عن عملية الانسحاب التي جاءت بعيدة عن الواقع، ومخالفة لما هو متوقع، ولم نكن يقيناً نرغب في حدوثها. لقد بدأ العدو حركة تراجعه العام في وقت كنا لا نزال نصطدم بالمقاومات الضارية هنا وهناك. وكان العدو يوجه ضدنا كتلاً قوية للقيام بهجمات مضادة عنيفة، ولو أن هذه الهجمات لم تكن متلاحمة. وكان لا بد لنا عندها من توجيه وحدات فرساننا التي تؤلف الجناح الأيمن، إلى الجهة الشمالية الشرقية للانقضاض على خطوط مواصلات العدو المتجهة من اينتسبربورغ إلى كوفنو».

وعاد لودندورف ليكتب ما يلي: **«وصلت في صبيحة اليوم العاشر من شهر أيلول ـ سبتمبر ـ أخبار هامة جديدة تؤكد انسحاب العدو ليلاً من مواقعه المقابلة لفيلق الاحتياط الأول في شمال ـ جيرداون ـ. ولقد انتابنا فرح لا يوصف لدى تلقي هذه الأخبار السارة في المقر العام، إذ حصلنا من جديد على نتيجة كبرى. بيد أن الجيش الروسي لا زال بعيداً**

**عن الهزيمة، ولوأن بواكير هذه الهزيمة بدأت في الظهور واضحة على أفق المعركة. أما في شمال ـ شرقي لوتزن فلم نحقق أكثر من نجاح موضعي محدود. وكان لا بد من مطاردة العدو بأقصى سرعة ممكنة أثناء تراجعه، بينما يتقدم جناح الالتفاف شرق سهل رومينتر باتجاه طريق فيربالن ـ كوفنو. وكنا نبغي دفع الروس على هذا المنوال بعيداً قدر المستطاع عن نهر النييمن. وكان لزاماً علينا في الوقت ذاته أن نضع باعتبارنا أن ريننكامف ما يزال في موقف يساعده على القيام بهجوم كبير على أي اتجاه يريده، وذلك بفضل قوات الدعم التي كانت تصل تباعاً إلى قطاعات الجنوب. وكانت خطوطنا ضعيفة في كل مكان. وبالرغم من التقاء المجموعتين اللتين بقيتا مفترقتين حتى الآن بسبب وجود بحيرة ما زوري، فقد بقيت الوضعية الراهنة شديدة التأزم».**

ب ـ المطاردة: فشل مخطط لودندورف لتطويق القوات الروسية وتدميرها، وانسحبت فيالق جيش النييمن الروسي على شكل ثلاثة أرتال منتظمة ومتجاورة، غير أن حركة الانسحاب كانت تسير ببطء كبير. وعمد ريننكامف في يوم ١١ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ من أجل تغطيتها، إلى خوض معارك دامية، قامت بها قوات هامة على طول الجبهة من غولداب حتى نهر البريغل. واصطدمت القوات الألمانية المتقدمة للمطاردة بأرتال عديدة بقدر ما سمحت به الطرق والدروب، وكانت القوات الألمانية قد تلقت الأوامر: بمطاردة العدو مطاردة مستمرة ومن غير توقف، مع تأمين الارتباط الوثيق فيما بين القوات المتقدمة للمطاردة، والاستعداد الدائم لمهاجمة العدو من قبل الأرتال المجاورة بصورة فورية فيما إذا حاول هذا العدو التوقف للقيام بالهجوم المضاد. وتعرض لودندورف لهذا الموقف بقوله: «لم يتم انجاز المناورات والأعمال القتالية وفقاً لما كنت أريده وأتوقعه. وكان من الصعب تمييز القوات الصديقة والمعادية تمييزاً كافياً. وحدث في بعض الأحيان أن قامت ارتالنا ذاتها بتبادل الرمايات والقذف بعضها ضد البعض الآخر. وكانت جيوشنا غالباً ما تقوم بالهجمات الجبهية بدلاً من انتظار تدخل الأرتال المجاورة. وانتابنا قلق شديد من احتمال قيام العدو بالهجوم على الفيلق الحادي عشر، لأن وقوع مثل هذا الهجوم من شأنه اعاقتنا عن بلوغ

أهدافنا. ولقد بقي هذا الافتراض قوي الاحتمال. ولذا وجب علينا أخذه بعين الاعتبار، واتخاذ التدابير الاحتياطية المضادة. وكانت الجبهة بحكم التفاوت في كثافة القوى فيها بحاجة إلى الدعم التعبوي ـ التكتيكي ـ المباشر من قبل فيالق الالتفاف. ولذا عملنا على زج الفيلق السابع عشر والفيلق الأول أبعد ما يكون نحو الشمال، وأكثر مما تم تحديده في بداية العمليات. ولقد ظهر في الساعات الأولى أن الفيلق الحادي عشر قد أخطأ في تحركه. فأعيدت الفيالق إلى خطوط انطلاقها الأولى، مما أدى إلى اضاعة نصف يوم بكامله، وذلك حتى يتمكن جناح الالتفاف من التحرك على اتجاهه الصحيح» كان من المفروض أن تتسع شبكة الأرتال الألمانية لدى انتشارها على الأرض حتى تتمكن من الاحاطة بالقوات الروسية، غير أن الخطأ الذي ارتكبه الفيلق الحادي عشر أدى إلى اعاقة انتشار بقية القوات مما ساعد قوات ريننكامف على الافلات والفرار من الشبكة، ولو بصورة جزئية.

تقدمت القوات الألمانية يوم ١١ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ إلى اينتسربورغ في الشمال على جنوب الفيلق الثالث الاحتياط، ودخلت سوالكي، ولم يتمكن جناح ريننكامف الجنوبي من الافلات والفرار إلى جنوب شتالوبنن ـ إلا بجهد، وفي اللحظة الأخيرة. واستطاع بذلك التملص من قبضة الفيلق الأول التي أحاطت به. وسحب لودندورف فيلق الحرس الاحتياط، لأن دافع الالتفاف من جهة الشمال لم يعد موضوع بحث، فتم الاحتفاظ به قوة احتياطية لمجابهة الاحتمالات الطارئة وغير المتوقعة.

وصلت الفيالق الألمانية يوم ١٣ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ إلى (ايدكونن) وهي المحطة الواقعة على الحدود على خط اينتسربورغ ـ كوفنو. وأخذت تصلي بنيران رشاشاتها فلول القوات الروسية المتراجعة. وأبدى هندنبورغ أسفه الشديد لعدم تمكن الجيوش الألمانية في اليوم ذاته من الوصول إلى مقربة من طريق فير بالن ـ فيلكوويسكي. وكانت القيادة الروسية تعرف تماماً أن وصول القوات الألمانية إلى هذا الخط إنما يعني تدمير الأرتال الروسية الممزقة. تدميراً حتمياً. ولهذا، وحتى يتم تجنب هذه الكارثة، فقد

زجت القيادة الروسية كل ما هو متوافر لديها من القوات للعمل إلى جنوب الطريق العام، ضد الوحدات الألمانية المنهكة والمستنزفة.

ظهر في يوم ١٣ - أيلول - سبتمبر - أن الموقعة قد وصلت إلى نهايتها، فقد اختفت قوات ريننكامف، ولم يعد لها وجود في منطقة المستنقعات والغابات الواقعة إلى غرب مجرى نهر النييمن، بين أوليتاو وكوفنو. وبات من المحال على الجيش الألماني الثامن الاستمرار في مطاردتها وملاحقتها.

كانت فرقة الاحتياط الثالثة، وفرقة الدفاع الاقليمي تخوضان معاركهما الضارية بعيداً عن مسرح العمليات الرئيسي منذ يوم ٨ - أيلول - سبتمبر - إذ كان عليهما مجابهة القوات الروسية المتفوقة تفوقاً كبيراً إلى جوار بيالا. وظلت الفرقة الاقليمية - اللاندويهر - في جوار اوسوتيز. واحتلت فرقة الاحتياط الثالثة مدينة - سوالكي - بعد معارك ضارية واشتباكات دامية. وانتقل القائدان هندنبورغ ولودندورف إلى مدينة اينتسربورغ في يوم ١٤ أيلول - سبتمبر - وأقاما مقر قيادتهما في - دساورهوف - حيث كان بالأمس فقط مقراً لقيادة ريننكامف.

ج - **نتيجة الموقعة**: بلغ عدد أسرى الروس في موقعة تاننبرغ (٩٠) ألف أسير. بينما لم يتجاوز العدد في هذه الموقعة (٤٥) ألف أسير. فكانت نتيجة الموقعة من هذه الناحية أقل أهمية من سابقتها. ولم يتمكن الألمان من تحقيق ما كانوا يطمحون لتحقيقه. واستطاع الجيش الروسي الذي كان مهدداً بالتطويق والتدمير على ضفاف نهر التييمن من تجنب هزيمة شاملة. غير أنه لم يعد في الوقت ذاته قوة خطيرة، وأصبح خارج ميزان القوى لفترة أسابيع على الأقل، إذ لم يعد باسطاعته العودة لميادين الصراع ما لم يتلق قوات دعم جديدة، وما لم يعمل على اعادة تنظيم وحداته وقواته، وتضميد جراحه المادية والمعنوية. غير أن ذلك لا ينتقص من قيمة النصر على كل حال: فقد استطاعت القوات الألمانية الحاق الهزيمة بالقوات الروسية التي كانت قبل الموقعة متفوقة بمعدل ثلاثة إلى واحد تقريباً.

## ٣ ـ موقعة لودز (بولونيا).

كان الموقف يتدهور بصورة خطرة في مقاطعة سيليزيا، إذ باتت هذه المقاطعة مكشوفة تماماً بعد أن نجحت القوات الروسية في دحر الجيش النمساوي ـ الهنغاري، وأرغمته على الانسحاب إلى جنوب نهر السان. ولم يكن باستطاعة الجيش الثامن مجابهة الموقف قبل أن يضع جيش رينكامف خارج القتال، ولو لمدة كافية. وعلى هذا، فما أن انتهت (موقعة اينتسربورغ) يوم ١٤ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٤ حتى أصدر لودندورف أوامره إلى كتلة الجيش الثامن للتحرك باتجاه نهر النارو، تنفيذاً لأوامر القيادة الألمانية العليا بتشكيل كتلة الشمال. ولم يكن لودندورف يعتقد بفائدة الهجوم على نهر النارو، إذ كان ينظر إلى هذا الهجوم في ظروفه الراهنة على أنه بمثابة ضربة في الفراغ ، أو ضربة خاطئة على سطح الماء، لا تترك أثراً ولا تحقق نتيجة ايجابية. غير أنه كان لا بد من دعم الجيش النمساوي ـ الهنغاري دعماً مباشراً. وكانت القيادة الألمانية قد أرسلت إلى لودندورف في مساء ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ اعلاماً بتشكيل جيش جديد في ـ بروسلاو ـ يدعى جيش الجنوب، وكان قوامه فيلقين سحبا من الجيش الثامن. ووضع هذا الجيش تحت قيادة القائد ـ شوبرت ـ. ولم يعجب هذا الحل لودندورف الذي تساءل: وماذا يمكن عمله بهذين الفيلقين؟ لقد تم وضع جيش رينكامف خارج القتال، فلماذا لا يصار إلى نقل الجيش الثامن بكامله إلى سيليزيا العليا[٢٦]؟

لقد كان من رأي لودندورف ترك قوات محدودة في بروسيا الشرقية

---

(٢٦) سيليزيا: SILÉSIE وفي الألمانية SCHLESIEN ـ اقليم في أوروبا الوسطى، يخترقه نهر الأودر: ODER. ضمه الامبراطور فريدريك الكبير إلى بروسيا الشرقية عندما انتصر على النمسا سنة ١٧٤١ باستثناء قسم صغير ضمته إليها تشيكوسلوفاكيا فيما بعد. وحصلت بولونيا في سنة ١٩١٩ على القسم الجنوبي من سيليزيا البروسية. وتشكل فيما بقي من الأقاليم البروسية ـ سيليزيا العليا وعاصمتها أوبلن: OPPELN، وسيليزيا السفلى وعاصمتها براسلاو: BRESLAU. وضمت بولونيا إليها منذ سنة ١٩٤٥ كافة اقاليم سيليزيا ـ باستثناء ما ضمته تشيكوسلوفاكيا إليها ـ. وقد اغتنت بولونيا بضم سيليزيا إليها لأن هذا الاقليم أغنى من كل اقاليم بولونيا بثرواته وقدراته وتطوره العلمي والصناعي.

أمام خط البحيرات المحصن، فاذا ما وقع هجوم على هذه القوات، فانها تستطيع الانسحاب إلى هذا الخط، للتثبيت فيه والدفاع عنه. وأرسل لودندورف باقتراحه الجريء هذا إلى رئيس هيئة الأركان - فون مولكته - يوم ١٤ أيلول - سبتمبر - وذلك قبل سفره إلى بروسلاو -. وأجاب (فالكنهاين)(٢٧) الذي حل محل مولتكه في القيادة الألمانية العليا. واستلم لودندورف برقية الاجابة يوم ١٦/٩/١٩١٤ وقرأ فيها: بأن اقتراحه مقبول جداً، وقد تم اعتماده وسيتم تنفيذه. وأنه تقرر تشكيل جيش جديد باسم (الجيش التاسع) يكون مقره شمال - شرق كاركوفي وليس في بروسلاو. واستعارة معظم عناصره من وحدات الجيش الثامن ليتولى قيادته القائد هندنبورغ ويبقى لودندورف رئيساً لهيئة أركانه. وصدر الأمر بأن يكون المقر لقيادة الجيش الجديد في مدينة (بويتن) كما تقرر ألا يترك في مواجهة - رينكامف - باسم الجيش الثامن سوى قوات ضعيفة بقيادة - شوبرت -.

أمكن الانتهاء من عملية اعادة تنظيم - الجيش التاسع - يوم ٢٧ أيلول - سبتمبر -. وطرأ خلال هذه الفترة بعض التحسن على الموقف العام في مقاطعة غاليسيا(٢٨) ولم يحاول الروس متابعة تقدمهم بعيداً في العمق على الرغم مما حققوه من نجاح في الوصول إلى (برزميزل) وإلقاء الحصار عليها.

---

(٢٧) فالكنهاين: FALKENHAYN, ERICH VON جنرال ألماني (١٨٦١ - ١٩٢٢) حل محل فون مولتكه في رئاسة هيئة الأركان الألمانية يوم ١٤ - أيلول - سبتمبر - ١٩١٤. وأمر بدفع الخطوط الألمانية نحو الشمال، مما أدى إلى التسارع في السباق نحو بحر الشمال. وكان يعتقد بأنه يجب ربح الحرب على جبهة الغرب، وهذا أفضل من تركيز الجهد وفقاً لما كان يطالب به هندنبورغ ولودندورف لالحاق الهزيمة بالروس على جبهة الشرق. وعلى كل حال فقد انتقل الألمان إلى الدفاع في جبهة الغرب طوال سنة ١٩١٥. وعاد الجهد الرئيسي للألمان على جبهة الغرب في سنة ١٩١٦ - بهجوم فالكنهاين على فردان. وعندما فشلت حرب الاستنزاف، جاء هندنبورغ فحل محل فالكنهاين يوم ٢٩ آب اغسطس - ١٩١٦. ومضى فالكنهاين ليتولى القيادة في جبهة رومانيا ١٩١٦ وفي القوزاق وفلسطين ١٩١٧ - ١٩١٨.

(٢٨) غاليسيا: (GALICIE) اقليم بولوني (كان اقليماً نمساوياً حتى سنة ١٩١٨) ويضم فويفودي (VOÏVODIES) ولفوف LWOW وستانيسلوفوف STANISLAWOW وتارنوبول: TARNOPOL. وأصبح القسم الشرقي من الاقليم (لفوف) تابعاً لاوكرانيا منذ سنة ١٩٤٥.

توجه لودندورف لإجراء مباحثات مع القيادة النمساوية ـ الهنغارية بهدف تنسيق التعاون. وسجل ما تم الاتفاق عليه بقوله: «... **بعد دراسة الموقف مع القيادة النمساوية ـ الهنغارية العليا ـ تم اتخاذ الحل التالي: يجب على الجيش النمساوي ـ الهنغاري حسم الصراع في جنوب نهر الفيستول الأعلى. وارغام العدو على اخلاء برزميزل، واجتياز نهر السان. بينما يقوم الجيش التاسع الألماني بتثبيت العدو في شمال نهر الفيستول الأعلى**».

تقدم الجيش التاسع يوم ٢٨ أيلول ـ سبتمبر ـ مندفعاً صوب نهر الفيستول في قطاع فارصوفيا ـ ايفانغورود. وكانت التحركات الأولى بطيئة وشاقة لأن المنطقة كانت عبارة عن بحيرة طامية مغمورة بالطين والوحل. ووصل الجيش يوم ٤ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ إلى جوار مدينة برادوم. وفي هذا اليوم ذاته تحركت كتلة الجيوش النمساوية ـ الهنغارية، وتعرض لودندورف للموقف الناجم عن هذا التحرك بقوله: «توافرت معلومات كثيرة تفيد بأن الفيالق السيبيرية قد نزلت في فارصوفيا. وأن هناك قوات عديدة قد أخذت في التحرك صعداً على شاطىء رافد السان الأيمن باتجاه الشمال. وتوقعنا أن يقوم العدو بتوجيه ضربة حاسمة ضد الجيش التاسع. مما أكد لي صحة الاحتمالات التي عالجتها وتعرضت لها فيما سبق، والمتعلقة بأعمالنا القتالية. ولم يبق علينا إلا أن نصل إلى خط نهر الفيستول ونحتله، بينما تعمل الجيوش النمساوية ـ الهنغارية على حسم الصراع عند رافد نهر السان. ومعروف أن فارصوفيا قد باتت مركزاً هاماً للصراع منذ اعلان الحرب. بينما لم تعد مدينة ايفانغورود أكثر من موقع قديم، وقد تعزز دفاعها على الشاطىء الأيسر بخط من القلاع والتحصينات التي تشبه رأس الجسر».

كانت جبهة الجيش التاسع تصعد قليلاً باتجاه فارصوفيا. وصادفت الميسرة التي كان يقودها ـ ماكنزن ـ قوات سيبرية في ـ غروجتيز ـ وتمكنت من دفعها نحو فارصوفيا. ووقع من حسن حظ الألمان ـ في هذه الفترة ـ في قبضة قيادة الجيش التاسع، أمر الهجوم الذي أصدره الغراندوق ـ نيقولاي

نيقولافتش ـ القائد العام الروسي. وهو الأمر الذي تعرض له لودندورف في تعليقه ـ بما يلي: «كان أمر الهجوم الصادر عن مقر قيادة الغراندوق يشكل تهديداً خطيراً على قواتنا. فقد تم بموجب هذا الأمر حشد أكثر من ثلاثين فيلقا روسياً ضد جناحنا الأيمن. وحددت مهمة هذه الفيالق بعبور نهر الفيستول ـ بين فارصوفيا وروافد نهر السان ـ بينما تعمل قوات أخرى في الجنوب على عبور نهر السان. وكانت الفرق الخمس بقيادة ماكنزن تجابه أربع عشرة فرقة روسية. وكان الغراندوق يود مهاجمة جبهة الجيوش النمساوية ـ الهنغارية، وتطويق الجيش الألماني التاسع من جهة الشمال احاطة بعيدة المدى، ويعمل في هذه الأثناء جناحه الأيسر على احتلال المرتفعات الواقعة شرق برزميزل. وقد عمد الغراندوق من أجل تنفيذ هذه العملية الكبيرة، على الافادة من اعادة تنظيم جيش ريننكامف، ولقد اعتمد الحلفاء على نصر روسي من هذا القبيل. فلو أن خطة هذه العملية الحربية كتب لها النجاح، لكانت تقديراتهم وحساباتهم الاستراتيجية صحيحة...».

وكتب لودندورف مقتصراً في أقواله على ما يخص جيشه قائلاً: «**كان هدف العدو تثبيت قواتنا على طول نهر الفيستول بينما يحقق الهجوم المنطلق من فارصوفيا خسارتنا المتوقعة ونهايتنا المحققة**» كان مخطط الغراندوق نيقولاي يصطدم بمناورة القائد النمساوي ـ كونراد ـ. والواقع، فلو تمكنت الجيوش النمساوية ـ الهنغارية التي تشكل كتلة الصدام من دفع القوات الروسية على نهر السان. ومضت بالتالي قدماً نحو الشمال. فان هذه القوات المنطلقة من فارصوفيا نحو الغرب ستتعرض لخطر مدمر. وليس على لودندورف بعدها سوى ملاحقة مناورته المقررة مع الاحتياط ضد القوات الروسية التي عمدت إلى النفوذ من فارصوفيا. وبقي لودندورف شديد القلق بانتظار تقدم الجيش النمساوي ـ الهنغاري ووصوله إلى اجتياز نهر السان. ذلك أن أي تأخير في الوصول إلى هذا النهر يضع الجيش التاسع أمام مأزق خطير، وموقف مدمر. وكان لودندورف يريد من القائد النمساوي ارسال بعض فيالقه للعمل مع الجيش التاسع ـ وعلى جناحه الأيسر ـ نظراً لأنه لم يكن باستطاعته استخدام كافة فيالقه على الجبهة

النمساوية ـ الهنغارية. غير أن القائد النمساوي ـ الهنغاري (كونراد) رفض هذه الرغبة بحجة منع اختلاط قوات الدولتين. واقترح فقط رفع ثلاثة فيالق المانية من جنوب ايفانغورود. وكان هذا الاجراء يتطلب وقتاً طويلاً لتنفيذه، علاوة على ما يتضمنه من أخطار. وقد كتب لودندورف بهذا الشأن ما يلي: «وصل الموقف العام أمام فارصوفيا إلى درجة خطرة باتت تتطلب الحسم النهائي. وكانت حركة الالتفاف تقترب أكثر فأكثر، وكان قبول الموقعة مسألة بالغة الخطورة. ووجدت في مساء يوم ١٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ أنه يجب البدء بالعمل فوراً، لأن لحظة إعطاء الأمر بالتراجع قد أزفت. وطلبت إلى القائد هندنبورغ اعادة مجموعة القائد ماكنزن من فارصوفيا إلى خط ولوفيكز ـ سكيرنيفتز رافا».

تابعت القوات النمساوية ـ الهنغارية تراجعها باستمرار، فما كان من لودندورف إلا أن عمل على تنظيم الأعمال التخريبية لتدمير الخطوط الحديدية والطرق والجسور لإعاقة تقدم الجيوش الروسية. وكان نجاح التنفيذ في هذه الأعمال كافياً لتبديد الظلمة الحالكة التي أحاطت بالقائد لودندورف وقواته، فحل الأمل محل اليأس، وعادت الثقة لتحتل مكانتها بدلاً من القلق. وتأكد هذا النجاح عندما التقطت القيادة الألمانية برقية لاسلكية روسية في اليوم الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٤ وكان نصها كالتالي:

«. . . بعد مطاردة العدو لمسافة ١٢٠ كم، وتعذر الاستمرار في هذه المطاردة، نرى أن الوقت قد حان لتكليف وحدات الفرسان بهذه المهمة. لقد تعبت قوات المشاة إلى حد كبير وباتت عاجزة عن متابعة مهمتها. كما بات من العسير جداً تأمين المواد التموينية». وتمكن الجيش التاسع الألماني بذلك من تجنب الكارثة التي كانت تهدده بالدمار والضياع.

**تلقى لودندورف في هذا اليوم ذاته ـ الأول من تشرين الثاني، نوفمبر، ١٩١٤ ـ أمر تعيينه قائداً عاماً للقوات الألمانية على الجبهة الشرقية، أي قيادة الجيشين الثامن والتاسع. وفي الوقت ذاته تم تعيين ماكنزن قائداً للجيش التاسع، وفون فرانسوا قائداً للجيش الثامن.**

مضت الأيام الأخيرة من شهر تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ثقيلة، ومرهقة، سواء على الجيش الألماني، أو على الجيوش النمساوية ـ الهنغارية. فلقد تراجعت قوات هذه الجيوش، بعد أن تكبدت خسائر فادحة. ونظمت أربعة جيوش روسية مواقعها؛ وهي الجيش الثاني والخامس والرابع والتاسع، وانتشرت من منعطف نهر الفارتا الشمالي حتى جنوب كيلسه، ثم انطلقت في تقدمها متجهة نحو سيليزيا وكراكوفي. وتناولت خطة الغراندوق نيقولاي إحاطة ميسرة انتشار العدو. وتبدت الوضعية بالفعل في منتهى الخطورة. وراح لودندورف وهو في مقره العام ـ في مدينة شنتبشاو ـ يفكر باستمرار في مناورة تظاهرية مضادة لمناورة الغراندوق. ورأى أن الاصطدام مع القوات الروسية في معركة جبهية ستكون عملية مدمرة للقوات الألمانية بسبب التفوق الساحق في ميزان القوى لمصلحة الفيالق الروسية. ولم يبق أمامه إلا البحث عن طريقة تمكنه من تنفيذ مناورة (**السد الاستراتيجي**) على مؤخرة القوات الروسية الزاحفة من فارصوفيا. وقد أطلق على هذه المناورة اسم (**مناورة لودز**)(٢٩).

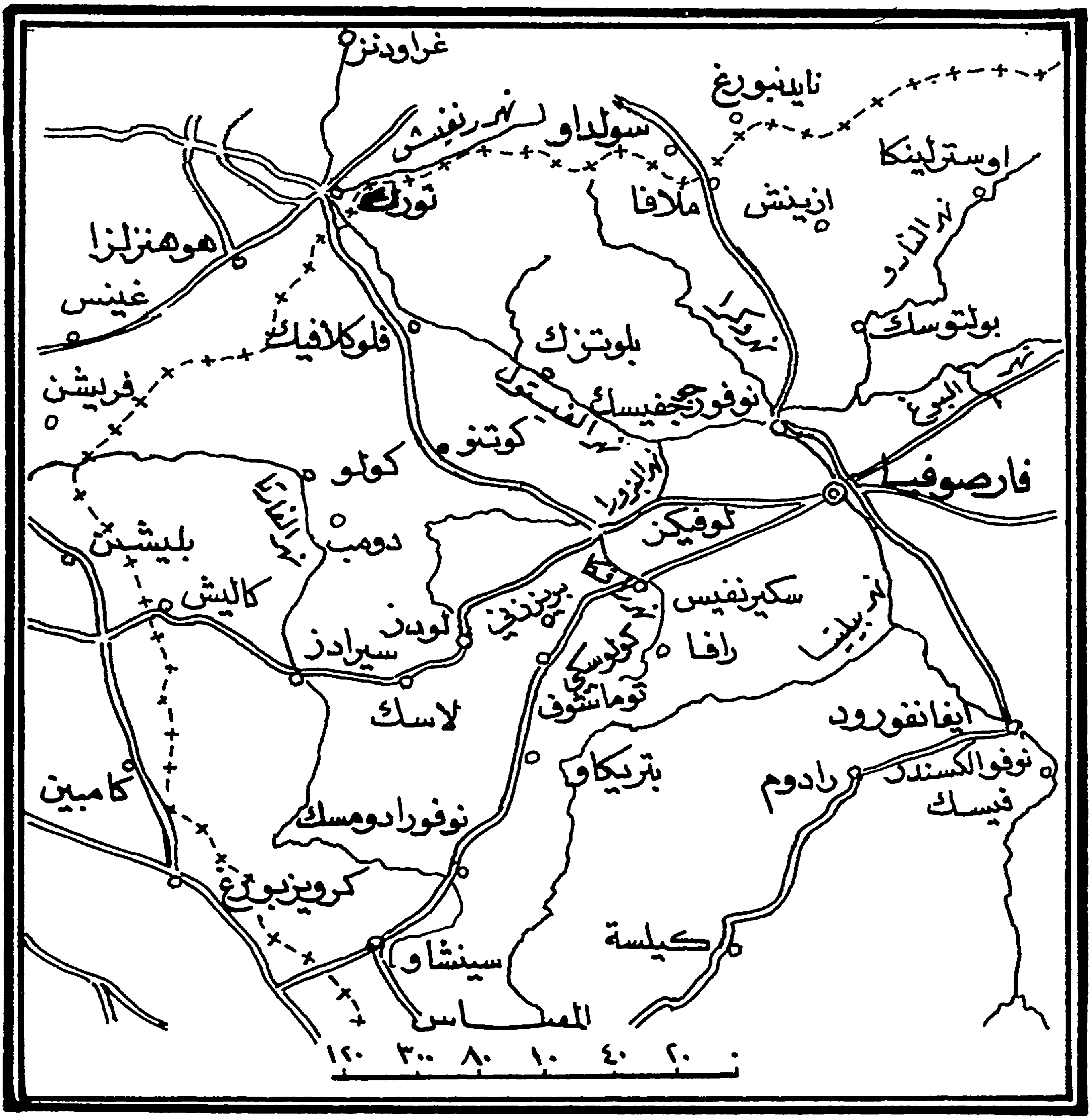
كان من جراء تراجع الجيش التاسع الألماني، استدراج الجيشين الروسيين الثاني والخامس باتجاه سيليزيا العليا ـ وابتعادهما مسافة ١٢٠كم تقريباً عن فارصوفيا. وكانت خطوط تموينهما الوحيدة، الخطين الحديديين فارصوفيا ـ بتروسكوف (أو بتريكاو) وخط فارصوفيا ـ لودز، بالاضافة إلى طرق قليلة تتفرع خارجة من فارصوفيا.

تطلب تنفيذ مشروع لودندورف ـ مناورة لودز ـ جمع كتلة كافية من القوات بصورة سرية في منطقة تورن لزجها على منطقة لودز ـ بريززني، حيث مؤخرة الجيشين الروسيين الثاني والخامس، وقطع خطي تموينهما، والحد من قدراتهما الهجومية، والامساك بخط تراجعهما وانسحابهما. فإذا لم

---

(٢٩) لودز: (LODZ, LODSCH, LODJ) مدينة بولونية، تقع إلى الجنوب الغربي من فارصوفيا، وهي شهيرة بصناعاتها القطنية، وانتاج الأجهزة والأدوات الكهربائية، وصناعاتها الجلدية ودباغاتها المتطورة، ومنشآتها الآلية ـ الميكانيكية. ومطابعها ومصانع الورق فيها إلخ...

تتمكن هذه المناورة من تدمير كتلة القوات الروسية ـ الجيشين الثاني والخامس، فإنها تستطيع على الأقل إزالة التهديد المدمر الذي كان يجابه سيليزيا. وكان التراجع الذي أجراه الجيش التاسع على غير ارادة من لودندورف، يضمن فرصاً طيبة أمام احتمالات نجاح المشروع، إذ كان الجيش التاسع بمثابة طعم مغر يثير شهية الفيالق الروسية الموجودة في فارصوفيا. وتجدر الاشارة إلى مجموعة العوامل التي اعتمد عليها لودندورف لوضع مخطط مناورته، وذلك وفقاً لما ذكره (هندنبورغ) في مذكراته بعد مناقشة أسس الخطة مع لودندورف، ثم كتب ما يلي: «. . . إذا انسقنا ونحن على وضعنا الراهن إلى اعتماد فكرة المقاومة على امتداد جبهة هجوم الجيوش الروسية الأربعة التي نواجهها. فان مصير الموقعة التي سنخوضها لن يكون أبداً أفضل من مصير موقعة فارصوفيا، وذلك بسبب تفوق قوات العدو تفوقاً ساحقاً. اذن، فان هذه الطريقة ليست هي الطريقة المناسبة للعمل من أجل انقاذ سيليزيا من الغزو المتوقع، كما أنه ليس بالمستطاع ايجاد الحل الصحيح لهذه المشكلة بغير الاعتماد على الهجوم، على أن يضمن هذا الهجوم تدمير العدو وإبادته بصورة مؤكدة. وكان لا بد من اطلاق هذا الهجوم بالتالي ضد أجنحة العدو المكشوفة ـ ومؤخراته ـ أو على الأقل أجنحة الجيوش الروسية المنقوصة الحماية. وقد أشرت إلى حركة الالتفاف التي يجب تنفيذها أثناء المحادثات الأولى ـ مع لودندورف ـ والتي تركزت عليها فكرتي الثابتة. وكان وصولنا إلى جناح العدو الشمالي في منطقة لودز يفرض علينا توسيع مجال عمل كتلة هجومنا حتى أطراف مدينة تون. . . ويجب أن يتناول هجوم الجيش الألماني التاسع المنطلق باتجاه لودز العمل ضد مؤخرات الكتلة الرئيسية للقوات الروسية، من أجل انقاذ بروسيا الشرقية وسيليزيا من المأزق الخطير الذي تتعرضان له. وكان واضحاً أن الجيش التاسع يجتذب نحوه كتل العدو الضاربة من كل الاتجاهات. والواقع، فانه طالما لم نستحوذ على ما يكفي من القوات، وطالما أننا لم نعد نمتلك القدرة والقوة اللازمتين لتثبيت العدو جبهياً لمدة طويلة من الزمن بفعل هجمات قوية ومستمرة، فانه لم يبق لنا إلا اتخاذ التدابير الاحتياطية، والقيام بخدعة بارعة يمكن لها التغرير بالكتل الروسية


غراودنز
نايبنبورغ
سولداو
تورن
اوسترلينكا
ازينش
ملافا
هوهنزلزا
غينس
بولتوسك
فلوكلافيك
بلوتزك
فرليشن
نوفورجفيسك
كوتنو
كولو
فارصوفيا
دومب
لوفيكز
بليشن
كاليش
سكيرنفيس
لودز
سيرادز
رافا
توماشوف
لاسك
ايفانفورود
بتريكاو
رادوم
نوفوالكسندر
فيسك
كامين
نوفورادومسك
كرويزبورغ
كيلسة
سينشاو

المرابطة على منعطفات نهر الفيستول، وكذلك تضليل الفيالق العديدة الأخرى المتمركزة في شمال هذا النهر.

إننا سنهاجم يقيناً على كافة الاتجاهات، غير أنه من الخطأ المدمر أن نبني آمالاً كبيرة على هذا الهجوم العام، ونعني أن نتوقع بأنه سيكون بالمستطاع منع القوات الروسية الموجودة في بروسيا الشرقية، أو القوات الكائنة في شنتشاو من الاسراع لدعم كتلة الصدام. ومهما يكن من أمر، فان كافة القوى الضاربة الألمانية والقادرة على الهجوم، وكذلك القوات الشاغرة للقتال، ستندفع لدعم الجيش التاسع الذي سيوجه الضربة الحاسمة. وعلى الرغم من بقاء الجيش الثامن في بروسيا الشرقية تحت خطر التهديد، فانه سيكون ملزماً بافراز فيلقين من فيالقه لإلحاقهما بالجيش التاسع. ونرى والحالة هذه، أنه لم تعد هناك حاجة لتأمين الدفاع عن حدود مقاطعة بروسيا الشرقية نظراً لإنقاذها من احتمالات الغزو منذ أمد قريب، وهذا ما فرض بالتالي نقل الدفاع عن نهر الانغراب ومنطقة البحيرات. وكان هذا القرار في الواقع قراراً صعباً عسيراً. وأمكن بفضل مجموعة التدابير التي سبقت الاشارة إليها، فقد باتت قوات الجيش التاسع تضم خمسة فيالق ونصف الفيلق من المشاة بالاضافة إلى خمس فرق من الفرسان. وقد دعمت هذه القوات بفرقتين نقلتا حديثاً من الجبهة الغربية. وبالرغم من اعتماد طلباتنا وقبولها، إلا أن القيادة الألمانية العليا كانت غير قادرة على ارسال قوات اضافية أخرى من الجبهة الغربية، إذ كانت لا تزال تأمل في احراز نصر حاسم في موقعة ـ الايبر ـ»

**التحضير للمناورة:**

كان الجيشان الروسيان ينتشران في تلك الفترة على امتداد الخطوط الحديدية التالية: خط فارصوفيا شينشاو، وخط فارصوفيا ـ كاليش. وكانت ميمنة الجيش الثاني تمتد حتى جوار كولو عند منعطف نهر الفارتا. وكان أحد فيالق الجيش الروسي الأول مع قوات اضافية أخرى تقوم على مؤخرة هذه الميمنة باتجاه الغرب. وكان الجيش الروسي الرابع يترتب على ميسرة الجيش الخامس، وقد بلغ مجموع هذه القوات اثني عشر فيلقاً،

وظهرت فكرة المناورة كما أوضحها لودندورف بما يلي:

● ـ مجابهة الجيشين الروسيين ـ مقابل شينشاو ـ وبستارة رقيقة من القوات تضم قوات الدفاع الاقليمي وقوات الهجوم يساندها فيلقان من الفيالق النمساوية ـ الهنغارية.

● ـ نقل الجيش التاسع الألماني بكامله إلى منطقة تورن بين مدينتي فريشن وهوهنزلزا بواسطة الشبكة الاستراتيجية المحيطة ببولونيا. وكذلك نقل الفيالق الأخرى التي سحبت من الجيش الألماني الثامن. وفيلق الدفاع الاقليمي فويرش ـ وكان هذا الفيلق ضعيفاً جداً. وقد عرف لودندورف أن الغراندوق نيقولاي قد سحب بدوره بعضاً من فيالقه من جبهة بروسيا الشرقية، فعمل على اضافة قوات جديدة من حاميات المواقع، كما أضاف إلى قواته تلك الفيالق التي دعمته بها القيادة الألمانية العليا من الجبهة الغربية. وأعاد تنظيم هذه القوات على النحو التالي:

١) ـ **الستارة الدفاعية**: وتتكون من قوات الدفاع الاقليمي وقوات الهجوم تدعمها الفيالق النمساوية ـ الهنغارية، وتنتشر في جنوب بولونيا مقابل شينشاو ـ عمودياً على خط حديد شينشاو ـ فارصوفيا.

٢) ـ **كتلة الصدام**: وتحشد في منطقة هوهنزلزا ـ فريشن لتنطلق عبر قطاع لودز ـ كولوسكي، على مؤخرة الجيوش الروسية باتجاه الجنوب.

٣) ـ **الجناح الأيسر**: وتحشد قواته في منطقة تورن على امتداد نهر الفيستول بمهمة دحر الفيالق الروسية العاملة على هذا الجانب، ولمنع القوات الروسية المتوقفة على الضفة اليمنى من العبور إلى الضفة اليسرى.

٤) **مجموعة التظاهر**: وتتكون من فيلق زاستروف على ضفة نهر الفيستول اليمنى، وتتحرك نحو ملافا مع الخيالة. وكان على ميمنته القوات التي سحبت من تورن وغراودنز.

لم يكن لودندورف يتوقع في الحقيقة تكامل قوة مجموعة التظاهر،

فقد كان ينقصها فيلق فويرش الذي كان يجب تركه أمام شنشاو لاقامة تنظيم هيكلي للستار الدفاعي، لأن رئيس هيئة أركان الحرب النمساوية ـ الهنغارية (كونراد) رفض ارسال فيالق من قواته لاستبدالها. كما أن لودندورف لم يكن يتوقع وصول قوات جديدة من الجبهة الغربية ـ في الوقت المناسب ـ نظراً لأن القائد العام ـ فالكنهاين ـ كان يخوض آنئذ (موقعة الايبر)[٣٠]. ولم يبق أمام ـ لودندورف ـ إلا اعتماد المناورة التي وضع مخططها مؤقتاً للخلاص من المأزق الخطير الذي كان يجابهه. ولقد كانت خطة المناورة تتضمن محاذير محتملة، كما كانت تجابه تفوق العدو الكبير بالقوى. غير أن لودندورف كان يتوقع اقدام خصمه الغراندوق نيقولاي على سحب فيالقه المتقدمة بسرعة وذلك بمجرد وقوع التهديد على خطوط مواصلاته. وعندها تتوافر الفرصة أمام كتلة الصدام الألمانية القوية ـ التي كان يتولى قيادتها فون ماكنزن ـ لتدمير القوات الروسية تباعاً ودون صعوبة كبرى. وكان الألمان يتوقعون أن تتوافر لهم الـفرصة للتوغل عميقاً حتى مدينة ايفانغورود، لاحتلال الجسور القائمة على النهر، وقطع خط التراجع على الفيالق الروسية التي ستبقى وراء نهر الفيستول. وكان على قوات الستارة الدفاعية العمل لاستيعاب الجيوش الروسية وتثبيتها أمامها في بداية الأمر، ثم تعمل على مطاردتها تباعاً حالما تضطر إلى التراجع، وهكذا تندفع القوى الألمانية المحتشدة كلها لتطويق القسم الأكبر من الجيوش الروسية ـ وخاصة منها الثاني والخامس والرابع.

كان من المتوقع أن تستمر الموقعة طوال أيام عديدة على الأقل، وهذا ما كان يفرض اتخاذ التدابير اللازمة لمنع القوات الروسية الضاربة من الانسحاب من مواجهة القوات النمساوية ـ الهنغارية والتوجه بسرعة لدعم الجانب المهدد من قبل القوات الألمـانية. وبـات لزامـاً على الجيش

---

(٣٠) الايبر: YPRES وباللغة الفلامنكية IEPER ـ مدينة بلجيكية في الفلاندر الغربي تعرضت للهجمات الألمانية المتلاحقة طوال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ونجحت القوات الانكليزية بصد أربع هجمات منها. وقد دمرت المدفعية الألمانية أسواق الايبر الشهيرة وكنائسها القديمة التي أعيد ترميمها وتشييدها بعد الحرب.

النمساوي ـ الهنغاري أمام هذا الموقف القيام بالهجوم في وقت واحد مع موعد هجوم القوات الألمانية. وكانت تلك هي النقطة الغامضة في الموقف. إذ كان لودندورف يجهل قدرة هذا الجيش على القيام بالهجوم نظراً للتدهور الكبير في روحه المعنوية. وكتب لودندورف بهذا الشأن ما يلي: **«كان يتبين لي بوضوح تام مقدار تفاقم الخطر، كلما أطلت التفكير في المأزق الذي كنا نواجهه. وكان تصميمي يتزايد بالمقدار ذاته للانطلاق بالهجوم على شينشاو. وبتنا ننتظر بصبر نافذ موعد تسديد الضربة الكبرى التي تستطيع وحدها وضع حد نهائي للمأزق الخطير. وما كانت هذه الفكرة لتتبلور دفعة واحدة، بل انها تجمعت، وتألفت حتى اكتملت رويداً رويداً»**.

ظهر التصميم النهائي للعملية يوم ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٤ فطلب لودندورف الى هندنبورغ تحديد يوم ١١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ موعداً للبدء بتنفيذ الهجوم. وصدرت الأوامر على الفور، كما أبلغ مقر القيادة الألمانية العليا بالقرار المتخذ. وقد عملت القيادة الألمانية بدورها على اتخاذ قرار بارسال قوات دعم كافية للجبهة الشرقيـة. وأبلغت لودندورف بذلك، غير أنه كان من المحال على لودندورف الانتظار لمدة أطول، لا سيما وأن عملية حشد القوات قد بدأت في التطور، وأخذت ملامح المناورة في الظهور على أرض العمليات. وبات عامل السرعة هو العامل الحاسم لمنع الغراندوق نيقولاي من استثمار ما يتوافر له من الوقت لحشد قوات كافية ضد قوات الهجوم الألمانية.

كانت جبهة الجيوش الروسية: الثاني والخامس والرابع قد امتدت على شكل قوس دائرة يعترض الخطوط الحديدية المارة بفارصوفينا ـ سيرادز، وفارصوفيا ـ بترويكاو.وكانت ميمنتها تلامس نهر الفارتا في جنوب كولو. وكان مركز ثقلها يستند إلى محور لاسك وبتريكاو. وكانت ميسرتها تقع أمام كيلسه .أما ميمنتها ومؤخرتها فكانتا تجانبان الفيالق التي سحبت من الجيش الأول الذي تركزت كتلته على الضفة اليمنى لنهر الفيستول.

اقتنصت القيادة الألمانية برقية لاسلكية صادرة عن القيادة الروسية في

يوم ١١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وهي تؤكد أن الهجوم العام الروسي يجب أن ينطلق يوم ١٤ ـ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وأصدر لودندورف أوامره إلى ماكنزن باستباق الهجوم الروسي المقرر، والانلاطق بهجومه على الفور. وكتب (هندنبورغ) عند تعرضه لهذا الموقف: **«لقد انتزعنا من قيادة العدو العليا مبادأة العمليات الحربية، وعندما تبينت هذه القيادة سياق مناورتنا، وانكشفت لها ملامحها، لم تعد تملك الجزأة، ولا الاقدام، لتنفيذ هجومها المقرر على مقاطعة سيليزيا، واكتفت بزج كافة القوى المتوافرة لديها في مواجهة هجومنا. والواقع الرهيب الذي يؤلف نهاية النهاية في الحرب، هو الخضوع القهري لمبادأة العدو، وأسبقية عملياته الضاربة».**

اتخذت القوات المتصارعة على الجبهتين ـ في النهاية ـ التنظيمات التالية:

**الوضع الألماني العام:**

**مجموعة التظاهرة:** وقد انتشرت على الضفة اليسرى لنهر الفيستول، شمال مدينة ملافاوتكونت من: «فيلق زاستروف، وفيلق حرس الاحتياط باستثناء الفرقة الثالثة، وثلاث فرق من قوات الدفاع الاقليمي، وجمهرات حاميات موقعي تورن وغراودنز التي انتشرت من جنوب مِلافا حتى تورن»

**قوات الجناح الأيسر:** وضمت فيلق الاحتياط الأول الذي حشد في هنزاله ـ محاذياً للضفة اليمنى باتجاه لويكز على نهر البزورا.

**كتلة الصدام:** وتشكل الجناح الأيمن لكتلة الصدام من فيلق الاحتياط الخامس والعشرين، وفرقة احتياط الحرس الثالثة، وفيلق الفرسان ريتشهوفن (المؤلف من فرقتي الفرسان السادسة والتاسعة) باتجاه كوتنوليوبكر ـ سكيرنيفيتز. كما تشكل الجناح الأيسر من الفيالق العشرين والسابع عشر والحادي عشر باتجاه كولو ـ دومبز ـ لودز.

**قوات الجناح الأيمن:** وضمت فيلق الفرسان فروميل الذي تشكل من الفرق الخامسة والثامنة والسابعة النمساوية ـ الهنغارية.

**الستار الدفاعي**: وقد انتشرت قواته بين بليشن وكربوزبورغ، وتألفت من فيلق بوزن وفيلق برسلاو أمام كرويزبورغ. والفرقة الاحتياط الخامسة والثلاثين، وفرقة الدفاع الاقليمي بريدوم ـ شينشاو. وفيلق الدفاع الاقليمي فويرش الذي دعمته فرقة الاحتياط الأولى. وأضيف أخيراً إلى هذه القوات فيلق بويسيم ايرمولي المكون من أربع فرق مشاة، وثلاث فرق فرسان. وهو الفيلق الذي رضي القائد كونراد ارساله إلى هذه المنطقة.

**الوضع الروسي العام**:

تشكلت القوات الروسية المقابلة من التنظيمات التالية:

**الجيش الأول**: وقد ضم ثلاثة فيالق تمركزت شمال نهر الفيستول ومعه فرقتين ملحقتين عليه وفيلق آخر كان يتمركز إلى الجنوب من نهر الفيستول.

**الجيش الثاني**: وقد ضم خمسة فيالق وفيلق فرسان. وانتشر على خط شمال فارصوفيا ـ لودز ـ سيرادز.

**الجيش الخامس**: وضم اليه ثلاثة فيالق فرسان، وانتشر على خط فارصوفيا ـ شينشاو.

**الجيش الرابع**: وضم إليه ثلاثة فيالق مشاة، وانتشر على خط ايفانفورود ـ كيلسه. وقد بلغ مجموع القوات الروسية خمسة عشر فيلقاً انتشر منها اثنا عشر فيلقاً على نهر الفيستول.

.*. *. *.

كان الجيش الألماني التاسع يتبع خط تورن ـ كوتنو ـ كويلز. الذي كان يؤلف خط تموين الجيش المذكور. وكان لزاماً على كتلة المناورة اجتياز مسافة تبلغ (١٥٠) كيلومتراً تقريباً للوصل إلى تورن. وكان على هذه الكتلة دحر الفيلق السيبيري الخامس المتمركز إلى الجنوب من مدينة فلوكلافيك، والفيلق الثاني الذي كان يتمركز إلى الجنوب من كوتنو. وكان

من المفروض بعد ترتيب هذا الوضع تنظيم التموين، واصلاح الخط الحديدي الذي تم تدميره حتى بات في حال يتعذر معها استعماله واستخدامه. وما كانت حسابات لودندورف تعتمد على الوصول بهذه الميسرة إلى بريززني قبل اليوم العاشر من تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٤. ولكن كان باستطاعة فرق الفرسان مع قسم من المشاة الوصول إليها قبل هذا الوقت المحدد.

**كان لودندورف يتوقع أن تمضي فيالق الجيش الروسي مدة خمسة أيام من أجل قطع مسافة ٧٥ كيلومتراً للعودة إلى بريززني. وكان يرى أن المفهوم الاستراتيجي للقيادة الروسية هو مفهوم محدود. وفقاً لما أكدته تجارب المعارك السابقة مع الروس، وخاصة موقعة تاننبرغ، وعلى هذا فقد كانت القيادة الروسية تحتاج لمدة يومين أو ثلاثة على الأقل حتى تتمكن من فهم المناورة الألمانية واستيعاب أهدافها. وكان لزاماً على القيادة الروسية بالتالي اصدار أوامر جديدة معاكسة لأوامرها السابقة بالهجوم على اتجاه الجنوب - الغربي، وهو الهجوم الذي كان من المقرر اطلاقه يوم ١٤ تشرين الثاني - نوفمبر - وتنظيم تظاهرة أمام المناورة الألمانية.**

وعلى هذا، فقد جاءت الخطة الألمانية لتلقي على عاتق ميمنة كتلة المناورة واجب التصدي لمجابهة فيالق الجيش الثاني وستار الفرقة الخامسة. وكان لودندورف يعتقد بأن فيالق الجيش الثاني تحتاج لمدة خمسة أيام على الأقل من أجل السير إلى بريززني، ولذا فقد كان يأمل بوصول كتلة المناورة في حينها إلى هذا المكان قبل وصول العدو إليه. كما كان يأمل أيضاً بأن تتمكن وحدات فرسان القائد ريتشهوفن وقوات المشاة التي تدعمها، من ايقاف قوات الدعم الروسية التي قد يتم ارسالها من فارصوفيا وشاطىء نهر الفيستول الأيمن، وأن تتم عملية الايقاف هذه بعيداً عن الشمال قدر المستطاع، مع قطع خطوط المواصلات الحديدية أقرب ما يمكن من جوار فارصوفيا.

وكان باستطاعة قوات الفرسان أيضاً أن تأمل في تأخير تحرك الفيالق الروسية أثناء تراجعها نحو الشمال. وتدمير المستودعات الروسية. وهكذا

تبدت ضرورة تجهيز كتلة المناورة بقوة كبيرة من الفرسان. وكان لودندورف الذي طالما تميز بالجرأة والاقدام الفطريين، يعتقد مؤكداً بنتيجة النجاح المتوقع، بالاضافة إلى اعتماده على ضعف الروس الذي من شأنه أن يكشف كل إجراءاتهم المقررة وترتيباتهم المتخذة. وكتب لودندورف في مذكراته قائلاً:

«كان الجيش التاسع على أتم استعداد للبدء بالهجوم منذ اليوم العاشر من تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٤. وقد انطلق بهجومه في اليوم الحادي عشر، حيث تدرج جناحه الأيسر بمحاذاة شاطىء نهر الفيستول. كما تقدم جناحه الأيمن شمال نهر الفارتا. وكان الوقت مناسباً جداً لأن المعلومات الواردة أشارت إلى أن العدو بالذات كان يفكر أيضاً بالقيام بالهجوم. وقد تمكن الجيش الألماني من اقتناص برقية لاسلكية استخلص منها السر التالي:

يجب على القوات الروسية المرابطة على الجبهة الشمالية - الغربية، أي كافة القوات الكائنة بين ساحل بحر البلطيق وبولونيا. الانطلاق بتاريخ ١٤ تشرين الثاني - نوفمبر - للتوغل عميقاً في البلاد الألمانية - مقاطعة سيليزيا -.

أجل. لقد انتزعنا مبادأة العمليات الحربية من قيادة العدو العليا التي لاحظت بتاريخ الثالث عشر توسع مناورتنا، وقد أعوزتها الجرأة والاقدام على تنفيذ الهجوم الواسع على سيليزيا، واقتصرت على القاء كل القوات المتوافرة لديها في وجه الهجوم الألماني. وهكذا تحقق انقاذ سيليزيا إلى أمد ما. كما تمكنت المناورة المنطلقة من الوصول إلى هدفها الأول. وهل كان في وسعنا بعدئذ الحصول على نصر حاسم؟ وبالرغم من تفوق قوات العدو تفوقاً كبيراً، فقد ظل أملي قوياً بالنجاح المنتظر...».

وقعت منذ الأيام الأولى للهجوم الألماني مجموعة من المعارك الطاحنة في فلوكلافيك وكوتنو ودومب. وقد بوغت الروس مباغتة تامة، ودحروا في كل مكان. وبينما كانت العناصر الرئيسية التابعة للجيش التاسع تندفع من

غير توقف باتجاه لودز عبر محطة كوليوتشكي. كان القائد فون مورغن على رأس فيلق الاحتياط الأول يغطي جانبيها في المنطقة الواقعة شمال لوفيتش. فكان هذا الفيلق معرضاً بشدة. وكان يدافع في ذات الوقت الذي كان يهاجم فيه باستمرار وعنف الفيالق الروسية التي كانت تصل تباعاً من ـ نوفوجيورجوفسكي ـ على شاطىء نهر الفيستول الأيمن. وبفضل الضغط الذي كان يقوم به فيلق زاستروف باتجاه ملافا، كانت الفيالق الآنفة الذكر تتقدم تقدماً بطيئاً. وتمكن بالتالي مركز الجيش التاسع المؤلف من وحدات فرسان فون ريتشهوفن، وفرقة الفرسان الثالثة، والفيلق الاحتياط الخامس والعشرين نهائياً من تحطيم المقاومة المجابهة، واجتاز خط لوفيتش ـ لودز، وتقدم من بريززني قدماً نحو الجنوب. وما كان لينحرف عن هدفه أبداً، باذلاً كل الجهد لتحقيق النصر الكبير.

التقت في اليوم السابع وإلى الشمال من لودز الفيالق: العشرون والسابع عشر، والفيلق النمساوي الحادي عشر، وكانت قوات هذه الفيالق تشتبك في صراع مرير مع قوات روسية ضخمة، بيد أن فرق فرسان فروميل وفيلق بوزن تمكنت من التقدم بطيئاً على شاطىء نهر الفارتا.

تضمنت برقية لاسلكية التقطتها القيادة الألمانية بأن الروس يعتزمون اخلاء لودز. غير أن برقية لاسلكية تالية أفادت بتصميم الغراندوق نيقولاي المتصلب في إبقاء فيالقه في مواقعها. وأصيبت القيادة الألمانية بخيبة أمل مريرة. إذ تلقت القوات الروسية الموجودة على شاطىء نهر الفيستول الأيمن ـ ما عدا الوحدات التي بقيت في جوار ملافا ـ أمراً بعبور نهر الفيستول. ولكن هذه الحركة نفذت على مهل وبصورة بطيئة جداً. وكان ذلك من حسن حظ فيلق الاحتياط الأول ـ بقيادة فون مورغن ـ إذ كان سيتعرض لمأزق خطير لو نفذت عملية العبور بسرعة. أما القوات الروسية المندحرة والتي كانت تنسحب عبر سكير نفيس إلى فارصوفيا، فقد تلقت الأوامر بالتجمع غرب القلعة، من أجل اعادة التنظيم والعودة للتقدم إلى الأمام مرة أخرى. وتكدست قوات الجناح الروسي الأيمن حول

لودز. وجرى نقل العناصر القادمة من قسم الجبهة (التي لم تخض بعد القتال من الجيشين الروسيين الثاني والخامس) إلى كولوسكي وغرب لودز باتجاه الشمال. وقد يكون من المناسب بعد ذلك التوقف عند بعض مواقع الأعمال القتالية.

**آ ـ موقعة فلوكلافيك يوم ١٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٤.**

انطلق الجيش التاسع بقيادة فون ماكنزن بهجومه في يوم ١١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وهاجم في يوم ١٢ منه الفيلق السيبيري في جنوب فلوكلافيك، وكان عازماً على تطويقه بفيالقه الثلاثة: الخامس عشر، وفيلق الاحتياط الأول، والفيلق العشرين. وكانت تحيط به فرسان ريتشهوفن من الجنوب لقطع خط تراجعه... غير أن مسيرة الأعمال القتالية بدأت في التحول بصورة غير مرضية، فقد انضم الفيلق النمساوي مبكراً إلى فيلق الاحتياط الأول، مما ساعد الفيلق السيبيري على التراجع بسرعة إلى بولوتسك، وتخلص من الكارثة، وما عتم أن وجد الفيلق السيبيري السادس الذي كان مستنداً إلى ضفة نهر الفيستول اليمنى، فعبر النهر لدعمه ومساندته. وبات لزاماً على فيلق الاحتياط الأول ـ بقيادة فون مورغن ـ أن يتوقف في مواضعه. وفشلت بذلك محاولة التطويق.

**ب ـ معركتا دومبروفيتش ودومب ١٣ ـ ١٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ.**

هاجم فون ماكنزن بقواته الفيلق الروسي الثاني، في غرب كوتنو، وقد عزم على تطويقه أيضاً بفيالقه الثلاثة: ٢٥ و٢٠ و١٧ بالاضافة إلى فرسان ريتشهوفن الذين كانوا قد عادوا على التو من مطاردة الفيلق السيبيري الخامس، وتقرر أن يعمل في هذه الأثناء الفيلق الحادي عشر على تثبيت الفيلق الروسي الثالث والعشرين في مدبنة دومب. ودفع الفيلق الثاني باتجاه كوتنو.

**ج ـ موقعة كوتنو ـ ١٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ.**

استأنف الفيلق الخامس والعشرون والفيلق العشرون هجومهما في يوم ١٥ تشرين الثاني ضد الفيلق الروسي الثاني الذي أعاد تنظيم مواقعه

من جديد امام كوتنو. وقد نجح في ايقاف تقدم الفيلقين الألمانيين طوال النهار، غير أن فرسان ريتشهوفن نجحوا في الليل باقتحام كوتنو اقتحاماً مباغتاً، مما أرغم الفيلق الروسي الثاني على التراجع في اليوم الثاني. وكانت الفيالق الألمانية تسير متقاربة - منضمة - إلى درجة كبيرة، بعضها إلى جانب البعض الآخر.

ترك ماكنزن مطاردة الفيلق الروسي الثاني للفيلقين ٢٠ و٢٥ ومعهما فرسان ريتشهوفن، ووجه في يوم ١٦ تشرين الثاني - نوفمبر - الفيلق ١٧ ضد الفيلق الروسي ٢٣ الذي سبق أن هاجمه الفيلق الحادي عشر. وعندما أدرك قائد الجيش الروسي الثاني - شايدمان - قوة الهجمات الألمانية المضادة للفيلق الثاني طوال اليومين السابقين عمل على زج الفيلق الرابع على ميمنة الفيلق السيبيري الثاني. وأمكن له بذلك استيعاب هجمات الفيالق الألمانية (١٧ و٩) وفرقة الفرسان الثالثة.

وصل الجيش الألماني التاسع يوم ١٦ تشرين الثاني - نوفمبر - (أي في اليوم السادس للهجوم) حتى خط دومب - بولتوسك الواقع على بعد ٨٠كم من قاعدة انطلاقه، وكانت غنائمه زهيدة نسبياً، ولا تزيد على ٢٥ ألف أسير و٢٠ مدفعاً و٧٠ رشاشاً.

أدرك الغراندوق نيقولاي ما تهدف إليه المناورة الألمانية يوم ١٤ تشرين الثاني - نوفمبر - مساء. فعمل على اتخاذ الترتيبات المضادة لها. وكانت فكرته تقضي بتشكيل جبهة تمتد من لودز إلى راوكا أمام الخط الحديدي فارصوفيا - كولوسكي، هذا الخط الضروري لتأمين تموين قواته. وتوطدت هذه الجبهة من الغرب إلى الشرق، وفقاً للترتيب التالي:

الفيلق الثالث والعشرون في غرب لودز، والفيلق السيبيري الثاني والفيلق الرابع والفيلق الثاني في شرق لودز. وترتبت على يمين الفيلق الثاني النجدات التي وصلت من فارصوفيا. وانتقل الجيش الخامس بكامله لنجدة الجيش الثاني. وركز الروس جهودهم في يومي ١٧ و١٨ تشرين الثاني - نوفمبر - على نقل فيالق الجيش الثاني إلى الجبهة الجديدة. وأطلقت

الطلائع الخلفية التابعة لهذه الفيالق معارك جنونية على الستار الدفاعي الألماني لتسهيل حركات التراجع.

حدث في هذه الأثناء تباعد بين جناحي الجيش التاسع الألماني، وذلك بسبب اندفاع الجناح الأيسر نحو الشرق، وقيامه بالاختراق عبر بريززني، وهو الاختراق الذي وصفه لودندورف بقوله: «كان الاختراق يمضي قدماً باندافعة قوية نحو الأمام حتى وكأنه عاصفة مدمرة تريد الحصول على نصر حاسم».

أراد ماكنزن التقدم لدعم سيطرته على راوكا بهدف قطع خط التراجع على الفيالق الروسية المتجهة إلى فارصوفيا، وكذلك ايقاف قوات الدعم، النجدات، القادمة من هذه القلعة، غير أن الأوامر لم تصله في الوقت المناسب، ذلك أن القيام بهذه العملية كان يتطلب اتخاذ إجراءات مسبقة. أما الجناح الألماني الأيمن - بفيالقه ٢٠ و١٧ و١١ - فانه بدلاً من أن يمضي قدماً نحو الشرق للالتفاف على لودز بغية الالتحاق بالجناح الأيسر وتشكيل سد تعبوي، اقتصر على حشد قواته أمام لودز.

د - موقعة لودز في ١٩ و٢٠ و٢١ تشرين الثاني - نوفمبر.

استمرت موقعة لودز طوال الأيام الثلاثة ١٩ - ٢١ تشرين الثاني، وكانت نتائج المعارك سجالاً بين الطرفين المتصارعين. وأغار الجناح الأيسر للجيش الألماني التاسع على المواقع التي تغطي القطاعات الشرقية من لودز، كما قام الجناح الأيمن بالهجوم على القطاعات الغربية من مدينة لودز. وهاجم فيلق بوزن وفرقة المشاة ٣٨ - في يوم ٢١ تشرين الثاني - شمال مدينة لامسك - قوات الجيش الروسي الخامس بهدف تثبيتها وايقافها، أو على الأقل تأخيرها عن التقدم لدعم الجيش الثاني. ولكن الفيلق الروسي التاسع عشر خاض المعركة بحماسة واندفاع كبيرين ضد القوات الألمانية، ونجح في دحرها وردها نحو الغرب.

لم يتمكن الجناح الأيسر للجيش الألماني التاسع من تأمين الاتصال مع الجناح الأيمن في يوم ٢٢ تشرين الثاني - نوفمبر -. وقد هاجمته في هذه

الأثناء الفيالق الروسية التي كانت تتراجع نحو الجنوب. كما تصدت له القوات التي كانت قد انسحبت إلى فارصوفيا، ثم أعادت تنظيمها، ورجعت إلى ميدان المعركة حيث أمكن لها قطع اتصال الجناح الأيسر للجيش التاسع، وحرمته من تنسيق التعاون مع الجناح الأيمن، وعملت على تطويقه. غير أن الجناح الأيسر خاض في ليل ٢٤ ـ ٢٥ معارك عنيفة ضارية، وأمكن له اختراق دائرة الحصار، واستطاع أسر عدد كبير من الجنود الروس، كما حصل على غنائم كثيرة. وظهر نقص الذخائر والمواد التموينية بصورة مخيفة لدى القوات الروسية الضاربة. وعمل ماكنزن على دعم مواقع فيالقه، فشكل منها جبهة متصلة ومستمرة تقريباً، تمتد من نهر الفيستول حتى شمال مدينة لودز.

انتهت بذلك العمليات التي أنقذت سيليزيا، ولكنها لم تتمكن من تدمير الجناح الأيمن للقوات الروسية في غرب الفيستول. وقد تعرض لودندورف لنتائج هذه العمليات بقوله: **أنجز الجيش التاسع الألماني حركة التفاف اجتاز فيها المشارف الشرقية لمدينة لودز. بيد أنه لم يظهر أي ضغط معاكس من جهة الغرب، ونعني من جهة مدينة كاليش، كما لم تنظم تغطية كافية تجاه الشرق. وعادت القوات الروسية المنطلقة من بعض قطاعات الجبهة إلى المعركة، بعد أن تم دحرها، وانضمت اليها قوات أخرى من جبهة فارصوفيا، وأخذت في العمل ضد الجيش التاسع الألماني الذي كان يهاجم وهو قادم من الشمال. وضغطت عليه ضغطاً جدياً. وتمكن جناح الالتفاف الألماني من انقاذ الموقف المتأزم، بفعل الاختراق المجيد الذي قام به في بريزني. . . اننا لم ننجح في تحقيق الغاية الكبرى التي كان هدفها تدمير القوات الروسية في منعطف نهر الفيستول، لأننا لم نكن نمتلك القوى الكافية، والضرورية، للقيام بهذا العمل العظيم.**

لقد كان لتفوق الروس الساحق في ميزان القوى دوره الكبير في احباط مناورة لودندورف، وعلى كل حال، فقد اعتقد الغراندوق نيقولاي في يوم ٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٤ بأنه بات لزاماً عليه اخلاء مدينة

لودز، المركز الصناعي ذي الأهمية القصوى لصناعة الأسلحة والذخائر. وتنازل بالتالي عن المبادأة في الهجوم الكبير الذي كان يريد اطلاقه على سيليزيا. وتمكن الألمان من المحافظة بصورة نهائية على موارد هذه المقاطعة الصناعية الهامة، وجعلها بمأمن من الأخطار التي أحدقت بها. غير أنه لا بد من الاشارة أيضاً إلى ما تعرضت له القوات الروسية من نقص في الذخائر والمواد التموينية، المرة بعد المرة، مما أوقف من حدة اندفاعهم في معارك عديدة، وحرمهم من قطف ثمار تضحياتهم وهم في ذروة انتصاراتهم. ولم يكن ذلك إلا نتيجة لنجاح مناورة لودز في ضرب المؤخرات الروسية. وقد تعرض لودندورف في كتابه ـ ادارة الحرب والسياسة ـ للموقف بقوله:

«... ما كان باستطاعة الكونت شليفن أن يتصور عملية حربية أكثر جرأة وابداعاً من تلك العملية التي صممت على أساس اطلاق هجوم يتضمن مناورة التفاف تتدرج من الشمال، مرفقة بهجوم جبهي ضد الجيش الروسي الذي تمركز باتجاه الغرب على امتداد جبهة مترامية الأطراف، دون تأمين استناد أو دعم على جانبه الأيمن. والتمكن من دحره في أضعف نقطة من هذه الجبهة بتفوق عددي ساحق، وذلك بفعل تطبيق مركز ثقل الهجوم ضده، ثم الانطلاق باتجاه ايفانغورود لقطع خط تراجعه بعيداً عن نهر الفيستول، أو قطع خط تراجع الجيش الروسي بكامله، أو على الأقل الكتلة الرئيسية لهذا الجيش.

لقد ظهرت اليوم عظمة هذه المناورة الجبارة التي كان بالمستطاع تحقيقها والتي هزت قلب كل جندي هزاً عنيفاً وضاعفت من ثقته. فلو أننا تلقينا في الوقت المناسب ثماني أو ست أو حتى أربع فرق فقط، لأمكن لنا حسم الصراع بصورة مؤكدة، غير أن امكانات الدعم لم تكن متوافرة في تلك الساعات الحرجة، نظراً لانصراف الجهد نحو ميدان الايبر، حيث كانت المعارك العنيفة هناك تستنزف كل القوى العاملة والاحتياطية، وعندما انتهت تلك المعركة، وبات بالامكان الافادة من القوى المتوافرة على تلك الجبهة، كانت اللحظة المؤاتية ـ على الجبهة الشرقية ـ قد مضت

وانقضت: واضطر القائد العام للجيوش الألمانية على الجبهة الشرقية أن ينفذ الهجوم بقواته الخاصة فقط. وكانت هذه القوات في الواقع ضعيفة وغير قادرة على انجاز الواجب المحدد على الوجه الأكمل. ولقد بلغ الهجوم أقصى ذروته يوم ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٤ في شمال لودز. وعندها، بدأ الجناح الأيمن للجيوش الروسية (الشمالي) بالانسحاب، وأعطيت له الأوامر بالاسلكي للتراجع. وكنا نسمعها في مقرنا العام في ـ بوزن ـ. وكنا نأمل في الوصول إلى نتيجة حاسمة على الرغم من ضعفنا. بيد أن ارادة الغراندوق نيقولاي نيقولا يفتش الحازمة أمسكت الجيوش الروسية في أماكنها. وانطلقت الموقعة الطاحنة سجالاً بين الفريقين. وقام الجيش التاسع الألماني بحركة التفاف فورية إلى الشرق من لودز، إلا أن عدم توافر القوى لدينا، والحاجة التي كانت تفرض إجراء ضغط معاكس من جهة الغرب ـ ونعني من جهة كاليش ـ وبالتالي عدم وجود تغطية كافية باتجاه فارصوفيا، كل هذه العوامل ساعدت الروس على الانطلاق عبر قطاعات الجبهة الألمانية التي لم تتمكن من تثبيتهم وايقافهم، بما في ذلك قواتهم المنطلقة من فارصوفيا، والتي اندفعت كلها ضد الجيش الألماني التاسع. وقد ضيقت القوات الروسية عليه تضييقاً شديداً. بيد أن نجاح حركة الالتفاف الألماني ساعد على التخلص من هذا المأزق الحرج، بفعل عملية الاختراق التي تمت بجوار بريزني.

وعندما وصل الفيلق الألماني في مطلع شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ إلى مشارف المنطقة، هاجم كاليش باتجاه لودز، على الرغم من ضعف قوته عددياً، فتراجع الروس عن المدينة، وانسحبوا بأمن، إذ أن جناحهم لم يعد مهدداً. وهذا ما جعل من المحال الحصول على نصر كامل».

.*. *. *.

## ٤ ـ موقعة بيالستوك (أوغستوفو)

فشلت حملة الألمان في سنة ١٩١٤، في حسم الصراع على جبهة الغرب ولم يكن نصيب رئيس هيئة الأركان ـ فالكنهاين ـ من الفشل بأقل من نصيب سلفه، فون مولتكه الصغير، وأثناء ذلك، كانت الجيوش الروسية قد وصلت في تقدمها إلى جبال الكاربات(٣١) النمساوية. مما دعى رئيس هيئة الأركان النمساوية ـ الهنغارية (كونراد) إلى طلب الدعم من القيادة الألمانية العليا، للقيام بهجومه الكبير المتوقع من أجل ايقاف الهجوم الروسي ووضع حد لاخطاره. واستجاب فالكنهاين لهذا الطلب، وقرر تنظيم جيش جديد أطلق عليه اسم (جيش الجنوب) واسندت قيادته إلى الجنرال (ليزينغن) كما تم تعيين لودندورف رئيساً لهيئة أركانه، وحددت مهمته بالعمل في مناطق الكاربات. بيد أن هندنبورغ أنذر بواقع الخطر الشديد الذي يمكن أن تتعرض له بروسيا الشرقية فيما إذا سحبت منها بعض قواتها وأرسلت إلى مناطق أخرى. كما طلب إعادة لودندورف إلى مقره السابق.

وقد علم لودندورف فور عودته إلى ـ بوزن ـ في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩١٥ بأن أربعة فيالق جديدة قد وضعت تحت تصرف قيادته بمهمة دحر الجيش الروسي العاشر الذي كان يهدد باستمرار أمن بروسيا الشرقية وسلامتها. وكان الجيش الروسي العاشر بقيادة ـسيغرسْـيتكون من أربعة فيالق نظمت من اليمين إلى اليسار على النحو التالي: الفيلق الثالث، فالفيلق العشرون، فالفيلق السادس والعشرون،. فالفيلق السيبيري الثالث. وكانت فرقتان من الفرق الأربع التي تؤلف الفيلق الثالث ضعيفتين بالنسبة إلى الفرق الأخرى. وانتشر هذا الجيش دفاعياً على خط

---

(٣١) الكاربات: (KARPATES= CARPATES) سلسلة جبلية في أوروبا الوسطى، تشرف على سهول سلوفاكيا وهنغاريا وسهل ترانسلفانيا، وتمتد من براتيسلافا BRATISLAVA (أو بريسبورغ PRESBURG) المدينة الواقعة على نهر الدانوب وحتى أبواب الحديد (PORTES DE FER) وهي ممرات الكاربات بين رومانيا ويوغوسلافيا وعلى نهر الدانوب أيضاً. وطول جبال الكاربات (١٤٥٠)كم. وذروة ارتفاعها (٢٦٦٣)م.

فيلكوفيسكي ـ جوهانسبورغ الذي كان يبلغ طوله قرابة مائة كيلومتر. وقد احتلت القوات الروسية مدينتي تيلسيت وميمل. وقد تعرض لودندورف لمعالجة الوضع العام في مسرح عملياته ـ بروسيا الشرقية ـ فكتب ما يلي:

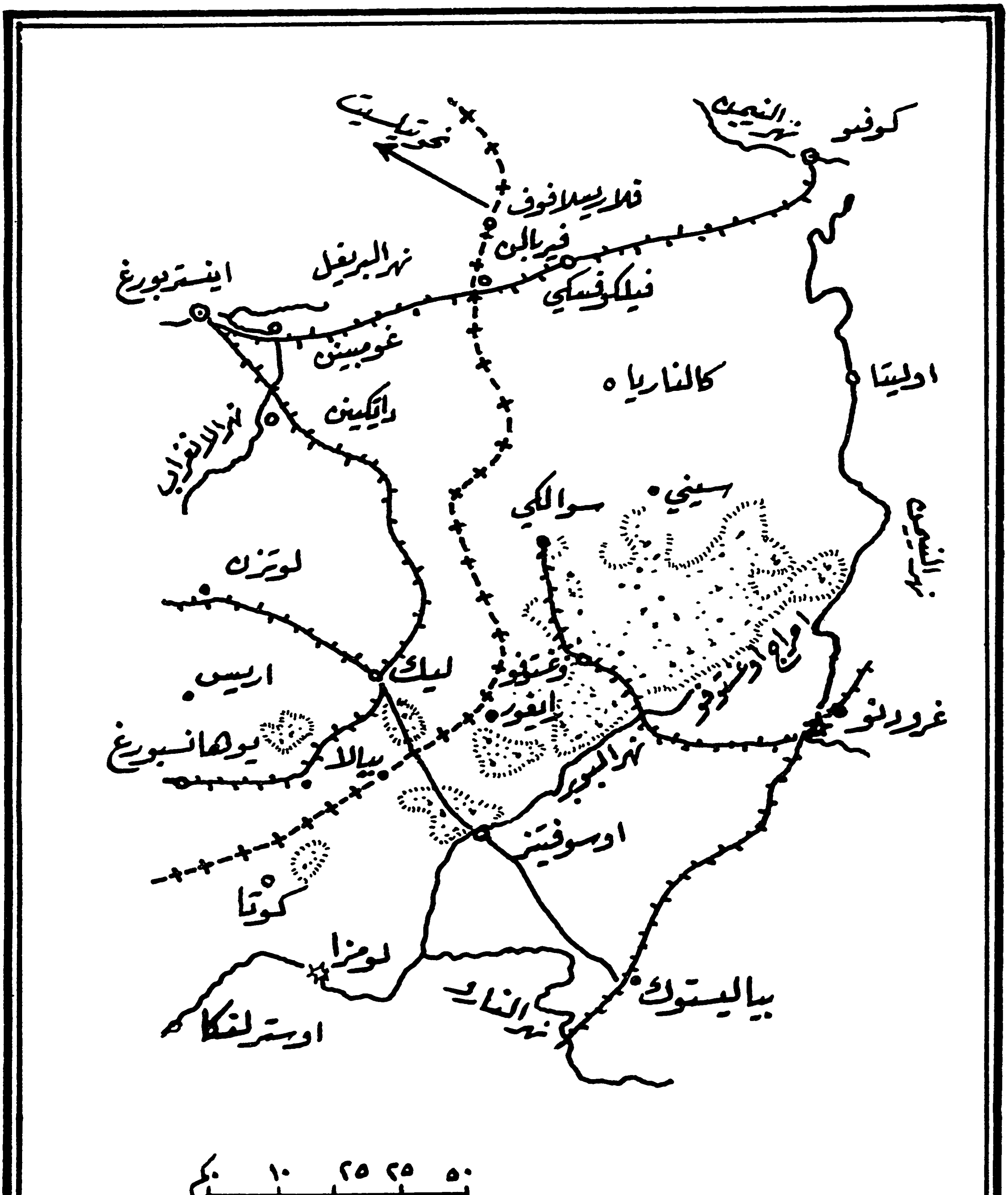
«. . . أرسلت القيادة الألمانية العليا في مطلع العام ـ ١٩١٥ ـ أربعة فيالق، نقلتها من الجبهة الغربية، أو دفعتها من الداخل، بواسطة الخطوط الحديدية، وانزلت في بروسيا الشرقية. فتم استخدام قسم منها لدعم الجيش الثامن، وشكل القسم الباقي الجيش العاشر الذي وضع تحت قيادة الفريق ـ فون ايخورن ـ. وبعد اتمام حشدها، انطلقت قدماً للنفوذ على جانبي مواقعنا الحصينة على خط لوتزن ـ كومبيين (أوغومبيين) الذي كان ضعيفاً في قوته. وكانت خطتنا ترمي إلى الالتفاف على الجيش الروسي بقيادة سيغرس، بواسطة جمهرتين قويتين كانتا تؤلفان الجناحين، وتعينت مهمتهما على اختيار مواضع العدو الواسعة والانطلاق على مؤخراته، والوصول إلى الأرض الروسية، والعمل من أجل القضاء الكامل على آخر بقاياه، وفلوله ـ.

أقمنا منذ الثامن من كانون الثاني ـ يناير في المقر العام للقيادة في مدينة بوزن، وأخذنا في شرح فكرتنا لقادة الجيوش ـ وكانت فكرة أولى ترمي إلى وضع أسس عملياتنا القتالية القادمة وفقاً للتوجيه التالي: يقوم الجيش العاشر بالالتفاف على الجناح الشمالي للعدو، ويسير الجناح الأيسر لهذا الجيش على خط تيلسيت ـ فيلكوفيسكي، بينما تقوم فرقة من قوات الدفاع الاقليمي ـ الاندوير ـ بتثبيت العدو جبهياً، وفي الوقت ذاته ينطلق جناح الجيش الثامن ـ الأيمن ـ بالهجوم على محور أرنيس ـ يوها نسبورغ، أو على اتجاه الجنوب. (وأضاف لودندورف). إن تجربة موقعة تاننبرغ، وموقعة بحيرات مازوري (اينستربورغ) قد برهنتا على أنه لا يمكن الحصول على نصر حاسم وسريع إلا إذا أمكن مهاجمة جانبي العدو دفعة واحدة، ويتوجب إذا توافرت الامكانات اطلاق مناورة التفاف باتجاه تيلسيت ـ فلاديسلافو ـ كالفاريا بواسطة مجموعة مؤلفة من ثلاثة فيالق، يجري حشدها بين نهر النيمن وطريق اينستربورغ ـ غومبيين (كومبيين). وزج مجموعة أخرى مؤلفة من فيلق الاحتياط الأربعين، وفرقة المشاة

الثانية، وفرقة الفرسان الرابعة بين يسيردنغ وحدود البيالا على ريغورود، وأخيراً على بعد باتجاه اوغستوفو والجنوب. ويجب في الوقت ذاته تثبيت العدو بهجمات جبهية. وكنا نعرف يقيناً بأن جناحي العدو ـ مجنبتيه ـ قد وصلا إلى مرحلة كبيرة من الضعف، مما جعلنا نأمل في كسب أرضي كبير قبل أن تتمكن قوات العدو الأساسية من التملص من الجبهة التي سنهاجمها. وكان لزاماً على كتلتي المناورة وضع العدو بين فكي الكماشة بصورة محكمة وقوية. وكان لا بد من مجانبة الموقعة باتجاه كوفنو ـ أوليتا من جهة. واوسوتيز ـ لومزا من جهة ثانية، بواسطة قوات من الجيش الثامن خاصة، نظراً لبقاء هذه القوات من غير عمل بسبب تضييق الجبهة الناجم عن التقاء الجناحين على الاتجاه المشترك لمدينة ـ غرودفو» بدأ العمل بعد ذلك في اعداد المخططات والتحضير للأعمال القتالية، وتركت الجيوش في مواقعها ومنعت من إجراء التحركات حتى اللحظة الأخيرة، وفي ذلك يقول لودندورف: «. . . **كنا نخشى ألا تظل حركات الجيوش وتنقلاتها سرية. وكنت أتشدد كثيراً في قضية الأمن والمحافظة على سر الأعمال القتالية، وأعلق عليها الأمل الكبير في تحقيق النجاح المنتظر والنصر المتوقع**». وأخيراً! انتهت عمليـات حشد القوات كلها في يوم ٥ شباط ـ فبراير ـ. وانتقل المقر العام من (بوزن) إلى (اينستربورغ). وفي ذلك كتب هندنبورغ ما يلي: «لقد أرسل أمر الهجوم النهائي في اليوم الخامس من شباط ـ فبراير ـ من اينستربورغ، حيث انتقلنا إليها لادارة الحرب. وكان الأمر الآنف الذكر يفرض زج كتلة الجناحين في يوم ٧ شباط ـ فبراير ـ وقد اشتمل الأمر أيضاً ـ أمر الهجوم ـ على بعض البيانات المتعلقة بانتصارنا المجيد في سيدان(٣٢)» انتشرت القوات المكلفة بالهجوم من الشمال إلى الجنوب بين الجيشين: الجيش العاشر بقيادة القائد آيخورن والجيش الثامن بقيادة القائد فون بولو. وكانت نقطة الفصل بين الجيشـين تقع في داتكينين. وانتظم الوضع العام على النحو التالي:

---

(٣٢) سيدان: (SÉDAN) مدينة رئيسية في الأردين ARDENNES، تقع على نهر الموز. استسلم فيها نابليون الثالث سنة ١٨٧٠، وكانت مسرحاً لمعارك طاحنة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، نظراً لموقعها الهام على طريق الجيوش الألمانية أثناء تحركها للهجوم على الغرب (فرنسا).



نحو تيلسيت
كوفنو
نهر النيمن
فلاديسلافوف
فيربالن
نهر البريغل
اينستربورغ
فيلكوفسكي
غومبينن
كالفاريا
اوليتا
داركيمن
نهر الانغراب
سيني
سوالكي
نهر النيمن
لوتزن
ليك
اريس
اوغستوف
احراج اوغستوف
ايغور
غرودنو
يوهانسبورغ
بيالا
نهر البوبر
اوسوفيتز
كولنا
لومزا
بياليستوك
نهر النارف
اوسترلنكا
٥٠ ٢٥ ٢٥ ١٠ كم
المقياس

ـ قـوات المجنبـة: وتكـونت من قـوات الهجـوم ـ لانـدشتـورم ـ كونيغسبرغ، وتمركزت على نهر النييمن، وحدت مهمتها باحتلال تيلسيت وتأمين حماية خط النييمن.

ب ـ كتلة الالتفاف الشمالية: وتكونت من الجيش العاشر الذي ضم ثلاثة فيالق وهي: ٢١ و٢٩ وفرقة الخيالة الأولى ولواء الحرس الخامس. وكانت فرقة الدفاع الاقليمي ـ كونيغسبرغ ـ تتمركز على طريق اينستربورغ.

جـ ـ قوات الجبهة: وتكونت من الفرقة الاحتياطية الثانية، وفرقة الدفاع الاقليمي الثالثة. بالاضافة إلى خمسة ألـوية من قـوات الهجوم الاقليمي.

د ـ كتلة الالتفاف الجنوبية: وتكونت من الجيش الثامن وفرقة المشاة الثانية ـ المتمركزة غرب يوهانسبرغ ـ والفيلق الأربعين الاحتياط في الجنوب، وفرقة المشاة الثانية المنتشرة حتى الحدود. وحشدت فرقة الفرسان الرابعة إلى الوراء، وانزل الفيلق العشرون في لومزا ـ وراء كتلة الجنوب ـ وكان عليه أن يتقدم نحو نارو عبر ميشينتز.

هـ ـ فيلق المجنبة الجنوبية: وقد تمركز هذا الفيلق باتجاه لومزا بقيادة القائد شولتز.

و ـ قوات التغطية: وتكونت من جمهرات الجيش بقيادة القائد فون غالويتز، وتركزت بين أورشيتز ونهر الفيستول. وقد أوعز إليها أن تتقدم نحو الجنوب فور انتهاء حشدها. وكانت أفضل تغطية يمكن تأمينها لهذه المنطقة هي انطلاق هجوم الجيشين الثامن والعاشر. ويمكن ملاحظة أن كتلة الشمال قد ضمت ثلاثة فيالق وفرقة من الفرسان، بينما لم تشتمل كتلة الجنوب سوى فيلق ونصف الفيلق وفرقة من الفرسان. وكتب لودندورف معقباً على هذا الموضوع بقوله:

«. . . لقد كان الايعاز بالهجوم المعتمد قراراً خطيراً للغاية تحت الشروط لراهنة، وكان الشتاء شديداً قاسياً. ومنذ الخامس من شباط ـ فبراير ـ ثارت عاصفة ثلجية طاغية عنيفة لا عهد لنا بمثلها من قبل، وكانت

تهدر هدير السيل الجارف، وقد اختفت الطرق والخطوط الحديدية تحت أكوام الثلوج المتكدسة. وكان من العسير التقدم خارج الطرق والدروب. وكانت الثلوج ترتفع ارتفاع قامة الرجل. وقد غمرت الاصقاع العارية بوشاحها الأبيض الكثيف. وظلت الأوامر الصادرة تنتظر لحظة تنفيذها. وكان الروس من جانبهم يواجهون صعوبات جمة أشد وأقسى. وكانت قوافلهم تتقدمهم أثناء رجعتهم المتدافعة. وكانت جيوشنا مجهزة تجهيزاً وافياً لحملة الشتاء. إذ كانت مدافع الهاون والأسلحة الأخرى والمعدات مجهزة بزحافات خاصة أعدت للسير فوق الثلوج بسهولة. وقد اتخذت هذه التدابير استجابة للمتطلبات القتالية في مثل هذا الفصل. وتبدت الجهود التي قام بها الجند والخيل عظيمة لا يمكن تصورها. وبعد مضي بضعة أيام، تبدل الطقس القاسي، وانكشفت الدروب، وظهرت الطرق والخطوط والسبل والمعابر. ولقد ساعد الالتفاف الواسع الذي أجرته قواتنا على اقتناص عربات العدو وهي مشحونة بالمؤن، ومحملة بالذخائر الكثيرة، الأمر الذي ساعدها على الاستمرار في الحركة، ولولاها لتوقفت حتماً من جراء نقص التموين والاعاشة.

واجهت هيئة الأركان العامة ذاتها، والقيادات الملحقة بها، صعوبات جمة تكاد تستنزف القوى، وتحبط الهمم والعزائم، ولكنها مضت نحو غايتها بتصميم عنيد وصبر كبير. وعندما التقت القوات الألمانية بقوى العدو، احتاجت وقتاً طويلاً لاعادة تنظيم قواتها وتشكيل وحداتها، والانطلاق بالهجوم. وكان يتعذر عليها ايصال الأوامر في حينها من جراء انقطاع المواصلات البرقية والهاتفية بفعل الزوابع التي أطاحت بأعمدتها وقطعت أسلاكها وبعثرتها، وفي القوت ذاته، وللأسباب ذاتها، امتنعت التقارير والمعلومات عن الوصول في حينها إلى القيادة، مما جعل الأوضاع المتطورة تبدو لها غامضة مبهمة. . .».

الموقعة ٧ ـ ٢١ شباط ـ فبراير ـ.

بدأت الأعمال القتالية بتظاهرة حربية على ضفة نهر الفيستول اليسرى، وقد بدأ ماكنزن بتنفيذ هذه التظاهرة اعتباراً من يوم ٣١ كانون

الثاني ـ يناير ـ. غير أن ماكنزن عمل على ادارة التظاهرة بصورة خاطئة حتى كأنها هجوم حاسم. الأمر الذي أدى إلى سقوط خسائر فادحة في صفوف الألمان الذين تركوا فوق أرض المعركة ـ حتى يوم ٦ شباط ـ فبراير ـ ما يزيد على (٣٠) ألف قتيل. وكانت الخسائر الثقيلة سبباً في امتناع لودندورف عن سحب ما كان يحتاجه من القوات لدعم كتلة الصدام، وفقاً لما كان قرره، وخطط له، من قبل. وقد كتب لودندورف معقباً على ذلك: «كانت النتيجة التعبوية ضعيفة، ولو أن أثر الهجوم كان كبيراً جداً على الروح المعنوية للقوات الروسية، مما مهد لبلوغ الغاية الاستراتيجية المتوقعة». ومنذ أن تحقق الوصول إلى هذه الغاية، جرى نقل الفيلق العشرين من الجيش التاسع إلى جنوب أورتلسبورغ، وأرسلت فرق أخرى لدعم كتلة الصدام. هذا وقد بوغت الجيش الروسي مباغتة مذهلة، ونشطت فروع الاعلام والاستخبارات الألمانية نشاطاً كبيراً في ترويج الشائعات والمعلومات المضللة ـ الخداعية، والتي كان لها أثرها العميق في مسيرة الأعمال القتالية.

آ ـ **كتلة الالتفاف الجنوبية**: وصل القائد ليتزمان على رأس الجناح الأيمن للجيش الثامن يوم ٧ شباط ـ فبراير ـ إلى أمام يوهانسبورغ، حيث انتزع الميمنة الروسية مع دفاعاتها في اليوم التالي. واتخذ تدابيره اللازمة لمجابهة اوسوتيز، مندفعاً قدماً نحو ريغورد حيث واجه في هذا الجوار مقاومة شديدة. وفي هذه الأثناء كانت قوات الجناح الأيمن لهذا الجيش تطارد العدو المتراجع على طول الجبهة. وكان يقترب رويداً رويداً من مدينة ليك. وقد دافع الفيلق السيبيري الثالث عن هذه المدينة التي لم تسقط في قبضة القوات الألمانية إلا في صبيحة اليوم الرابع عشر. ونجحت وحدات هذا الفيلق ـ السيبيري ـ في التملص من المعركة والانسحاب عبر اوغوستوفو، واختفى وراء بحيرات نهر البوبر الأعلى. وبذلك أمكن له الافلات نهائياً من التطويق والدمار. ووصل القائد ليتزمان في ليل اليوم السادس عشر ـ السابع عشر إلى اوغستوفو بعد معركة جديدة تميزت بالعنف والشدة.

ب ـ **كتلة الالتفاف الشمالية**: تطورت عمليات هذه الكتلة بصورة

رائعة، وأورد لودندورف في مذكراته الملامح العامة لهذا التطور بقوله: «وصل مركز الجيش الألماني العاشر بعد مسيرات شاقة ومصاعب ضخمة وجهود جبارة في ليل ١٠ ـ ١١ شباط ـ فبراير، إلى اتجاه تلسيت ـ كالفاريا ـ طريق اينستربورغ ـ كوفنو في فيربالن. ونجا الفيلق الروسي الثالث باتجاه الشمال، بدلاً من الانسحاب نحو المركز. وقد ترك له الجيش العاشر سبيل الفرار حراً. وأثناء سقوط مدينة ليك في الرابع عشر من شباط ـ فبراير ـ وكانت الأرتال على الأطراف الشمالية لحراج اوغستوفو الكبير في جوار سفولكي وسنيفي. وقد أخذ الجيش الروسي المتراجع عن جوانبه في الاتجاه نحو الجنوب، تحت ضغط القوات الألمانية المستمر والمتصاعد.

ظهرت في مساء يوم ١٤ ـ شباط ـ فبراير ـ أنه بات بالمستطاع جعل حركة الالتفاف أكثر نفوذاً واتساعاً في شرق مدينة اوغستوفو. وقد وجه القائد ـ ايخورن ـ جناحه الأيسر قدماً في هذا الاتجاه، واندفعت مقدمة الفيلق ٢١ في يومي ١٥ و١٦ شباط ـ فبراير ـ عن طريق سينغي ـ اوغستوفو متوغلة عميقاً في الحرج، ولكنها بوغتت بالأرتال الروسية المتراجعة من الشرق إلى الغرب، فوقع قسم منها أسيراً في قبضة القوات الروسية. وتقدم الجيش الألماني العاشر بصورة سريعة، دافعاً بعض وحداته نحو الشرق، على امتداد حدود الحرج الشمالية، في شمال ـ غرب منطقة غرودنو، والتي توطدت على أساس نظام الجبهة المعكوسة باتجاه الغرب، واستندت مؤخرتها بتماس مباشر مع التحصينات القائمة. وهكذا تمكنت هذه الحركة الجريئة من قطع خط تراجع القوات الروسية بصورة نهائية. أما بقية قوات الجيش العاشر فقد توغلت عبر الحرج. والتقت مع قوات الجيش الثامن، حيث شكلت دائرة مغلقة باحكام عتيد على الجيش الروسي العاشر بكامله. فتم تطويق الجيش المذكور نهائياً. بيد أن الموقف العام للجيوش الألمانية لم يكن على ما يرام، نظراً لما تعرضت له هذه الجيوش من مصاعب كثيرة وعقبات كؤود.

تلقى الروس في غرودنو قوات دعم جديدة وصلت إليهم يوم ٢٠ ـ ٢١ شباط ـ فبراير. وقامت هذه القوات بهجمات ضارية، عنيفة، كما

كانت القوات الروسية تشن هجمات مستمرةأثناء تراجعه عبر حرج أوغستوفو. وقد ثبت الألمان لهذه الهجمات التي تحطمت كلها، ولو أنهم تكبدوا من جرائها خسائر فادحة. واستمرت المقاومة بضعة أيام. ولكن الكتل الروسية المدافعة في أحراج أوغستوفو استسلمت للألمان بعد دافع مرير يائس. وانتهت الموقعة بانتصار الجيش الألماني نهائياً. وقد علق هندنبورغ على هذا النتيجة بقوله: **«لقد أصاب الجيش الروسي في اوغستوفو ذات المصير الذي لقيه الجيش الافرنسي في موقعة سيدان بالأمس»**.

**انطبقت كماشة الهجوم الألماني الواسعة على الجيوش الروسية، واطلق على هذه الموقعة اسم (موقعة مازوري الشتوية) بأمر القيصر امبراطور المانيا. وجرى احصاء عدد الأسرى الروس فبلغ (١٢٠) ألف أسير. وكان عدد القتلى كبيراً جداً. وغنم الألمان مائات المدافع. وأبيد الجيش الروسي العاشر ابادة شبه كاملة. وتم وضعه خارج القتال.**

**٥ ـ تطويق القوات الروسية في بولونيا.**

كانت بولونيا في سنة ١٩١٤ تشكل اقليماً محصوراً بين فكين متمفصلين في منطقة ـ كاتوفيتز ـ غرب ـ كراكوفي ـ. ويؤلف الفك الألماني مقاطعات سيليزيا وبوزناني وبروسيا الشرقية. كما يشكل الفك النمساوي مقاطعة غاليسيا. وفي هذا الوضع، فان نهر الفيستول يرسم على هذا المسرح من مسارح العمليات التواء أشبه ما يكون بحرف (س) اللاتيني. تقع فارصوفيا في مركزه. وتشكل الفتحة السفلى الحدود القائمة بين النمسا وهنغاريا (بين مدينتي كراكوفي وساندومير) حيث يصب في نهر الفيستول رافد نهر السان. ويرتكز رأس الفتحة الشمالية على مدينة برومبرغ الواقعة على مقربة من غرب مدينة بولتسك.

نجحت موقعة اوغستوفو في تصفية الجيش الروسي العاشر الذي كان يتهدد الجبهتين الألمانية ـ النمساوية على طرفي بولونيا. غير أن الخطر الروسي بقي في تعاظم مستمر، لا سيما بعد أن عمل الغراندوق نيقولاي

في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩١٥ على تطوير هجومه ضد الجيش النمساوي ـ الهنغاري. وكان هدفه الثابت هو اختراق جبال الكاربات للوصول إلى هنغاريا في محاولة لاخراج النمسا من دائرة الصراع. وكان لزاماً على القيادة الألمانية العليا احباط مخططات الغراندوق نيقولاي ـ مرة أخرى ـ مهما بلغ الثمن، ومهما كان حجم التضحيات.

كان من رأي لودندورف تنظيم عملية التفاف مزدوجة لتطويق القوات الروسية بالعمق وتدميرها. غير أن رئيس هيئة الأركان ـ فالكنهاين ـ كان يرى أنه بالمستطاع تدمير القوات الروسية. عن طريق اختراق جبهتها. وكتب بشأن هذا الموضوع ما يلي: «**ما كانت الغاية التي استهدفتها القيادة الألمانية العليا إلا اضعاف القوات الروسية الهجومية لتخفيف الضغط عن القوات النمساوية ـ الهنغارية، ويمكننا أن نأمل في بلوغ هذه النتيجة باجراء اختراق على الجبهة، لا بفعل اجراء عمليات حربية ضد الأجنحة الروسية**».

ونفذ فالكنهاين مخططه رغم معارضة لودندورف. وبدأت القوات الألمانية تقدمها يوم ٢ أيار ـ مايو ـ وجرى الاختراق على طول الجبهة المقابلة للجيش الألماني الحادي عشر، وعلى قسم من الجبهة المقابلة للجيش النمساوي ـ الهنغاري الرابع. واضطر الروس للتراجع العام اعتباراً من يوم ٦ أيار ـ مايو ـ على جبهة تزيد على ١٦٠ كيلومتراً. وقد كلفت عملية الاختراق القوات الألمانية ثمناً باهظاً جداً. حتى كادت الأعمال القتالية تتوقف. وتبدت النتيجة الأكيدة وهي أن كافة القوات الألمانية شغلت على الجبهة الشرقية في الوقت الذي كانت فيه الجبهة الغربية تقع تحت تهديد هجوم عنيف من قبل الحلفاء. وبالرغم من هذا الهجوم المتوقع بصورة أكيدة، فقد تم سحب فرقتين ونصف من الجبهة الغربية وأخذت فرقتان من قوات هندنبورغ ـ بروسيا الشرقية ـ فبلغ الجيش الألماني الحادي عشر من القوة أنه ضم ٢٢ فرقة مشاة. واستطاع هذا الجيش بفضل هذا الدعم أن يحتل رأس جسر جاروزولاف على نهر السان. وما عتم الروس أن جلوا عن مدينة برنزفيزل، وسقطت مدينة لامبرغ في قبضة القوات الألمانية يوم

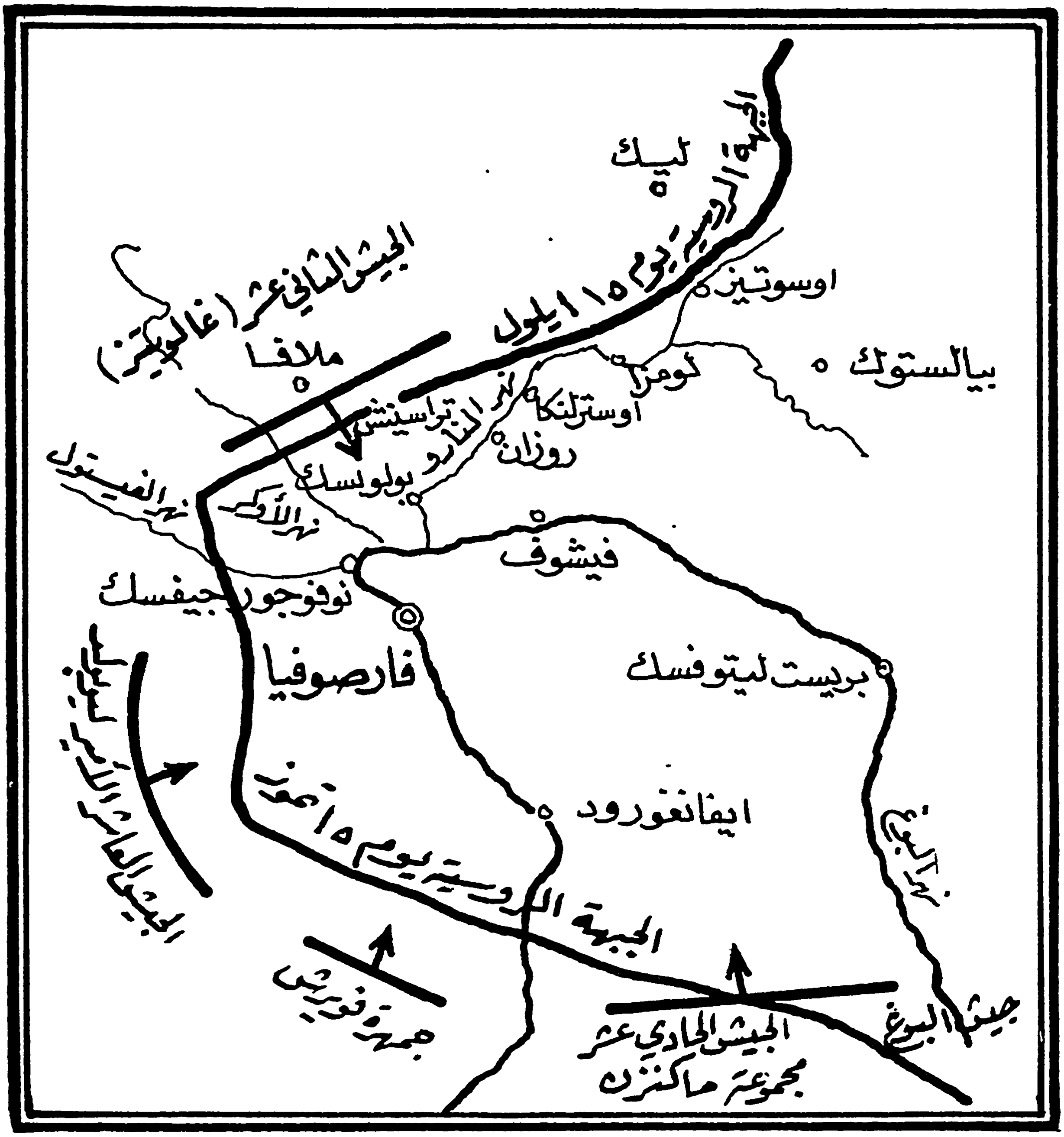
٢٢ حزيران ـ يونيو ـ. وكتب ـ فالكنهاين ـ معقباً على هذه النتيجة:

«استطاع الهجوم الكبير المنطلق في مناطق الكاربات أن يحقق نتائج هامة، فقد توقف على الأثر التهديد الموجه ضد هنغاريا. وأصبح بامكان القوات النمساوية ـ الهنغارية منذ الآن ارسال قوات كافية إلى الجبهة الايطالية، وتم بالفعل تهدئة رومانيا. ولقد نجح الجيش الألماني ارجاع الجبهة الروسية مسافة ٨٠ كيلومتراً إلى الوراء، على نهر الفيستول الأعلى. كما تمكن من ارجاع الجبهة الروسية أيضاً على اتجاه جاروزولاف لمسافة ١٥٠ كيلومتراً. إلا أنه على الرغم من ذلك فانه لم يتمكن من حسم الصراع. وكان لا بد من البحث عن وسيلة أخرى للعمل. وكانت القوات الروسية في مطلع شهر تموز ـ يوليو ـ تشكل بروزاً في غرب نهر الفيستول» وكان فالكنهاين يود استثمار هذا الموقف لتطويق القوات الروسية. وبينما كان قسم من الجبهة الألمانية على تماس مع هذه الكتلة، تم نقل الجيش الألماني التاسع، وجمهرة جيش فويرش أمامها، بينما جرى سوق كتلتين ثانيتين لمهاجمة القوات الروسية من الجنوب والشمال معاً. وتألفت كتلة الجنوب من مجموعة جيش ماكنزن ـ الحادي عشر ـ التي كلفت باجراء استدارة نحو الشمال للتقدم بين نهر الفيستول ونهر البوغ. وتشكلت كتلة الشمال من جمهرة جيش غالوتيز المدعم والذي انطلق من ملافا باتجاه بولوتسك. ولقد أراد فالكنهاين بموجب هذه العملية دعم جمهرة جيش غالويتز بقوات ترفع من مجموعة هندنبورغ. ولكن لودندورف أبدى معارضة شديدة حازمة حيث قال: «**سيتوقف الهجوم المنطلق على نهر النارو الأدنى حتماً بعد بدء الهجوم بقليل، لأنه بينما يتركز الجهد على اختراق دفاع هذا النهر، سيبادر الغراندوق الى زج قوات كبيرة متفوقة لمجابهته، الأمر الذي يرغمنا حتماً على خوض قتال جبهي بطيء وباهظ الثمن، ويؤدي بالتالي إلى توقف مجرى العمليات. وأنه لمن الأفضل إذن البحث عن حل آخر أكثر جدوى**» وأوضح لودندورف هذا الحل بقوله: «لقد فكرنا آنئذ من جديد بالعملية الحربية التي اعتمدنا فكرتها بعد حملة الشتاء، والتي كانت تبدو من الناحية النظرية أكثر تفوقاً، بسبب التصميم على إجراء تقدم بعيد المدى عن خط اوستيز ـ غرودنو، وحتى بعيداً عن

مدينة لومزا. لقد كان في وسع هذا التقدم تحقيق نتيجة حاسمة، لأنه كان يقودنا عن أقرب طريق إلى مؤخرة الجيش الروسي الذي كان في هذا الوقت يتراجع من غاليسيا الشرقية بين نهر الفيستول ونهر البوغ. لذا قمنا باستطلاع جانبي المستنقعات من اوسوفيتز، بغية ايجاد الممر المطلوب. وكان يتوجب الانتظار بعض الوقت، الأمر الذي جعل النتيجة غير ايجابية، كون الأرض غير مناسبة للاجتياز والعبور. ولأننا كنا نتوقع بالاضافة إلى ذلك مقاومة جادة وقوية على خط اوسوفيتز - غرودنو، والتي تبدت في الواقع قوية جداً، ويحتمل أنها كانت منيعة قوية الأشغال والتحكيم. وما كنا نعتقد بإمكان التغلب على هذه المقاومة بالاضافة إلى صعوبات جمة أخرى» غير أن ضغوط القيـادة الألمانيـة العليا حملت لودندورف على تبني وجهة نظرها. وكتب لودندورف بهذا الشأن ما يلي:

**«. . . أوشكت أن تبدأ العمليات الحربية المعدة على كوفنو، عندما استدعى جلالة الامبراطور الفيلد ماريشال هندنبورغ وأنا، في اليوم الأول من شهر تموز - يوليو - إلى المقر العام في بوزن. لقد قـرر الامبراطور بناء على اقتراح رئيس الأركان العامة، وبعد أن استمع الامبراطور إلى أقوال الفيلد مارشال هندنبورغ، قرر استئناف الهجوم في بولونيا. لا سيما وأن الجيش الثاني عشر بقيادة فون غالويتز، كان عليه أن يقوم بخرق جبهة العدو والاندفاع باتجاه نهر النارو، بينما يتقدم الجيش التاسع وجمهرة جيش فويرش باتجاه نهر الفيستول. وكانت الجيوش الحليفة ما تزال تتقدم مع ذلك بين نهر الفيستول ونهر البوغ. وكانت القيادة الألمانية العليا تعتقد أن باستطاعتها - بواسطة هذه العمليات - أن تعد ضربة قاضية للجيوش الروسية التي ما تزال بعد عند عقدة نهر الفيستول. ولذا اضطرت إلى إرجاء مشاريعي إلى ما بعد، أملاً أن أتمكن من تنفيذ عمليتي الحربية المقررة، عندما يصل القائد غالويتز إلى نهر النارو، ويتمكن من إجراء اندفاع جبهي في الوقت ذاته. . .».**

مرة أخرى، كان لودندورف يريد (المعركة الحاسمة) عن طريق حركة التفاف عميقة ومزدوجة تصل إلى مؤخرة القوات الروسية، في حين



ليك
الجبهة الروسية يوم ١٥ ايلول
الجيش الثاني عشر (غالويتز)
اوسوتيز
بيالستوك
لومزا
ملاقا
اوسترلنكا
نهر النارو
تراسينتش
روزان
بولوتسك
نهر البغ
نهر الفيستول
فيشوف
نوفوجورجيفسك
فارصوفيا
بريست ليتوفسك
ايفانغورود
الجبهة الروسية يوم ١٥ آب
الجيش العاشر
جبهة فوريش
الجيش الحادي عشر
مجموعة ماكنزن
جيش البوغ

ارادت القيادة العليا تنفيذ عملية محدودة ضد أجناب القوات الروسية. ولم يكن هناك مفر أمام قيادة بروسيا الشرقية، ورئيس هيئة أركان حربها لودندورف، من تبني خطة القيادة في ٢ تموز - يوليو - ١٩١٥. غير أن ذلك لم يمنع لودندورف من إعطاء رأيه: «إن اتجاه هجوم ملافا، كما كان يظنه المقر العام الأعلى، لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة ايجابية حاسمة اطلاقاً. لأنه كان باستطاعة القوات الروسية الكائنة على نهر الفيستول الافلات بفعل تراجع قصير، كون الهجوم المقرر محدوداً في سعته، محدوداً في قوته، محدوداً في استدارته أو التفافه». وقد جاءت خطة العمليات، ونفذت، كالتالي:

● - **المجنبة الشمالية**: وتكونت من الجيش الثامن، وإلى شماله الجيش العاشر.

● - **الكتلة الشمالية**: وتكونت من جمهرة جيش فون غالويتز مدعمة بأربع فرق اضافية سحبت من الجيش التاسع، وأطلق عليها اسم الجيش الثاني عشر الذي بلغ قوامه ١٧ فرقة. وحددت مهمة هذه الكتلة بالاندفاع على اتجاه فويرش - بولتوسك.

● - **الكتلة المركزية**: وتكونت من جيوش الأمير ليوبولد البافاري، والجيش التاسع، وجمهرة جيش فويرش، ومهمتها الاندفاع على اتجاه فارصوفيا - نهر الفيستول.

● - **كتلة الجنوب**: وتكونت من مجموعة قوات ماكنزن التي ضمت الجيش التاسع وجيش نهر البوغ، ومهمتها التحرك على محور شولم - بريست ليتوفسك.

● - **المجنبة الجنوبية**: وتكونت من الجيش الرابع النمساوي - الهنغاري.

.*. *. *.

بوغتت القوات الروسية مباغتة تامة عندما انطلقت الكتلة الشمالية بهجومها فاقتحمت المواقع الروسية واحتلتها سراعاً، واقتربت في يومي ١٦ و١٧ تموز - يوليو - ١٩١٥ من خطوط دفاع بولتوسك - روزان -

أوسترولينكا. وعلى الأثر سحب الغراندوق نيقولاي بسرعة قوات من الضفة اليسرى لزجها ضد الجيش الثاني عشر. فاضطرت قوات الكتلة الشمالية اعتباراً من هذه الفترة لخوض قتال جبهي تكبدت خلاله القوات الروسية خسائر فادحة. ونجحت القوات الالمانية بعد قتال استمر اسبوعاً من عبور نهر النارو في اليوم ٢٤ تموز ـ يوليو ـ كما وقعت مدينتا لأوزان وبولتوسك في قبضة قوات الهجوم الألماني. وحوصرت مدينة اوسترولينكا أيضاً، وقسم من مدينة توفوجورجيفسك على الضفة اليمنى لنهر البوغ (ورافد نهر الفيستول).

انسحبت القوات الروسية إثر هذه المعراك باتجاه فارصوفيا. وانطلقث قوات الأمير ليوبولد لمطاردتها أثناء هذا الانسحاب. واجتازت القوات الألمانية نهر الفيستول ـ في شمال مدينة ايفانغورود، وذلك يوم ٢٨ تموز ـ يوليو ـ ١٩١٥.

لم تتمكن كتلة الجنوب الاستمرار في التقدم كثيراً باتجاه الشمال، من جراء صعوبة الأرض، وتعذر تأمين الامداد والتموين، والمقاومة الضارية للقوات الروسية، فظلت بعيدة عن امكان الوصول إلى خط ايفانغورود ـ لوبلن حتى تاريخ ٢١ تموز ـ يوليو ـ. وقامت القوات الروسية بالجلاء (في ٤ آب ـ أغسطس) عن مدينتي فارصوفيا وايفانغورود. وكلف القائد بيزلر باقامة الحصار حول مدينة نوفوجيورجيفيسك بقوة قوامها أربع فرق من المشاة. وكان غالوفيتز يأمل في تطويق القوات الروسية التي تأخرت عن التراجع في منطقة فارصوفيا، وقد وجه لهذه الغاية جناحه الأيمن على مدينة فيشوف (على نهر البوغ) بيد أن الروس تمكنوا من الصعود إلى شمال هذه المنطقة.

● ـ المجنبة الشمالية (الجيش الثامن)

حاصر الجيش الثامن بعد سقوط اوسترولينكا مدينة ـ لومز ـ التي سقطت في قبضة القوات الألمانية يوم ٨ ـ آب ـ اغسطس ـ. واقتحم في ١٤ ـ آب ـ أغسطس مواقع كوفنو الدفاعية المتقدمة، واحتلها بعد مقاومة

ضارية. ودخل في اليوم ١٨ ـ آب ـ أغسطس ـ مدينة كوفنو. كما احتل في اليوم ١٧ ـ قلاع نوفوجيورجوفيسك الحصينة، وسقطت المدينة (نوفوجيورجوفيسك) في اليوم العشرين من آب. وقد مهد سقوط المدينة هذه لوقوع (٨٥) ألف أسير في قبضة القوات الألمانية، بالاضافة إلى (٧٠٠) مدفع. وكميات ضخمة من الامدادات والمواد التموينية. وأخلى الروس في اليوم ٢٢ آب ـ أغسطس ـ مدينة اوسوفيتز. وتوقفت مجموعة جيوش ماكنزن ومجموعة الأمير ليوبولد عن التقدم في اليوم ١٣ ـ آب ـ أغسطس ـ. وظهر أنه لا بد من دعم المجموعتين المذكورتين حتى تتمكنا من متابعة عملياتها. وقد رغب فالكنهاين في زج جمهرة جيش غالوفيتز بعد ارسال قوات دعم يتم سحبها من الجيش الثامن، غير أن لودندورف رفض هذا الحل بعناد رفضاً مطلقاً. وعلى كل حال، فقد تمكن ماكنزن من التحرك مع الجيش الحادي عشر من جديد، فوصل إلى مشارف ـ بريست ليتوفيسك ـ التي سقطت في قبضة الألمان في اليوم ٢٦ آب ـ أغسطس ـ. ثم تابع ـ ماكنزن ـ تقدمه باتجاه بينسك، مما ساعد الجيش التاسع بقيادة الأمير البافاري ليوبولد على استئناف تقدمه نحو ـ بارانوفيتش ـ التي كانت تشكل عقدة الخطوط الحديدية، حيث تركز مقر القيادة الروسية العليا مدة طويلة. وانقسمت الجبهة الألمانية في اليوم التاسع من آب ـ اغسطس ـ إلى مجموعتي جيوش يفصل بينهما نهري الفيستول والبورغ:

● ـ جبهة الشمال:

وتضم مجموعة جيوش هندنبورغ (جيش النييمن العاشر والثامن والثاني عشر).

● ـ جبهة الجنوب:

وتضم مجموعة أمير بافاريا ليوبولد (الجيش التاسع وجمهرة جيش فويرش)

اعتبر فالكنهاين، في نهاية شهر آب ـ أغسطس ـ أنه لم تعد هناك حاجة لمتابعة العمليات إلى ما هو أبعد من ذلك. فعمل على سحب

وحدات وقوات كبيرة من جيش ماكنزن لدعم الجبهة الغربية والجبهة الهنغارية. كما أنه سبق له أن سحب منذ فترة قصيرة قوات أخرى من الجيشين ١٢ و٨. وأخيراً وصل الجيش الثامن والجيش الثاني عشر بقيادة القائدين شوتز وغالويتز إلى منطقة غروندو، في مطلع شهر أيلول ـ سبتمبر ـ. ثم وصلت قوات الجيشين إلى مدينة ليدا الواقعة على خط فيلنا ـ بارانوفيتش في منتصف شهر أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٥. وكتب لودندورف عن هذه العمليات ما يلي: «**استغرقت هذه العمليات مدة شهرين، منذ بداية انطلاق الهجوم. واضطر الجيش الثاني عشر للقيام باستدارة طويلة من الجنوب. ألم يكن من الافضل بدلاً من هذه الاستدارة التي استغرقت وقتاً طويلاً، مبادرة الهجوم عبر لومزا ـ غروندو؟ أجل، لقد كان من الصعب القيام بمثل هذا التحرك بسبب صعوبة الأرض. بيد أن هذه العملية الحربية لو أطلقت باتجاه شمال غرودنو ارتباطاً مع سقوط كوفنو، لاستطاعت بسرعة كافية الوصول إلى هذه المنطقة، ولكانت أكثر جدوى ونتيجة، حتى ولو أنها لم تنفذ بكل القوات إلا في الأسبوعين الأولين من شهر آب ـ أغسطس ـ**. وتابع لودندورف نقده للعملية بقوله: أجل! لم تحقق هذه المناورة، كما تبناها القائد العام للجبهة الشرقية هندنبورغ، سوى تراجع لم يمهد لاضعاف القوات الروسية بدرجة كافية. لقد فرضت هذه المناورة على القوات الألمانية جهوداً هائلة، ولحقت بها خسائر كبرى، واستغرقت وقتاً طويلاً. ولم تكن النتائج التي تم انجازها معادلة لذلك كله. ولا ريب أن العمليات التي اقترحناها ـ هندنبورغ وأنا ـ كانت أقوم بكثير، وكان باستطاعتها الوصل إلى نتائج أفضل، وغايات أبعد، ولتكبد العدو خسائر أكبر بكثير من تلك التي تكبدها، ولما تطلبت العمليات تلك الفترة الزمنية الطويلة. ولقد أدركت القيادة العليا هذه الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان، وبعد ضياع الفرصة»...

**أخذ الجيش الألماني بعد ذلك في مجابهة صعوبات متزايدة يوماً بعد يوم، بسبب أعمال التدمير التي كانت تقوم بها القوات الروسية أثناء تراجعها، وبسبب صعوبات الامداد والتموين. وفي اليوم ٢٥ آب ـ**

**أغسطس ـ ١٩١٥، قرر قيصر روسيا انتزاع صلاحيات ممارسة القيادة العليا للجيوش الروسية من الغراندوق نيقولاي، وأخذ في ممارستها بشخصه، واعتمد القائد ـ الكسيف ـ رئيساً لهيئة الأركان العامة. وتم تنفيذ هذا القرار اعتباراً من يوم ٦ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ. وواجهت القيادة الألمانية العليا تحديات جديدة. فتقرر العودة لتنفيذ العمليات التي اقترحها لودندورف منذ البداية. وبدأ العمل في الاعداد للموقعة المعروفة باسم (موقعة فيلنا).**

## ٦ ـ موقعة فيلنا .

لم تحقق العمليات في بولونيا ما كانت تأمله القيادة الألمانية العليا . إذ استمر تهديد القوات الروسية للجبهة الشرقية . وقرر لودندورف في نهاية شهر آب ـ أغسطس ـ **١٩١٥**م استئناف العمل بخطته التي ما توقف عن التفكير في تنفيذها أبداً ، على الرغم من عدم توافر القوات الكافية للتنفيذ. وكتب لودندورف ما يلي : « أصبحت فكرة استئناف الاعمال القتالية في شرق نهر النييمن ، بمثابة فكرة ثابتة وأصيلة منذ منتصف شهر آب ـ أغسطس ـ وأخذت هذه الفكرة تزداد الحاحاً ، إذ ظهر لي أنه بات من المحال الوصول إلى جانب القوات الروسية المتراجعة عبر بولونيا . ولو فرضنا جدلاً أن ذلك كان في حيز التنفيذ ، فإنه من العسير الوصول إلى هذا التنفيذ إلّا بضربة عاجلة وموجهة على الاتجاه العام لخط كوفنو ـ فيلنا ـ مينسك . وكان لزاماً على الجيش العاشر القيام بهذا الهجوم بينما يعمل الجيش الثاني والجيش الثاني عشر ومجموعة جيوش الجنوب بقيادة الامير ليوبولد وماكنزن على مواصلة التماس مع العدو . وكان من المفروض أيضاً تغطية عمليات الجيش العاشر على الجانب الأيسر ، ونعني على شمال جانب الخط الحديدي المتوجه من ريغا إلى دونابورغ . والذي يشكل عقدة لعدد من الخطوط الحديدية القادمة من الشمال الشرقي ، ومن الشرق ، ومن جهة خطوط ( بولوتسك ـ مولودشنو ) و ( اورشا ـ بوريزوف ـ مينسك ) وهكذا كان على جيش النييمن مواصلة تقدمه على هدفه الأساسي وهو دونابورغ ، بينما تتابع جمهرات قوية من الخيالة الطريقين

الحديديين الآخرين ـ اللذين سبق ذكرهما ـ » كانت القوات الروسية تنتشر على جبهة مستمرة ، لا تشكل أكثر من ستارة رقيقة في شمال ـ شرق كوفنو ، حيث يتمركز في مواجهتها الجيش العاشر وجيش النييمن . وكان يجب اختراقها ودفع قواتها بعيداً عن ( فيلنا )[٣٣] وباتجاه دونابورغ ، بينما تعمل فرق الفرسان التي تعبر الثغرة للتقدم نحو بولوتسك في الشمال ، وعلى مينسك في الجنوب .

لقد عمل لودندورف على تقدير الموقف ، فذكر ما يلي : « ترى هل تكون العملية مثمرة كما هو متوقع لها ، لو نجحت القوات الروسية في تراجعها نحو الشرق ؟ لقد كان كل يوم يمضي علينا يضعف من أملنا في بلوغ هذا الهدف . وبالتالي، أما كان من الحكمة البالغة وفقاً لهذه الشروط أن نقنع باندفاع عبر أوليتا ـ اوراني ـ للوصول إلى ليدا؟ بيد أنني أعرضت تماماً عن هذه الفكرة لأن كافة المحاولات المشابهة التي اعتمدناها أثناء الهجوم الجانبي في حملة الصيف المنصرم ، لم تمهد إلى أية نتيجة مرضية ، ولم تؤد إلى فوز حاسم . ولذا تمسكت بفكرة العملية الكبرى التي يمكن الحصول معها على نجاح وافر ونتائج أوفى . وهكذا اضطررنا في هذه المرة أيضاً إلى أن نتصرف بدون تأكيد مطلق » .

وكتب ـ فالكنهاين ـ يوم ٤ أيلول ـ سبتمبر ـ : « لقد أحيط هندنبورغ علماً أنه في الثامن أو التاسع الجاري سيقوم سراعاً وتباعاً بعيد انجاز حركات الجيوش بهجوم يطلقه جناح الجيش العاشر المعزز على خط فيلنا ـ فيلكومير ، لاجراء التفاف على فيلنا من الشرق » .

لم يكن رئيس هيئة الأركان العليا ـ فالكنهاين ـ على ثقة من نتيجة هذه العملية الحربية الهامة ، بسبب عدم التناسب بين هدف العملية ، وبين الوسائط والقوى المتوافرة لتنفيذها ، ولهذا فقد عمل على الايحاء

---

(٣٣) فيلنا: مدينة من مدن الاتحاد السوفييتي حالياً، وهي عاصمة ليتوانيا : (VILNIUS, WILNO) LITUANIE (إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي في أوروبا الشرقية).

للقائد لودندورف بأن عمليته ليست إلاّ عملية ثانوية ، كما أعلمه في يوم ٤ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ بأنه سيسحب من مجموعة جيوش الشمال فرقتين بتاريخ منتصف أيلول . وأن هذه القوة ستسحب من الجبهة خلال فترة ثلاثة أيام تقريباً .

تجاوز لودندورف كافة المعوقات ، ومحاولات الاحباط ، فوضع مخططه للعمليات على أساس تنظيم كتلة قوية للصدمة تستطيع اختراق الجبهة الروسية للوصول إلى مؤخرة ميمنة القوات الروسية في نقاط فيلنا ، ومولوتشو ، ومنسك . والتي تؤلف خطوط التموين الرئيسية الثلاث لهذه الجيوش ، من أجل اعاقتها ومنعها عن التراجع إلى الوراء . وهكذا تظل كتلة الصدام جاهزة لسحق فيالق القوات الروسية تباعاً . ومنعها من القيام باجراء أي عمل منظم ، أو جهد منسق ومتكامل ، وأخيراً دفع بقاياها نحو الجنوب حيث يمكن تطويقها نهائياً على جوانب مستنقعات ( بيريبت ) من قبل كافة القوات الألمانية الضاربة .

كان لودندورف على ثقة كبيرة بالنصر ، رغم ضعف قوته العددي ، وكان مصدر ثقته هو توافر الإمكانات لإثارة الفوضى والاضطراب على مؤخرة الجناح الايمن للقوات الروسية ، ومباغتة القوات وقياداتها بما يمنعها عن التحرك أو المقاومة . وللوصول إلى هذا الهدف كان على فرق الفرسان لكتلة الصدام ، المدعمة بقوة من المشاة المنقولة وراءها فوراً ، أن تندفع عبر الثغرات التي تحدثها كتلة الصدام . وما إن تصل إلى مؤخرات العدو حتى تعمل على الإنتشار كالمروحة في الفراغ القائم ، وتعمل بالتالي على تدمير الخطوط الحديدية على أقصى مسافة ممكنة . وكان الشرط الأساسي للنجاح المؤكد يتوقف على تقدم كتلة الصدام بسرعة كبيرة بحيث لا تستطيع القيادة الروسية منعها من احداث الثغرات المطلوبة ، وذلك بزج قوات ضد هذه الكتلة الضاربة ، ونظمت في النهاية خطة العمليات والقوات المنفذة لها على النحو التالي :

**المجنبة الشمالية** : وتتكون من جيش النيمن بقيادةفون بولو ، وتضم ٩ فرق مشاة و٥ فرق فرسان .

**كتلة الصدام :** وتتكون من الجيش العاشر بقيادة فون ايخورن ، وقد بلغت قواتها في البداية ١١ فرقة مشاة ، و٣ فرق فرسان ، ثم أضيف إليها فيها بعد فرقتان مشاة أخريتان ، وكان مجموعها أخيراً ١٣ فرقة مشاة و٣ فرق فرسان .

**المجنبة الجنوبية :** وتتكون من الجيش الثامن بقيادة القائد فون شولتز ، ومن الجيش الثاني عشر بقيادة القائد فون غالويتز ، وقد ضمت ١٧ فرقة مشاة . وانتظمت على ميمنة هذه المجنبة امتداداً ، مجموعات جيوش الأمير البافاري ليوبولد، وفون ماكنزن .

أضيف إلى هذه الكتلة ثلاث فرق من قوات حصار ـ نوفوجور جيفسك ـ بعد استسلام هذه المواقع يوم ٢ آب ـ أغسطس ـ . كما أضيف إليها عدة فرق من الجيش الثاني عشر الذي كان عدد افراده أكبر بكثير من المهمة التي أوكل إليه أمر تنفيذها على المجنبة . وقد تعرضت كتلة الصدام لغارات الفيالق الروسية التي زجتها قيادتها باتجاه ـ فيلكومير ـ قبل أن تباشر هجومها في الموعد المحدد لها . وكتب لودندورف بشأن هذه المباغتة ما يلي : « **لقد جابهنا بالفعل ، من جديد ، أياماً شديدة التوتر ، وكنت أود بكل رغبة استباق موعد البدء بتنفيذ الأعمال القتالية ولكن مردود خط حديد فيربالن ـ كوفنو ما كان ليحقق الغرض الذي رميت إليه . لأن حالة هذا الخط لم تكن مؤهلة لعملية نقل ضخمة كهذه . وقد تطلبت عمليات النقل فترات طويلة . وكانت حالة الطرق أيضاً سيئة ، فعرقلت سير مثل هذه العمليات . . .** » .

. * . * . * .

**مسيرة الأعمال القتالية :**

انطلقت القوات يوم ٩ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٥ . وتطورت الأعمال القتالية كالتالي :

**كتلة الصدام :**

بذل الجيش العاشر في دفع قواته للتسلل نحو اليسار بهدف



نيذاو
ريغا
استونيا
كورلاند
ميتاو
فريدريكشتاد
المقياس
جاكوبشاد
نهر الدونا
دونابورغ
شافلي
نوفوالكسندروسك
ميمل
بولوتسك
روستاني
فيذزي
تيلسيت
كوفنو
روستافي
كونيسبرغ
نهر البريغل
فيلنا
نهر فيليا
ايلسنتربورغ
اوليتا
سوالكي
سمورغوني
فيلايكا
بوريسوف
اورشا
ليدا
مينسك
اوسوفيتز
اوغستوفو
غرودنو
لومزا
اوسترلينكا
ملاوا
بياليستوك
بارونوفيتس
يوبرويسك
نوفوجورجيفسك
سلونيم
فيلكوفيسكي
فارصوفيا
نهر الفيستول
بينسك
بريست ليتوفسك

الالتفاف على مدينة فيلنا من الشمال ، وتجاوز الميمنة الروسية . وتقدمت الميسرة يومي ٩ و١٠ ـ ايلول ـ سبتمبر ـ في اندفاعها الأولي ، وحققت بالفعل نجاحاً بالغاً . بيد أن سرعة هذا الاندفاع تناقصت في الأيام التالية ، بنتيجة مقاومة العدو الشديدة والمتعاظمة . غير أن الميمنة تابعت تقدمها السريع على مدينة ( اوراني ) ومركزها على ( تروكينوفو ) واقتربت وحدات الفرسان من طريق فيلنا ـ دونابورغ .

**المجنبة الشمالية :**

انطلق الجيش الثاني في الجنوب يوم ١٢ ـ ايلول ـ سبتمبر ـ وخاض معاركه في جنوب غرودنو ، على مستوى مجموعات جيوش الأمير ليوبولا ، والقائد ماكنزن .

**جيش النييمن :**

تقدم جيش النييمن بسهولة على اتجاه دونابورغ ـ جاكوبشتات ، ووصل جناحه الأيسر حتى اوزياني على طريق كوفنو ـ دونابورغ ، ودفع العدو بعد جهد قليل عن نوفو ـ الكسندروفسك ، حيث أمكن تثبيته على رأس جسر دونابورغ ـ جاكوبشتات ، وحيث جرت هنا معارك عنيفة وطويلة .

**الجيش العاشر :**

حقق الجناح الأيسر للجيش العاشر ، الذي كان يوجه ضربته إلى جنوب فيلكومير ، كسباً أرضياً واسعاً في اليومين الأولين عند فيلنا صعوداً من النهر ، ولكنه لم يتمكن بالتالي التقدم إلّا بصورة بطيئة لدفع الروس بعيداً عن النهر .

**وحدات الفرسان :**

استطاعت فرق الفرسان الضاربة بين الأجنحة الداخلية للجيش الروسي ، والممتدة من دونابورغ حتى فيلنا التقدم بسهولة . وعملت في بداية الأمر على شق طريق لها ، بعد مجموعة من المعارك المتتالية عبر منطقة

البحيرات بين مدينتي ( فيلكومير ) و ( سفتيزياني ) ونجحت في احتلال هاتين المدينتين في يوم ١٣ - ايلول - سبتمبر - . ثم ما لبثت هذه الفرق أن قامت بالتفاف على ( سمورغوني ) و ( مولوتشنو) وخط حديد ( فيلنا - مولوتشنو - بولوتسك ) الواقع في منتصف الطريق الواصل بين المدينتين اللتين سبق ذكرهما .

تمكنت فرق فرسان الجيش الثامن بدورها أيضاً من المضي قدماً في تقدمها السريع فوصلت اعتباراً من يوم ١٤ - ايلول - سبتمبر - إلى مدينة ( سمورغوني ) الواقعة إلى الغرب من فيلايكا . وقد وجد الجناح الايمن الروسي نفسه ( في فيلايكا وشرق غلوبكويه ) قيد تهديد شديد على نهر الفيليا ، شمال شرق مدينة فيلنا . وتم احتلال خط الحديد اورشا - مينسك في منطقة بوريسوف .

بذلك الجيش العاشر جهده للتسلل نحو الجناح الايسر للقوات الروسية ، فعمل على القيام باستدارة صاعداً نحو الفليا ، على سمورغوني ، وعلى جنوب بحيرة فيشنيف ، وعلى فيلايكا مباشرة . وأثقلت هذه التحركات كاهل القوات الألمانية بنتيجة ما تعرضت له من صعوبات كثيرة وعقبات متتالية ، وزاد من تلك الصعوبات والعقبات سوء الأحوال الجوية ، وحال الطرق الرديئة . وعلاوة على ذلك كله ، فقد عرفت القيادة الروسية مبلغ الخطر الذي بات يتهدد قواتها ، فعملت على زج قوات كبيرة دفعتها من شمال المنطقة وجنوبها إلى شرق دونابورغ ، بواسطة الخطوط الحديدية . ولما لم يكن باستطاعة قوات المشاة الألمانية القيام بدور الخيالة ، أو استبدالها في المواقع المتقدمة التي وصلت إليها ، ولما كانت نيران فرق الفرسان ضعيفة ، فقد فشلت في المحافظة على سمورغوني . ونجحت القوات الروسية في انتزاع هذه المدينة من قبضة فيلق الفرسان الأول ، على الرغم من المقاومة الضارية التي أبدتها قوات الفرسان في الدفاع عن المدينة .

تفاقمت وضعية الجيوش الروسية في ليتوانيا في خطورتها ، وتدهور موقفها على الرغم مما حققته في هجماتها المضادة - المعاكسة - . وتقدم

الألمان في شمال شرق فيلنا بتسارع للوصول إلى دومينسك عبر فولكومير . ووصلت طلائعهم المتقدمة إلى مقربة من سفنتسياني على الخط الحديدي الذي يشكل الشريان الوحيد الذي يربط ( فيلنا - بدومينسك ) و ( بسكوف - بيتروغراد ) ودارت في الجنوب رحى معارك عنيفة طاحنة ، على مصب نهر الفيانكا ونهر النييمن . ووجه الألمان تهديدهم إلى ليدا حيث الطريق الكبرى ( فيلنا - بينسك ) و ( توسك - فيلنا ) . وأخذ الروس يتراجعون بسرعة على امتداد الجبهة الواسعة من ساحل البلطيق حتى نهر الدينستر . وسقطت مدينة فيلنا يوم ١٨ - أيلول - سبتمبر - في قبضة القوات الألمانية . كما سقطت مقاطعة ليتوانيا بكاملها في قبضتهم .

ولكن . وعلى الرغم مما أمكن تحقيقه ، فقد توقفت حدة الهجوم الألماني ، وكان استئناف التقدم يتطلب زج قوات جديدة . وكان ذلك أمراً من المحال تحقيقه ، إذ أن القيادة العليا كانت منصرفة كلياً لعلاج الموقف المتأزم على الجبهة الغربية . وكانت في سبيلها لا لدعم الجبهة الشرقية ، وإنما لسحب بعض الفرق منها . ووصلت الأعمال القتالية إلى نهايتها - وصحيح أن القوات الروسية قد اضطرت للانسحاب حتى نهر فيلنا ، وصحيح أيضاً أنها تكبدت خسائر فادحة ، إلاّ أنها كانت تمتلك خزاناً كبيراً من القوى البشرية . ولهذا فإن النتيجة العامة لم تكن أكثر من انتصار محدود لصالح القوات الألمانية .

## ٧ - لودندورف على جبهة الغرب

حاولت قوات الحلفاء الخروج من المأزق الذي تعرضت له على جبهة الغرب بطرائق عديدة ، منها افتتاح جبهات جديدة للتخفيف عن الضغط الذي كانت تتعرض له من قبل القوات الألمانية . ( مثل افتتاح جبهة الشرق ورومانيا والقوقاز والسويس ) أو باتباع وسائل الإبادة الاجماعية ( حرب الغازات الخانقة ) غير أن ذلك لم يحل مشكلة الجمود المسيطر على الجبهة الغربية . وبقيت حرب الخنادق مستمرة في استنزاف القوى والوسائط ، وتمكنت النار من تدمير الحركة . فأستمرت أعمال

الحفر عميقاً في الأرض . وكان ذلك هو الموقف الذي جابهه لودندورف مع قائده هندنبورغ عندما نقل إلى جبهة الغرب في محاولة لإعادة القدرة الحركية ( المناورة ) للأعمال القتالية ، غير أن موقف القوات الألمانية لم يكن جيداً ، إذ أخذت مواردها الاقتصادية بالنضوب ، كما أخذت قدراتها القتالية في التناقص .

عكف لودندورف على دراسة اسباب فشل هجمات الحلفاء ، ووصل إلى نتيجة وهي : « **ضرورة التفكير في التكتيك قبل الاهداف الاستراتيجية البحتة حتى لا تعطي محاولة تنفيذها أية فائدة إذا كان النجاح التعبوي - التكتيكي - قبلها متعذراً** ». وكان هذا التفكير صحيحاً لعدم توافر امكانات تسمح بالهجوم الاستراتيجي غير المباشر . ورافق التكتيك الألماني الجديد في التخطيط ظهور استراتيجية جديدة ، لأن هذين العاملين يؤثران على بعضهما تأثيراً متبادلاً . ويستندان على مبدأ القيام بالجهد على خط المقاومة الأضعف . ولكن ظروف سنة ١٩١٨ كانت تعيق حرية استخدام خط المقاومة الأضعف . ولم يحاول لودندورف القيام بهذا العمل أصلاً . كما أن إجراء صدمة مباغتة ضد عدو منتشر على خط قتال يحاذي خط الخنادق ، واستغلال هذا الاختراق بسرعة يؤديان حتماً إلى هدف لا يمكن الوصول إليه عادة إلّا باستخدام أقل الخطوط توقعاً للهجوم عليها . وقد جرت مناقشات مستفيضة لاختيار المنطقة التي يمكن لها ضمان توافر مثل هذه الشروط . فوقع الاختيار على جبهة تمتد على مسافة ٩٠ كيلومتراً تقريباً . بين أراس والافير . لتهجم بها الجيوش ١٧ و١٨ و٢ . وقد اختار لودندورف هذا القسم من الجبهة ، لأن الأرض فيه صالحة للتقدم ، كما أنها ضعيفة في تحصيناتها ، وتدافع عنها قوات ضعيفة محرومة من الاحتياط ، وعلاوة على ذلك كله ، فقد كانت تقع فيها نقطة الاتصال بين الجيوش الفرنسية والبريطانية . وكان لودندورف يبغي تحطيم هذا الاتصال وسحق البريطانيين الذين ضعفت قواتهم بعد أن طال صراعهم في الايبر . لقد كان هذا القطاع ضعيفاً نسبياً في الواقع ، ولكن حكم الألمان كان سطحياً وتعوزه الدقة ، إذ كان ثلث الخط الشمالي صلباً ومتماسكاً ،



انتصرت النار الكثيفة والمركزة على الحركة. فتجمدت الأعمال القتالية وتحولت الحرب العالمية الأولى الى حرب خنادق ومواقع.



تطورت الدبابة واستخدمت للقضاء على الجمود الذي سيطر على جبهات القتال مع الحرب العالمية الأولى.




الجبهة الغربية للحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

وينتشر فيه الجيش البريطاني الثالث المكون من ١٤ فرقة منها ٤ فرق في الاحتياط . كما كانت معظم القوات الاحتياطية البريطانية تدعم هذه المجنبة ، والتي كان من السهل تدعيمها أيضاً بواسطة الجيوش البريطانية الأخرى الموجودة في الشمال ـ وهذا ما حدث أثناء القتال ـ وكان ثلثا القطاع الأخران يرابط فيهما الجيش الخامس البريطاني المؤلف من خمس فرق تقف في مواجهة الجيش الألماني الثاني . أما الطرف الجنوبي المقابل للجيش الألماني ١٨ ، فكانت ترابط فيه ٧ فرق بريطانية منها فرقة في الاحتياط .

أعطى لودندورف للجيش ١٧ المتمركز قرب آراس ١٩ فرقة للهجوم الرئيسي الذي كلف به جناحه الأيسر فقط ، على جبهة عرضها ٢١ كيلومتراً تقريباً . وتقرر عدم مهاجمة القطاع البريطاني الذي يبلغ طوله ثمانية كيلومترات تقريباً في اتجاه كامبري . بل الضغط عليه بقوة فقط . وكان في مواجهة هذا القطاع فرقتان ألمانيتان من الجيش الثاني الذي كان يضم ١٨ فرقة ، ومعداً للهجوم على الجناح الأيسر للجيش البريطاني الخامس ( ٥ فرق ) على جبهة عرضها ٢١ كيلومتراً . وفي أقصى الجنوب جاء الجيش ١٨ من طرفي سانت كوانتان ، ولم يعطه لودندورف سوى ٢٤ فرقة ليهاجم على جبهة عرضها ٤٢ كيلومتراً تقريباً . وخالف لودندورف أفكاره ، حيث وزع قواته تبعاً لتوزيع قوات خصمه ، بدلاً من أن يحشدها ضد أضعف النقاط . ولقد أكدت تعليماته هذا الاتجاه الذي اتخذه .

كان محور الجهد الرئيسي للقوات الألمانية يتركز على شمال السوم . وكان على الجيشين الألمانيين ١٧ و٢ ، اختراق جبهة الحلفاء ، ثم طرد البريطانيين نحو الساحل ، وكان الجيش ١٨ والنهر يغطيان مجنبتي قوات الاختراق والهجوم . ثم اجري تعديل المخطط أثناء مسيرة العمليات تعديلاً جوهرياً ، لأن الهجوم نجح في الامكنة التي لم تكن تهم لودندورف ، رغم كونها على خط المقاومة الأضعف ، ولم ينجح في الاتجاه الذي كان يرغبه أشد الرغبة .

انطلق الهجوم الألماني يوم ٢١ ـ آذار ـ مارس ـ ١٩١٨ . وساعد

ضباب الصباح على تحقيق المباغتة . وفتحت عملية اختراق جبهة الحلفاء جنوب السوم بنجاح لنقص الوحدات المدافعة . وفشل الهجوم قرب اراس ، وأثر هذا الفشل على الهجوم شمالي النهر ، كما كان متوقعاً ، وخالف لودندورف مبدأه مرة ثانية ، وأمضى الأيام التالية وهو يحاول تجديد الهجوم على موقع آراس المنيع ، واعتبر هذا الاتجاه هو محور جهده الرئيسي . وفي هذا الوقت كان الجيش الألماني ١٨ يتقدم نحو الجنوب ، دون أن يقابل مقاومة جدية . وفي ٢٦ ـ آذار ـ مارس ـ أرسل له أمراً بعدم اجتياز نهر آفر ، والسير بخطى تلائم سير القوات المجاورة المؤلفة من الجيش الثاني الذي كان مرغماً بدوره على ابطاء تحركه بسبب النجاح المحدود الذي صادف الجيش ١٧ قرب آراس . وهكذا ظهر لودندورف وهو يحاول ضرب الجيش البريطاني بأي ثمن ، وذلك بتدمير أفضل مواقعه الدفاعية بواسطة هجوم مباشر ، بدلاً من أن يندفع على الخط الأقل مقاومة جنوبي السوم .

ضعف الهجوم الألماني شمالي السوم في ٢٦ آذار ـ مارس ، وكان ثمن المكاسب غالياً . أما في جنوب النهر فقد وصل الجناح الأيسر للجيش الثاني إلى هدفه ، ولكن تقدمه اصطدم بعقبات كثيرة ، ذلك لأنه كان يزحف في أراضي السوم التي سادها الدمار والتخريب . في حين كان الجيش ١٨ يندفع إلى الأمام من غير اعاقة تذكر . وأمام هذا الموقف وضع لودندورف مخططاً جديداً دون أن يهمل مخططه القديم نهائياً . وأعطى الأمر في ٢٨ ـ آذار ـ مارس ـ للجناح الأيمن للجيش ١٧ للقيام بهجوم آخر مباشر على المرتفعات قرب آراس . وانطلق الجيش السادس في الشمال بهجومه بين فيمي ولاباسييه . وظهر أن الموقف في جنوبي السوم بات ملائماً ، فكلف الجيش الثاني بمهمة رئيسية هي الوصول إلى أميان . وأصدر تعليماته للجيش الثامن عشر بعدم الانـدفاع إلى الأمـام ، والاستدارة حول مجنبة المقاومة في أميان ، إلا إذا تلقى أمراً جديداً . وحددت مدينة أميان هدفاً رئيسياً من جديد ، وكان احتلالها يقتضي القيام بهجوم مباشر على أرض غير ملائمة .

انطلق هجوم آراس في يوم ٢٨ ـ آذار ـ مارس ـ ١٩١٨ ، دون الاعتماد على المباغتة أو على ستارة الضباب ، وفشل أمام مقاومة الجيش البريطاني الثالث ، وعندئذ تخلى لودندورف عن فكرته الأساسية ، ووجه نحو ( أميان )[٣٤] معظم ثقل قواته ، ودعمه ببعض القوات الاحتياطية الموجودة لديه . ولكنه أمر حينئذ الجيش الثامن عشر بالتوقف في مكانه لمدة يومين ، وعندما تجدد الهجوم في يوم ٣٠ ـ آذار ـ مارس ـ كانت الوحدات المهاجمة غير كافية عددياً ، فلم تحقق سوى نجاح قليل أمام مقاومة توافر لها الوقت الكافي لكي تستعد وتقوي تحصيناتها بالاسمنت الفرنسي الاحتياطي الذي استخدم في تلك المنطقة بكميات ضخمة لتقوية التحصينات . ووصلت المدفعية الألمانية في ذلك اليوم لأول مرة بعد المشاة وتدخلت في المعركة بعنف . وفي ٤ نيسان ـ ابريل ـ قامت ١٥ فرقة ألمانية ـ منها ٤ فرق جديدة ـ بهجوم آخر لم يؤد إلى نجاح يفوق نجاح سابقه . وترك لودندورف أميان بدلاً من الاندفاع في قتال ينهك قوى جيوشه ، ولم يحاول مطلقاً الاستفادة من قدرته الهجومية لتوسيع الثغرة بين الجيشين الفرنسي والبريطاني . وقد أبلغ القائد الفرنسي ـ بيتان ـ القائد الانكليزي ـ هيغ ـ أنه إذا استمر التقدم الألماني على هذا الخط فينبغي إعادة القوات الاحتياطية الفرنسية نحو الجنوب الغربي لتغطية باريس . وكان أقل جهد إضافي حينئذ يكفي لتحويل هذه الثغرة الصغيرة إلى فجوة هائلة . ويقدم هذا الوضع شاهداً جديداً على أن نقطة الاتصال بين جيشين هي أفضل موقع يمكن توجيه الهجوم ضده بنجاح . ويكون هذا الهجوم أشد خطورة إذا كان هذان الجيشان ملتصقين بعضهما ببعض أكثر مما لو كانا بعيدين عن بعضهما ، ثم قرر لودندورف القيام بهجوم جديد في الشمال بمعظم قواته الاحتياطية التي تواجه آراس ، رغم عدم تأكده من نجاح هذا الهجوم . ولقد تقرر هذا الهجوم بين لاباسيه وارمانتيير لتوسيع

(٣٤) أميان : (AMIENS) مدينة كانت قديماً عاصمة البيكارديين (PICARDES) وهي في مقاطعة السوم ، وتقع على نهر السوم. وتبعد مسافة ١٣٠ كيلومتراً عن العاصمة باريس. وتشتهر بكنائسها ـ كاتدرائياتها ـ التي تعود إلى أيام القوط.

نطاق الاختراق ، في وقت متأخر ، ولم يكن جاهزاً إلّا في ٩ نيسان ـ ابريل ـ واعتبر حتى ذلك التاريخ عملية مشاغلة . واستفاد الهجوم من ضباب الصباح ، وأمكن له تحقيق نجاح غير متوقع في بداية الأمر ضد قطاع ضعيف ، مما دفع لودندورف إلى تحويله إلى عملية واسعة النطاق . وفي ٩ نيسان ـ ابريل ـ هاجمت ٩ فرق ألمانية تدعمها ٥ فرق احتياطية على جبهة عرضها ١٧ كيلومتراً تقريباً جنوبي ارمانتيير ، حيث كانت تدافع فرقة برتغالية وفرقتان بريطانيتان . وفي اليوم التالي ، هاجمت ٤ فرق ألمانية أخرى تحت ستار الضباب شمالي أرمانتيير على جبهة عرضها ٧ كيلومترات . وعندما أخذت المقاومة شكلاً قوياً ، زج الألمان بفرق أخرى حتى بلغ عدد الفرق التي دفعت إلى خطوط النار ـ في الأسبوع الأول من أيار ـ مايو ـ زهاء ( ٤٠ ) فرقة .

وصل لودندورف في النهاية إلى حرب الانهاك ـ الاستنزاف ـ . غير أن البريطانيين وجدوا أنفسهم في الوقت ذاته ، مطرودين من مواقعهم وفي حالة يائسة بيد أن مقاومتهم نجحت في ايقاف اندفاع الألمان الذين لم يتقدموا أكثر من ١٥ كيلومتراً في اتجاه ملتقى الخطوط الحديدية الهام في مدينة كازبروك . قرر لودندورف في ١٧ نيسان ـ ابريل ـ ١٩١٥ ، القيام بهجوم على شكل كماشة تحيط بمدينة ـ ايبر ـ من طرفيها . غير أن العدو لاحظ هذه الحركة وتمكن من احباطها . وعاد لودندورف بعد فشل هذه الخطة إلى القيام بهجوم مباشر جنوبي الايبر ، حيث وصلت قوات احتياطية فرنسية جديدة لتحتل قطاعاً من الجبهة ، ووقع الهجوم في ٢٥ نيسان ـ ابريل ـ على نقطة اتصال الحلفاء فمزقها في مونت كيميل . ولم يستثمر لودندورف هذا الاختراق خوفاً من وقوع هجوم مضاد . وكان منذ بعض الوقت يبدو أنه يحرص على الاقتصاد في استخدام قواته الاحتياطية . ولكن هذا الاقتصاد لم يكن كافياً ، علاوة على أنه جاء متأخراً ، فلم يحقق له نجاحاً حقيقياً . ولما فشل هجومه الأول أصبح أمله في نجاح الهجوم الثاني ضعيفاً . وبعد محاولة أخيرة اوقف الهجوم في ٢٩ نيسان ـ ابريل ـ وكانت فكرته عدم ايقاف العمليات قبل الوصول إلى جذب القوات الاحتياطية

الفرنسية إلى الجبهة بشكل يسمح له بضرب القوات البريطانية في الفلاندر ضربة قاضية . وكان لودندورف قد بدأ قبل ذلك في اعداد هجوم في قطاع ( شومان دودام )[٣٥] بين مدينتي ( سواسون ) و ( ريمس ) على أن يتم التنفيذ في ١٧ نيسان ـ ابريل ـ ولكن الاستعدادات استمرت حتى ٢٧ أيار ـ مايو ـ . وكان سبب هذا التأخير هو امتداد فترة الهجوم الألماني في ـ الفلاندر ـ وما نجم عن ذلك من انهاك لقوات لودندورف الاحتياطية ، واستنزاف لقدراتها . واستطاعت استخبارات القيادة العامة الأميركية معرفة مكان الهجوم تقريباً وموعده . فحذرت حلفاءها . غير أن تحذيرها لم يؤخذ بعين الاعتبار إلّا عندما أكده أسير حرب ألماني في ٢٦ أيار ـ مايو ـ بعد فوات الأوان . وكانت فرصة دعم الوحدات قد ضاعت ، ولم يعد أمام قيادة الحلفاء سوى انذار الوحدات ، وإن كانت قد تمكنت على الرغم من ذلك ، من تحريك القوات الاحتياطية . وفي صبيحة اليوم التالي ، قامت ١٥ فرقة ألمانية تدعمها موجة ثانية من ٧ فرق بهجوم ساحق على جبهة عرضها ٣٦ كيلومتراً تقريباً ، وتدافع عنها ٥ فرق فرنسية وبريطانية و٤ فرق احتياطية . وساعد الضباب والدخان هذا الهجوم فحطم القوات المدافعة عن ( شومان دو ـ دام ) وعبر نهر آين بسرعة ، ووصل في يوم ٣٠ أيار ـ مايو ـ إلى نهر المارن . وحصل لودندورف هنا أيضاً على نصر جزئي لم يكن مستعداً له ، كما لم يكن راغباً فيه . لقد أراد هذا القائد الاستراتيجي أن يباغت عدوه ، فبوغت . إذ جذبت هذه البداية الناجحة جزءاً كبيراً من قواته الاحتياطية إلى ذلك المكان ، ففقدت بذلك كل تأثير فعال ، لأنها عجزت عن مجاراة القوات الاحتياطية للحلفاء في هذا السياق . ويستحق هذا النجاح الأولي الذي حققه الألمان التأمل والملاحظة ، إذ أنه يبدو بمثابة نتيجة لتوجه انتباه الحلفاء إلى أماكن أخرى ، وإلى أن الهجوم قد وقع على خط المقاومة الأضعف ، فضلاً عن افتقار

---

(٣٥) شومان دو ـ دام : (CHEMIN DES DAMES) طريق يمر على ذرى جبال الأيسن، فيما بين الايسن وآييت AILETTE. وكان هذا الطريق ـ الممر ـ مسرحاً لمعارك ضارية طوال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨).

القيادة الفرنسية إلى الادراك السليم ، فقد أصرت على تكتيل المواضع الأمامية ، كأنما كانت تريد أن تجعلهم لقمة سائغة للمدافع الألمانية. وكانت مدفعية الحلفاء والقوات الاحتياطية المحلية ، ومراكز قيادة الدفاع ، كلها قريبة من الجبهة ، فلما اندفع الألمان بهجومهم ، أدى ذلك إلى انهيار الحلفاء انهياراً تاماً . وحصل الهجوم بذلك على المباغتة التعبوية ـ التكتيكية ـ التي فقد بعضها عند انطلاقه . **ولما كان هدف كل مباغتة هو تحطيم توازن الخصم ، فإن النتيجة واحدة ، سواء سقط هذا الخصم في الفخ المنصوب له وهو مغمض العينين ، أم سمح للآخرين بأن يخدعوه وهو مفتوح العينين .**

في هذه اللحظة فتح لودندورف في جبهة الحلفاء جيبين كبيرين وجيباً صغيراً ، وحاول بعدئذ تدمير نقطة الاتصال في منطقة ـ كومبيين ـ الواقعة بين مدينة أميان ونهر المارن . ولكن المباغتة كانت معدومة . وفي ٩ حزيران ـ يونيو ـ تم الهجوم على الجانب الغربي من هذه المنطقة ، ولكنه جاء متأخراً ، فلم يتوافق مع الهجوم المتقدم على جانبها الشرقي . ثم تبع ذلك توقف لمدة شهر . وكان لودندورف يبغي القيام بضربة حاسمة في بلجيكا ضد البريطانيين ـ وهي ضربة كان يفكر فيها منذ مدة طويلة ـ ولكنه قدر أن قواتهم الاحتياطية لا تزال كبيرة فيها ، فقرر القيام بعملية مشاغلة جديدة . وكان يود القيام بهجوم عنيف في الجنوب لجذب القوات الاحتياطية البريطانية هناك ، ولكن فشله في تدمير نقطة الاتصال في كومبيين ، دفعه إلى تطبيق الطريقة ذاتها في الشرق بمهاجمة مدينة ( رانس ) من جهتين . ولكنه وجد أنه في حاجة إلى استراحة حتى يستعيد بعضاً من قوته ، ويستعد ، وجاءت هذه الفترة وبالاً عليه ، إذ أنها أعطت الفرنسيين والبريطانيين الوقت اللازم لتعويض خسائرهم ، كما أعطت الامريكيين الوقت الكافي لاعداد قواتهم .

**قد تكون نجاحات لودندورف التعبوية ـ التكتيكية ـ سبباً من أسباب فشله النهائي. أي أن اندفاعه تحت تأثير الانتصارات جعله يستثمر كل انتصار إلى مدى اكبر مما يجب، مع فترات زمنية مديدة تفصل بي الضربة**

والاخرى. ولم يكن يسير حسب خط المقاومة الأضعف، بل حسب خط تتزايد فيه المقاومة بشكل يصبح معه كل هجوم من هجماته بعد انتهاء الاختراق الأساسي عبارة عن هجوم جبهي مباشر. ولقد غرس في قلب الدفاع المعادي ثلاثة أسافين (جيوب) دون أن يدخل أي واحد منها بعمق كاف لقطع شريان حيوي. وترتب على هذا الفشل الاستراتيجي أن أصبح الألمان على جبهة مسننة ذات تعاريج يستطيع الحلفاء فيها القيام بهجوم على المجنبات.

استمر الصراع على جبهة الغرب، سجالاً، ولم يتمكن أحد من الوصول الى الحسم. غير أنه ظهر واضحاً بأن المبادأة قد انتقلت لمصلحة الحلفاء، اعتباراً من منتصف شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩١٨. حيث أخذ الحلفاء بتنظيم ضربات متلاحقة، ما تكاد تصل الضربة الى نهاية قوتها ـ زخمها ـ حتى تأتي الضربة التالية لها لتعمل على تطويرها. ونجحت هذه الضربات في تطوير حرب الاستنزاف ضد القوى الألمانية التي باتت مواردها تنضب يوماً بعد يوم.

ولقد نجح لودندورف بالرغم من ذلك كله، في احباط جهود الحلفاء حتى جاءت ضربة ( اليوم الأسود في تاريخ الحرب ) بحسب تعبير لودندورف ، خيث جرت معركة أميان الحاسمة في يوم ٨ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٨ ، إذ زجت قيادة الحلفاء في الهجوم ٤٦٢ دبابة قتال ، بالتعاون مع الطيران ، وباشتراك ثلاثة فيالق بريطانية ـ من الجيش الرابع ـ وكانت المباغتة كاملة ، وبلغ الذعر أقصاه وذروته ، وخرقت الجبهة الألمانية . وقد كتب محرر التقرير الرسمي الألماني للمعركة ما يلي : « تعرض الجيش الألماني عندما غابت شمس يوم ٨ ـ آب ـ أغسطس ـ إلى أكبر هزيمة عرفها منذ مطلع الحرب ». ولم ينخدع لودندورف أبداً بالوضع الجديد الذي خلقته دبابة الانقضاض فكتب قائلاً : « لقد وقع كل ما كنت أخشاه ، وما ضمنته تحذيراتي التي وجهتها في نقطة من الجبهة . وكان يوم ٨ ـ آب ـ أغسطس ، علامة من علامات انهيار قوتنا العسكرية ، وحرمني من التطلع لإيجاد الوسائل العسكرية القادرة على تعزيز الوضع ،

وقلبه لصالحنا ، نظراللموقف لذي كنا نعانيه في القوات الاحتياطية . وعلى العكس ، كنت مقتنعاً بأن تدابير القيادة العليا التي كنت أضعها حتى ذلك الوقت على قاعدة متينة ، بقدر ما يكون ذلك مستطاعاً في الحرب ، أصبحت الآن تنهار من أساسها ، وهكذا اتخذت إدارة الحرب طابع لعبة من لعب الصدفة التي يصعب ايجاد الحجج أو المسوغات لها ـ على حد تعبير طالما استخدمته ـ وهي لعبة كنت اعتبرها دوماً لعبة مشؤومة . **فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يكون مصير الشعب الألماني هدفاً للصدفة أو غرضاً لها. لذا بات من الواجب انهاء الحرب»**.

**تأكد لودندورف أن قواته قد انهارت معنوياً ـ لا مادياً ـ فأعلن : « أن السلم لا يمكن تحقيقه إلّا بالمفاوضات . وفي انتظار ذلك . . . يجب أن يكون هدف استراتيجيتنا شل إرادة القتال لدى العدو شيئاً فشيئاً بواسطة الدفاع الاستراتيجي »**.

ونجح لودندورف في تنظيم هذا الدفاع ، ولكن حدث في ذلك الوقت أن وجد البلغاريون المتعبون من الحرب بأن جيوشهم مقسمة إلى قسمين ، فطلبوا الصلح . وجاء سقوط بلغاريا بمثابة ضربة سوط دفعت القيادة الألمانية للجري بسرعة أكبر ، للبحث عن المخرج ، وفي ٢٩ ، أيلول ـ سبتمبر ـ قرر هندبنورغ ولوذندورف فجأة طلب الصلح ، لأن انهيار بلغاريا قلب الموقف كله . فقد كانت الضرورة تقضي بأرسال وحدات من الجبهة الغربية نحو الجبهة الجديدة وفي هذا اليوم ذاته ، كان هجوم الحلفاء على جبهة الغرب قد باث ينذر بالخطر . الأمر الذي دفع الألمان في يوم ٣ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩١٨ إلى طلب الهدنة مباشرة من الرئيس الأمريكي ويلسون . وكان هذا الطلب ينطوي على اعتراف صريح بالهزيمة أمام الرأي العام العالمي . ومن الغريب أن مثل هذه الفكرة كانت كافية قبل يومين فقط ، لكي تثير اعتراضات شديدة في القيادة الألمانية العليا ، وخاصة عندما عرضت في أحد الاجتماعات على زعماء الأحزاب السياسية .

لقد فتح الرجال عيونهم على الحقيقة المرة بعد أن تجاهلوها طويلاً .

**فأعماهم نورها المباغث ، وأصابهم الذهول ، وبدأت تظهر عوامل الخلاف الكامنة ، والرغبة الخفية في السلام .**

ستعادت القيادة الألمانية العليا بعض هذوئها ، بعد بضعة أيام ، وشعرت بشيء من التفاؤل نظراً لأن اختراق خط هندنبورغ لم يتبعه اختراق كامل لجبهتها. ثم زاد من تفاؤلها عندما زودتها التقارير التي تصف هجمات الحلفاء بالتخاذل في استثمار الفرصة الملائمة . وكان لودندورف يرغب في الهدنة ليعطي قواته بعض الراحة ، ويؤمن انسحابها نحو خط دفاعي أقصر على حدود بلاده . وشعر في ١٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ بأنه قادر على الاستغناء عن هذه الراحة ، بعد أن رأى الموقف قد تبدل . ولم يكن الوضع سيئاً كما تصوره من قبل في يوم ٢٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ولكن انطباعه الأول انتشر في الأوساط السياسية وبين الجماهير الألمانية ، وانهارت الجبهة الداخلية من قبل أن تنهار جبهة القتال .

**رد الرئيس الأمريكي ـ ويلسون ـ على طلب الألمان للهدنة في يوم ٢٣ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩١٨ وكان رده يحمل في طياته طلب الاستسلام دون قيد أو شرط ، وكان لودندورف يريد متابعة القتال لاعتقاده بأن الاستمرار في الدفاع على الحدود الألمانية يؤدي إلى الحد من طلبات الحلفاء . ولكن الموقف خرج من يده ، ولم تعد كلمة القيادة هي الكلمة الحاسمة في الموقف ، فقدم استقالته في يوم ٢٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩١٨ .**

قررت تركيا والنمسا الاستسلام في يوم ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ مما جعل باب ألمانيا الخلفي مفتوحاً . إذ أن خروج قوات اوروبا الوسطى من الحرب ، قد فتح الطريق أمام ضربة توجه ضد مؤخرة النمسا . وظهر الخطر بكل وضوح عندما انطلق هجوم ايطالي على الجبهة النمساوية المحطمة مادياً ومعنوياً فاخترقها . وباستسلام النمسا استفاد الحلفاء من أرضها وشبكة خطوطها الحديدية ، واستخدموها قاعدة لعملياتهم ضد مؤخرة ألمانيا . وكان القائد الألماني ـ فون غالفيتس ـ قد أبلغ مستشار ألمانيا منذ شهر أيلول ـ سبتمبر ـ : **« أن استسلام النمسا سيقرر مصير**

الحرب ».

اشتعلت الثورة في ألمانيا وانتشرت في طول البلاد وعرضها ، واتسع نطاقها بسبب طول أمد المفاوضات . واستلم السلطة الزعيم الاشتراكي - ايبرت -[٣٦] ووقع شروط الصلح في يوم ١١ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٨ . في الوقت الذي كانت فيه القوات الألمانية قادرة على متابعة القتال . إذ كانت هذه القوات وفي هذا اليوم بالذات على خط أكثر استقامة وأقل طولاً من الخط الدفاعي السابق . وكان هجوم الحلفاء قد توقف بسبب صعوبة التموين . **وتؤكد الوثائق المتعلقة بالموقف خلال ( المائة يوم الأخيرة من الحرب ) أن هدف الحرب الحقيقي هو التأثير على روح القادة لا على أجساد جنودهم . وأن النصر أو الهزيمة يتقرران تحت تأثير الضغط المعنوي وبصورة غير مباشرة تحت تأثير الضربات المادية . ولم يهتز لودندورف في الواقع أمام خسارة الرجال أو المدافع أو الأرض قدر اهتزازه عند وقوع المباغتة - وشعوره بالعجز عن صد حركة استراتيجية محتملة .**

## ٨ - من لودندورف إلى هتلر .

ترك لودندورف أثراً عميقاً في الشعب الألماني ، سواء في المجال السياسي أو العسكري . فقد عكف هذا القائد الكبير خلال العشرين سنة التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الأولى على دراسة خلاصة تجربته التاريخية ، بهدوء ، وبعيداً عن ضوضاء الحرب وضجيجها وصخبها . ووقف موقف المحلل الناقد من النظريات التي سبق أن وضعها كبار الكتاب العسكريين الألمان ، وفي طليعتهم - كلاوزفيتز - . فبدأ بهجوم شديد على نظريات كلاوزفيتز التي كانت أساس النظرية الألمانية في الحرب العالمية الأولى . وأخذ على كلاوزفيتز عدم سيره في طريق العنف حتى آخر مداه ، وإعطاء أهمية كبرى للسياسة . كما انتقد فكرته القائلة : « **بأن**

---

(٣٦) ايبرت: (EBERT- FRIEDRICH) اشتراكي ألماني من مواليد ورتزبورغ WURTZBOURG (١٨٧١ - ١٩٢٥) وكان أول رئيس للجمهورية الألمانية في سنة ١٩١٩ .

الهدف السياسي يشكل الغاية ، والحرب هي وسيلة تحقيقها ، ولا يمكن تصور الوسيلة إن لم تكن الغاية محددة بدقة » واعتبرها فكرة قديمة بالية ، لأن مبدأ الحكم المطلق يتطلب من الوطن أن يضع في زمن الحرب كل شيء لمصلحة الحرب، وأن يسخر كل شيء في زمن السلم للتحضير للحرب المقبلة، على اعتبار أن الحرب هي وسيلة نبيلة ، سامية، لتحقيق ارادة الحياة الوطنية ، وما السياسة إلاّ تابع لها .

يظهر من خلال قراءة ما كتبه لودندورف اختلافه الواضح مع كلاوزفيتز ، إذ ان لودندورف يعتبر الحرب وسيلة لغاية محدودة وواضحة ، ويعتبر أن جعل الشعب كله جيشاً هو في حد ذاته الغاية . وليس هذا الرأي جديداً كما اعتقد لودندورف . لقد جربته اسبارطة من قبل في حكمها . ثم انهارت من الشلل الذي جرته على نفسها . وكان لودندورف يعمل جاهداً : « لتوثيق أواصر وحدة الشعب النفسية » وخلق عقيدة وطنية تؤمن فيها النساء بدورهن المقدس في انجاب أبناء قادرين على تحمل أعباء الحرب الشاملة . كما يؤمن رجالها بضرورة زيادة قدراتهم للمشاركة في تنفيذ هذا الهدف . عقيدة تؤمن بضرورة التناسل من أجل تزويد ـ المذبح ـ بالضحايا ، أما فكرة لودندورف الثانية والخاصة بتحقيق الوحدة النفسية للشعب ، فإنها تعني ببساطة اضطهاد وقمع أي شخص يعارض أو يفكر في معارضة القيادة العليا . ويؤكد لودندورف ضرورة تحقيق شرط آخر ، هو إيجاد نظام اقتصاد وطني يعتمد على الاكتفاء الذاتي ويتلاءم مع متطلبات الحرب الشاملة . ومن هنا يبدو فهمه لفكرة اعتماد القوة العسكرية على الامكانات الاقتصادية ولكن ، وعلى الرغم من اعتراف لودندورف بالصعوبات الهائلة التي عانتها ألمانيا من حصار الحلفاء الاقتصادي لها في الحرب العالمية الأولى ، إلاّ أن ذلك لم يغير من فكرته التي تعتبر مصير الحرب متعلقاً فقط بمعارك القوات المسلحة . وهو يمتدح في هذا الصدد استاذ ألمانيا القديم ـ كلاوزفيتز ـ : « الذي لم يكن يفكر إلاّ في إبادة جيوش العدو في المعركة ». وقد ظلت هذه الفكرة في نظرية لودندورف بدهية لا تقبل الجدل أو النقاش ، بينما جاء هتلر فتبنى نظرية مغايرة ، مفادها : « بأن الهدف الحقيقي للقائد العسكري هو ارغام

جيوش العدو على الاستسلام دون الاشتباك في أية معركة ».

لم يكن وصف لودندورف لشكل الحرب المقبلة سوى تضخيم للهجمات التي قام بها في العام ١٩١٨ . وهي الهجمات التي كانت رائعة في بداياتها ، وعقيمة في نتائجها ، بسبب عدم توافر القوى والوسائط لتطويرها واستثمار نتائجها . وهو يرى في الهجوم : مشاة تتقدم تحت دعم المدفعية والرشاشات ومدافع الهاون والدبابات حتى تسحق العدو في الالتحام المباشر ، وتقود كافة التحركات ـ المناورات ـ حسب وجهة نظره إلى ـ المعركة ـ وما استخدام الآليات إلا لزج الوحدات في المعركة بسرعة أكبر . ولم يكن لودندورف أي اعتراض نفسي أو عسكري على تطبيق هذا النوع من الحرب على نطاق واسع . فهو يذكر أن ضرورات الحرب الشاملة لن تعترف بالرغبات النظرية التي ترمي إلى الغاء حرب الغواصات ـ بدون قيد أو شرط ـ بل على العكس ، فقد قال : « بأن الطائرات يجب أن تتعاون مع الغواصات لاغراق جميع السفن المتجهة إلى موانىء العدو حتى ما كان منها تحت علم محايد ». ولقد قال عن الهجوم على المدنيين العزل في المدن : « سيأتي يوم نرى فيه أسراباً من الطائرات تهاجمهم بعنف ومن غير شفقة » ومع ذلك ، تبقى الأهداف العسكرية بالنسبة له أكثر أهمية ، لذا نراه يفضل استخدام الطيران قبل كل شيء ، للاشتراك في تحطيم جيش العدو، على أن ينطلق بعد ذلك لتدمير بلاد هذا العدو .

لقد اتفقت وجهات نظر هتلر ولودندورف حول فكرة الجنس ـ التفوق العرقي ـ والدولة ، وحق ألمانيا في السيطرة على العالم . غير أن وجهات النظر للرجلين اختلفت بصفة خاصة فيما يتعلق بأساليبهما وطرائق عملهما . فقد طالب لودندورف بأن تقوم الاستراتيجية بالاشراف على السياسة ، أي أن تختار الأداة بنفسها نوع عملها . وقد توصل هتلر إلى حل المشكلة بادماج الاستراتيجية بالسياسة في شخص ( الزعيم ـ الذي كان هو يمثله ) وأفاد من المزايا ذاتها التي استمتع بها الاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر في التاريخ القديم ، وفريدريك الكبير وبطرس الأكبر

ونابليون بونابرت في العصر الحديث ، مما ضمن له امكانات تحضير وسائطه ، وتطويرها ، للوصول إلى هدفه ، من غير أن يتصدى له أي استراتيجي آخر أو يعمل على ايقافه .

**يبقى لودندورف صورة مشرقة وواضحة لبلاده في فترة من أصعب الفترات التي عرفتها تلك البلاد ، التي شغلت العالم طوال النصف الأول من القرن العشرين . وقد نال ما هو أهل له من المجد والشهرة ، لا في بلاده وحدها ، وإنما في العالم كله ، غير أن ما يميز حياة هذا الرجل العظيم هو أنه قد شق طريقه بالجهد والعناء والمعاناة المريرة في ميادين القتال وفي آفاق الصراع الاجتماعي والسياسي . ولا ينتقص من قدره أنه لم يحتل مركز القيادة العليا - مثل هندنبورغ - ولم يبلغ المنصب السياسي الذي شغله منافسه هتلر . فقد كان هو العقل المتفتح والخيال المبدع وراء هذين القائدين ، ووراء ألمانيا كلها في فترة وجوده قائداً يطمح لمنافسته ومحاكاته كل طموح وقائد .**

# مراجع البحث


١ ـ رواد الاستراتيجية ـ ادوارد ميد ايرل وآخرون ـ ترجمة الأميرالاي أركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم. مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥٧.

٢ ـ ادارة الحرب ـ ج. ف. س. فوللر. تعريب أكرم ديري ـ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت ١٩٧١.

٣ ـ تاريخ فن الحرب أ. أ. ستروكوف. ترجمة العميد الركن صباح الدين الأتاسي. ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي. دمشق ١٩٦٨.

٤ ـ تاريخ الجيش الألماني (بينوا ـ ميشان) ترجمة العميد الركن محمد سميح السيد ـ دمشق ١٩٧٦.

٥ ـ مناورات ومواقع لودندورف الكبرى ـ محمد رضا استنبولي ـ المطبعة العمومية بدمشق. ١٩٥٨.

٦ ـ THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTERN WORLD, J.F.C. FULLER. (PALADIN) 1975.

٧ ـ THE WAR LORDS (FIELD MARSCHAL SIR MICHAEL CARVER) WEIDENFELD AND NICOLSON- LONDON 1976.

# الفهرس



هناك ما يشبه الإجماع بين الكتّاب والمؤرخين العسكريين على اعتبار «لودندورف» واحداً من كبار قادة الحرب المرموقين وجندياً من أبرز جنود الحرب العالمية الأولى، لا بل من الجنود الذين يحتلون مكانة على المستوى العالمي.

ولد لودندورف عام ١٨٦٥ في قرية (كريزونيا) الصغيرة من أعمال مقاطعة (بوزنانيا) في المانيا، وكان والده تاجراً متوسط الحال، ومع ذلك فانه استطاع أن ينتسب إلى الكلية العسكرية التي لم تكن تضم إليها آنذاك إلا أبنا العائلات العريقة لتجعل منهم قادة المستقبل.

وهناك برزت مواهب لودندورف وتفوق في الميدان الذي اختاره مما أهله لاحقاً لأن يكون واحداً من القادة الألمان الذين دخلوا التاريخ من بابه الواسع.

عندما كان الماريشال (فون هندنبورغ) يتولى قيادة الجبهة الشرقية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) كان لودندورف يعمل في تلك الجبهة تحت إمرته، فعرف فيه الكفاءة والمقدرة فأولاه كامل ثقته حتى كان يطلق عليه ألقاباً لا يستحقها إلا قائد كبير منها: «العملاق» و«الجبار» و«الرجل الحديدي» بل إن أعداءه أنفسهم كانوا يقرون له بكفاءته.

لقد ترك لودندورف للمؤرخين الكثير مما يستحق الكتابة عنه، وفي هذا الكتاب بعض ما يمكن معرفته عن ذلك القائد الكبير.

**الثمن ١٤ ل.ل.**

أو ما يعادلها